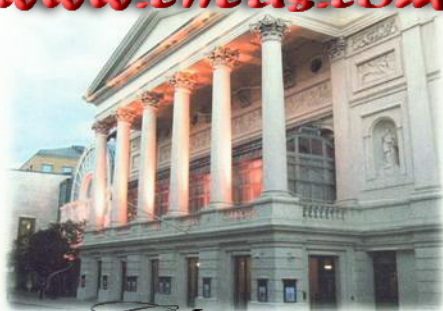


النص الكامل
للمعلمة الدكتورة الأولى والوحيدة باللغة العربية

انغاثا كريستي

www.eilag.com



Chassey

موت اللورد إدجووير



الأجيال
للترجمة والنشر
AJTL Publishers



Agatha Christie



Lord Edgware Dies

موت اللورد إدجووير

لقد كُلّف بوارو بأغرب مهمة يمكن أن يتخيلها حين تقدمت منه جين ويلكنسون قائلة: أريد مساعدتك يا سيد بوارو... إنني أريد التخلص من زوجي بأية طريقة!

ولم يلبث الزوج، اللورد إدجووير، أن قُتل. فما الذي سيفعله بوارو لحل لغز مقتل اللورد؟

لقد أرادت جين ويلكنسون أن تتخلص من زوجها بأية طريقة، وما هو ذا قد قُتل الآن. فمن الذي قتله؟



هيركيول بوارو



رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها ألفي مليون نسخة!

١٧

رقم هذه الرواية حسب ترتيب صدور الروايات بالإنكليزية

WWW.LIILAS.COM

الناشر وصاحب الحق الحصري
بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم

Chassey



الأجيال
للترجمة والنشر
RJYAL Publishers

US \$ 4.00

سعر البيع ١٥ ريالاً

الفصل الأول

حفلة مسرحية

تخلّى الناس عن اهتمامهم الشديد والإثارة التي عاشوها عندما قُتل جورج ألفرد مارش، المعروف بالبارون إدجوير الرابع، فقد أصبحت تلك الحادثة شيئاً من الماضي وحلّت محلّها أحداث جديدة مثيرة، والناس -بطبعهم- ينسون بسرعة.

لم يُذكر صديقي هيركيول بوارد علناً فيما يتعلق بتلك القضية، وأظن أن هذا كان بسبب رغبته، حيث لم يرغب أن يظهر اسمه فيها. وقد ظفر بالثناء شخص آخر، وذلك بالضبط ما كان بوارد يريد؛ إذ أنّ تلك القضية -حسب وجهة نظره الخاصة والغريبة- كانت واحدة من الإخفاقات التي انتهى إليها، وكان يقسم دائماً أن الذي دلّه على المسار الصحيح للقضية ملاحظة عابرة من رجل غريب في الشارع.

ومع ذلك فإن عبقريته هي التي كشفت حقيقة المسألة، وأشك في أنهم كانوا سيكشفون الجاني الذي ارتكب الجريمة لولا هيركيول بوارد، ولذلك أحسّ بأن من المناسب الآن أن أكتب كل ما أعرفه

عن القضية التي أعرف جميع تفاصيلها تقريباً، كما يمكنني القول أيضاً إنني -بهذا العمل- أحقق رغبة سيدة فاضلة.

أتذكر كثيراً ذلك اليوم عندما كنت في غرفة جلوس بوارو الصغيرة الأنيقة عندما سرد علينا -وهو يذرع الغرفة جيتة وذهاباً- مجمل القضية بطريقة الأستاذ الذي يحكي لتلاميذه قصة معينة، وسوف أبدأ روايتي من المكان الذي بدأ هو روايته منه: أحد مسارح لندن في واحد من أيام حزيران من العام الماضي.

كانت كارلوتا آدمز قد أثارت اهتمام الجماهير في لندن في ذلك الوقت، ففي العام الماضي قدمت عدداً من العروض المسرحية أصابت نجاحاً باهرًا، وفي هذا العام قدمت عرضاً مسرحياً لمدة ثلاثة أسابيع، وكانت تلك هي الليلة قبل الأخيرة في ذلك الموسم.

كانت كارلوتا آدمز فتاة أمريكية ذات موهبة مذهشة في التمثيل الفردي، لم تضطر إلى الاستعانة بالمساحيق على وجهها أو بالديكور خلفها، وبدا أنها قادرة على التحدث بطلاقة بكل اللغات، وقد كان عرضها تلك الليلة رائعاً حيث قدمت فيه مشهداً من فندق أجنبي، وقد تدافعت -خلال المشهد- جموع من السواح الأمريكيين والألمان والعائلات الإنكليزية المتوسطة والأرستقراطيين الروس والخدم.

لقد قدمت مشاهد مضحكة ومحرّنة على السواء، ولقد كاد المشهد الذي أدته عن امرأة تشيكية تحتضر في المستشفى أن يدفع المشاهدين إلى البكاء، ولكن -بعد ذلك بدقيقة واحدة- ضحكنا ملء أفواهنا عندما قامت بدور طبيب أسنان يكدر في مهنته ويثرثر مع ضحاياه بلطف.

وانتهى برنامجها بفقرة ستمتها «بعض التقليد»، حيث بدت بارعة بصورة مذهلة، فمن دون استخدام أية مساحيق كانت ملامحها تتلاشى بشكل مفاجئ لتعيد -من ثم- تشكيل نفسها لنشبه ملامح سياسي مشهور أو ممثلة معروفة أو سيدة مجتمع، وفي كل شخصية من هذه الشخصيات كانت تلقي خطاباً تقليدياً قصيراً، وقد كان اختيارها لتلك الكلمات ذكياً بحيث ركزت حديثها على بعض من أهم القضايا والمشكلات، وقد كان من آخر الشخصيات التي قلّدتها شخصية جين ويلكنسون، وهي ممثلة أمريكية شابة موهوبة ومشهورة في لندن، وقد كانت محاكاتها لها متقنة إلى أبعد الحدود، حتى لأشعر بالحيرة كيف أمكنها ذلك!

كنت معجباً -على الدوام- بجين ويلكنسون، وكنت أعتقد أنها ليست ممثلة ماهرة فقط، بل هي ذات قدرات مسرحية متفوقة كذلك. لقد كانت واحدة من الممثلات اللاتي تركن المسرح بعد زواجهن، ولكنها ما لبثت أن عادت إليه بعد ذلك بستين فقط، وكان زواجهما قد تمّ على اللورد إدجوير (الري الغريب الأطوار) قبل ثلاث سنوات، إلا أن الإشاعات ما لبثت أن تحدثت عن تركها له بعد ذلك بوقت قصير، وعلى أية حال، فالمعلوم أنها كانت تمثل أفلاماً في أمريكا بعد مضي عام ونصف على زواجها، كما أنها ظهرت في مسرحية ناجحة في لندن في هذا الموسم.

وطفقت أساءل وأنا أراقب كارلوتا آدمز في تقليدها للشخصيات التي اختارتها: هل سيُستَرّ هؤلاء الأشخاص (وقد ظفروا على يدها بشيء من الدعاية المجانية) أم سيسوؤهم ما يمكن أن يُعتبر تشهيراً أو إبرازاً متعمداً لبعض القائص والعيوب؟

وخطر ببالي أنني كنت سأستاء وأنضابق لو كنت واحداً ممن شملهم التقليد. كنت سأسعى إلى إخفاء غيظي، ولكنني ما كنت -قطعاً- لأحب أن يسخر بي أحد على الملأ. إن المرء يحتاج إلى عقل متفتح وصبر واسع وتقدير لروح الفكاهة ليعجب بمثل ذلك التمثيل. وفي اللحظة التي توصلت فيها إلى هذه الاستنتاجات سمعت من ورائي ضحكة جميلة بصوت أجش، وعندما التفّت وجدت أن الجالسة على المقعد الذي ورائي مباشرة هي الليدي إدجووير (المعروفة أكثر بجين ويلكنسون)، والتي كانت الممثلة تقلدها على المسرح.

أدركت -على الفور- أن استنتاجاتي كانت كلها خاطئة؛ فقد كانت الليدي إدجووير تميل إلى الأمام وشفناها منفرجتان من الضحك تبدو عليها ملامح الاستمتاع والإثارة.

وعندما انتهى مشهد «التقليد» صفقت بحرارة وهي تضحك وتلفتت إلى مرافقها، وكان رجلاً طويلاً وسيماً عرفت أنه ممثل مشهور في السينما أكثر منه على المسرح، كان ذلك هو بريان مارتن، بطل الشاشة الذي كان مشهوراً جداً في ذلك الوقت، وكان قد مثل مع جين ويلكنسون في عدة أفلام سينمائية.

كانت الليدي إدجووير تقول: إنها رائعة، أليس كذلك؟

أجابها ضاحكاً: جين... أنت متفعله جداً.

- إنها رائعة حقاً. أكثر مما كنت أحسب بكثير!

لم أسمع ردّ بريان مارتن عليها، فقد بدأت كارلوتا آدمز بأداء دور جديد مرتجل.

سوف أظل -دائماً- على اعتقادي بأن ما حدث بعد ذلك كان مصادفة غريبة جداً. فبعد انتهاء البرنامج ذهبت مع بوارو لتناول العشاء في فندق السافوي، وعلى الطاولة المجاورة لنا بالضبط كانت تجلس الليدي إدجووير وبريان مارتن وشخصان آخران لم أعرفهما، فأومأت إلى بوارو باتجاههم.

وفي تلك اللحظة وصل رجل وامرأة وجلسا إلى الطاولة التي تلي طاولة الليدي إدجووير. كان وجه المرأة مألوفاً ومع ذلك لم أستطع تحديده في تلك اللحظة، ثم أدركت -فجأة- أن المرأة التي أحذق فيها لم تكن سوى كارلوتا آدمز! أما الرجل فلم أعرفه، كان أنيقاً مبتهجاً وإن بدا كالأبله إلى حد ما، ولم يكن من النوع الذي يشير إعجابي.

ارتدت كارلوتا آدمز ثوباً أسود، ولكن وجهها لم يكن من تلك الوجوه التي تلفت الانتباه أو التي تُعرف على الفور. كان وجهاً من تلك الوجوه الحساسة المتغيرة والمتنكرة، فقد كانت قادرة على انتحال شخصية مغايرة بسهولة، ولكن لم تكن لها شخصية معروفة خاصة بها.

صارحت بوارو بأفكاره هذه فيما أصغى إليّ بإمعان، وكان رأسه الذي يشبه البيضة قد مال لأحد الجانبين قليلاً عندما نظر إلى الطاولتين موضوع الحديث نظرة حادة.

أثارت كلماته اهتمامي، وأقربت في نفسي أن مثل وجهة النظر هذه ما كانت لتخطر لي على بال. سألته: وماذا عن الأخرى؟

- الأنسة آدمز؟

انتقلت نظراته إلى طاولتها وأجاب مبتسماً: حسناً، ما الذي تريدني أن أقوله عنها؟

- فقط كيف تراها؟

- يا صديقي، هل تظنني صرت الليلة متنبأً ينظر في الكف فيخمن أوصاف صاحبه؟

- تستطيع أن تفعل ذلك أفضل من كثير من المحترفين.

- رأيك في جميل جداً يا هيسنغز... وهذا يؤثر في. ألا تعرف يا صديقي - أن كل واحد منا لغز غامض يحتوي على متاحة من

الرغبات والشهوات والمواقف المتضاربة؟ نحن كذلك في الواقع، إننا نحكم على الآخرين من خلال المواقف الصغيرة، ولكن تسعة أحكام من كل عشرة تصدرها تكون خاطئة.

قلت وأنا أبتمس: ليس هيركيول بوارو.

- حتى هيركيول بوارو! أعرف تمام المعرفة أنك تعتقد دائماً بأنني مغرور، ولكنني أؤكد لك بأنني امرؤ في غاية التواضع في الواقع.

ضحكت وأنا أعلّق قائلاً: أنت... متواضع؟!

- إذن هذه هي الليدي إدجوير؟ نعم، أنذكرها. لقد رأيتها وهي تمثل... إنها ممثلة جميلة.

- كما أنها بارعة جداً كذلك.

- ربما.

- أنت لا تبدو مقتنعاً؟

- أعتقد أن هذا يعتمد على المشهد يا صديقي، إذا كانت هي محور المسرحية والآخرين يدورون من حولها، فهذا صحيح، فإنها تستطيع القيام بدورها. ولكن أشك في أنها تستطيع أداء دور صغير أو دور هامشي أداء صحيحاً! يجب أن تكتب المسرحية عنها ومن أجلها، إنها تبدو لي من النساء اللاتي لا ينظرن إلا إلى أنفسهن فحسب.

وسكت بوارو قليلاً قبل أن يضيف على نحو غير متوقع: إن أمثالها من الناس يعيشون حياة مشحونة بالخطر.

قلت مذهولاً: خطر؟!

- هل فاجأك كلمتي هذه يا صديقي؟ نعم، خطر! لأن امرأة كهذه لا ترى إلا شيئاً واحداً فقط: نفسها! ومثل هؤلاء النساء لا يدركن أي خطر يحيط بهن. إن أخطاراً يمكن أن تنشأ عن العلاقات المتضاربة والمصالح الكثيرة في هذه الحياة، غير أنهم لا يرين إلا مصالحهن، وهكذا ستحدث الكارثة... عاجلاً أم آجلاً!

- أنا كذلك، ما عدا (وأنا أعترف) أنني أفخر بشاري قليلاً،
لم أجد أي شارب يشبهه في أي مكان من لندن.

قلت بتحفظ: أنت آمن من هذه الناحية، كن واثقاً أنك لن تجد
مثله. إذن فلن تجازف بإعطاء حكم على كارلوتا آدمز؟

- إنها فنانة! هذا يلخص كل شيء تقريباً، أليس كذلك؟

- على أية حال فأنت لا تعتبر أن حياتها محفوفة بالأخطار؟

قال بوارو بهدوء: نحن جميعاً كذلك يا صديقي، الحظ السيء
قد يكون دائماً مترصاً بنا لينال منا، ولكن -بالنسبة لسؤالك- فأعتقد
أن الأنتسة آدمز سوف تنجح. إنها ذاهية، بل أكثر من ذلك! ورغم
ذلك ما يزال يوجد سبب للخطر في حالتها... ما دعنا نتحدث عن
الخطر.

- ماذا تقصد؟

- حب المال! إن حب المال قد يحرف مثل هذه عن الطريق
الصحيح.

- قد يحدث هذا لكل واحد فينا.

- هذا صحيح، ولكن -على أية حال- فقد كنت أنا أو أنت
سنرى الخطر المحدق... يمكننا أن نَرَنَ الحجاج المؤيدة وتلك
المعارضة، أما إذا كنت تهتم بالمال بشكل مفرط فإنك لن ترى غير
المال، وسوف تعجز عن رؤية أي شيء آخر.

ضحكت من أسلوبه الجاد، وأضافت متعمداً إثارتة: إنك تشبه
إزميرالدا ملكة الغجر!

أجاب بوارو دون أن يبدو عليه التأثير: نفسية الشخصية تثير
الاهتمام. لا يمكن للمرء أن يهتم بالجريمة من غير أن يكون مهتماً
بعلم النفس! ليس فعل القتل المجرد هو الذي يثير اهتمام الخبير،
بل النفسية الكامنة خلفه... هل تصغي إليّ يا هيستنغز؟

أكذبت له بأنني أصغي إليه تماماً.

- لاحظت -يا هيستنغز- كلما عملنا في قضية معاً أنك تلجّ عليّ
دائماً أن أنظر في التصرفات المادية: تريدني أن أقيس آثار الأقدام
وأفحص الأرض لفحص الأشياء الصغيرة. أنت لا تدرك أبداً أن المرء
يستطيع الاقتراب من حل أية مشكلة وهو جالس على كرسيّ مغمض
العينين. إن المرء يستطيع أن يرى بعين عقله.

قلت: أنا عندما أجلس على كرسيّ مغمض العينين يحدث لي
شيء واحد فقط!

قال بوارو: لقد لاحظت ذلك... هذا غريب! في مثل هذه
اللحظات يجب أن يعمل الدماغ بنشاط ولا يفرق في الاسترخاء
والكسل. إن النشاط العقلي شير جداً ومتبه للغاية. إنني أحس بمتعة
نفسية عندما أوظّف الخلايا الرمادية الصغيرة في رأسي، وهي وحدها
التي يمكن الوثوق بها لقيادة المرء إلى الحقيقة من خلال الضباب.

أخشى أنني قد اعتدت تحويل انتباهي كلما ذكر بوارو موضوع
خلاياه الرمادية الصغيرة، فلقد سمعت منه هذه العبارة مرات عديدة

من قبل. وفي تلك اللحظة اتجه نظري نحو الأربعة الجالسين على الطاولة المجاورة، وعندما انتهى حديث بوارو قلت وأنا أضحك ضحكة صغيرة: لقد حققت نجاحاً يا بوارو؛ فالليدي إدجوير لا تكاد ترفع بصرها عنك.

قال بوارو محاولاً التظاهر بالتواضع: لا شك أن أحداً أبلغها عن هويتي.

قلت: أظن أن شاربك الشهير هو السبب؛ لقد جذبها جماله. تحسب بوارو شارب خلسة وقال معترفاً: صحيح أنه فريد من نوعه، أما أنت - يا صديقي - فإن «فرشاة الأسنان» (كما تسميها) التي تضعها فوق شفتك فظيعة للغاية، إنه شارب قصير يتنافى مع الطبيعة. أرجوك أن تحلقه يا صديقي!

قلت متجاهلاً طلب بوارو: إن السيدة تنهض، أظن أنها قادمة لتتحدث معنا. إن بريان مارتن يحتاج لكنها لن تصني إلي.

كان ذلك صحيحاً، فقد تركت جين ويلكنسون مقعدها بحركة مفاجئة وجاءت إلى طاولتنا. نهض بوارو على قدميه وهو ينحني لها، ونهضت أنا الآخر. قالت بصوت هادئ أجش: السيد هيركيول بوارو، أليس كذلك؟

- في خدمتك.

- سيد بوارو، أريد أن أتحدث إليك. إن ذلك ضروري جداً.

- بالتأكيد يا مدام، هلاً جلست؟

- لا، لا؛ ليس هنا. أريد أن أتحدث معك على انفراد. سنصعد إلى جناحي في الفندق.

كان بريان مارتن قد انضم إليها، تكلم وهو يضحك ضحكة مستترة: يجب أن تنتظري يا جين، ما زلنا نتناول عشاءنا، وكذلك السيد بوارو.

لكن لم يكن من السهل تحويل جين ويلكنسون عن هدفها. قالت: وما الضرر يا بريان؟ سنطلب إرسال العشاء إلى جناحي، هلاً طلبت ذلك منهم؟

مشت خلفه وهو يعود أدراجه، وبدأ كأنها تلح عليه فعل شيء معين. أظن أنه كان يقاوم بعناد وهو يهز رأسه ويعبس، لكنها تكلمت معه بلهجة أكثر تشدداً، وفي نهاية المطاف هز كتفيه وتراجع عن موقفه.

ونظرت - خلال ذلك كله - مرة أو مرتين إلى الطاولة التي كانت تجلس عليها كارلوتا آدمز، وتساءلت: هل كان لما نتحدث به جين ويلكنسون علاقة بهذه الفتاة الأمريكية أم لا؟

وبعد أن حصلت جين على ما تريد عادت مبتهجة، وقالت وهي توجه إلي ابتسامة ساحرة: سنصعد الآن إلى الجناح.

يبدو أنها لم تفكر في مسألة موافقتنا أو عدم موافقتنا على طلبها، لقد جرفتنا معها دون كلمة اعتذار. قالت وهي نتقدمنا نحو

المصعد: حظي عظيم إذ التقيتك هنا هذه الليلة يا سيد بوارو، كنت أفكر وأتساءل -لنوي- ما الذي كنت سأفعله حينما رفعت بصري فوجدتك على الطاولة المجاورة، وقلت في نفسي: سيخبرني السيد بوارو بما أفعله.

سكنت لتقول لعامل المصعد: الطابق الثاني.

بدأ بوارو: إن كان يمكنك مساعدتك..

- أنا متأكدة أنك تستطيع. لقد سمعت أنك رجل متفوق رائع، ويجب أن يخلصني شخص من الورطة التي أنا فيها، وأشعر أنك الرجل الذي يستطيع ذلك.

خرجنا من المصعد إلى الطابق الثاني، وتقدمت أمامنا في الممر، ثم وقفنا أمام أحد الأبواب لندخل منه واحداً من أفخم الأجنحة في فندق سافوي.

ألقت معطف الفراء الأبيض الذي كانت تلبسه على أحد الكراسي وحقيبتها الصغيرة المزودة بالجواهر على الطاولة، وقالت وهي تجلس على كرسي: يا سيد بوارو... أريد أن أتخلص من زوجي بأية طريقة!

* * *

الفصل الثاني

حفلة عشاء

استعاد بوارو رباطة جأشه بعد لحظة من الدهشة، وقال وعيناه تطرفان: ولكن يا مدام، التخلص من الأزواج ليس من اختصاصي.

- أعرف هذا بالطبع.

- إنك بحاجة إلى محام.

- أنت مخطئ في هذا تماماً؛ لقد سئمت وتعبت من المحامين. تعاملت مع محامين أمراء وآخرين محتالين، لكن أحداً منهم لم يُبذلني شيئاً. المحامون يعرفون القانون فقط، ولكن لا يبدو أنهم يتمتعون بالذكاء أو الحاسة الخاصة.

- وهل تعتقدين أن هذه متوفرة لدي؟

ضحكت وهي تقول: سمعت أن لك ذكاء القط يا سيد بوارو.

- كيف؟ ذكاء القط؟! إنني لا أفهم تماماً.

- حسناً... أنت كذلك.

- مدام، قد يكون عقلي واسعاً أو لا يكون (وهو في الواقع كذلك... لماذا أنظأه بغير الحقيقة؟) ولكن مسائلك الصغيرة ليست من اختصاصي.

- لا أرى مانعاً من ذلك. إنها مشكلة.

- مشكلة؟

- وهي صعبة. أعتقد أنك لست الرجل الذي يهرب من المصاعب.

- دعيني أهنئك على نفاذ بصيرتك يا مدام، ولكني - مع ذلك - لا أقوم بعمل تحريرات من أجل الطلاق، ليس ذلك ممتعاً.

- يا عزيزي، لا أطلب منك أن تقوم بأعمال تجسس، هذا لن يفيد. ولكن يجب علي أن أتخلص من هذا الرجل، وأنا متأكدة أنك تستطيع أن تخبرني كيف أفعل ذلك.

سكت بوارو لحظة قبل أن يجيب، وعندما أجابها كانت نبرة صوته قد تغيرت: أخبريني أولاً يا مدام، لماذا أنت مهتمة كثيراً بالتخلص من اللورد إدجوير؟

لم تتأخر أو تردد في الإجابة. كانت إجابتها سريعة وجاهرة وقد فتحت عينها الزرقاوين الكبيرتين ببراءة: بالطبع، أريد الزواج ثانية. وما هو السبب الآخر الممكن؟

- ولكن الحصول على الطلاق أمر سهل بالتأكيد؟

- أنت لا تعرف زوجي يا سيد بوارو. إنه... إنه...

ارتعشت ثم قالت: لا أعرف كيف أشرح لك هذا. إنه رجل غريب، ليس مثل الآخرين.

سكنت ثم أكملت: ما كان ينبغي أن يتزوج أية امرأة! إنني أعرف ما أتحدث عنه... ليس بوسعي وصفه، لكنه رجل غريب لا يحتمل، فزوجته الأولى هربت منه وتركت وراءها رضيعاً عمره ثلاثة أشهر، ولم يطلقها أبداً فماتت بانسة في بلد أجنبي، ثم تزوجني. لم أستطع تحمل ذلك وكنت خائفة، فتركته وذهبت إلى الولايات المتحدة. ليست لدي أسباب لطلب الطلاق، ولو طلبت منه ذلك فلن يلتفت إلي، فهو رجل متعصب.

- في ولايات أمريكية معينة يمكنك الحصول على الطلاق يا مدام.

- هذا لا يفيدني. لن ينفع إذا كنت سأعيش في إنكلترا.

- هل تريد أن العيش في إنكلترا؟

- نعم.

- من هو الرجل الذي تريد أن الزواج به؟

- إنه دوق ميرتون.

سحبت نفساً عميقاً. لقد كان دوق ميرتون مصدر يأس لأولئك الذين بحثوا له عن زوجة. كان شاباً ذا ميول رهبانية، إنكليزياً

جين ويلكسون مناقشة مشكلتها دون اهتمام بوجوده: لكني لا أريدك أن تقتله من أجلي يا سيد بوارو.

- أشكرك يا مدام.

- أظن أنك تستطيع أن تناقش هذا الأمر معه نقاشاً ذكياً مقنعاً لتجعله يوافق على فكرة الطلاق، أنا متأكدة أنك تستطيع ذلك.

- أظن أنك تبالغين في تقدير قدراتي على الإقناع يا مدام.

- آه! لكنك بالتأكيد تستطيع التفكير بطريقة ما يا سيد بوارو.

فتحت عينيها الزرقاوين ثانية وقالت وهي تميل إلى الأمام: ألا تريد لي السعادة؟

قال بوارو بحذر: أحب أن يكون كل واحد سعيداً.

- نعم، ولكني لا أفكر بكل واحد، بل أفكر في نفسي فقط.

وعلق بوارو مبتسماً: أظن أنك هكذا دائماً يا مدام.

قالت: أتراني أنانية؟

- لم أقل هذا يا مدام.

- أظن أنني كما قلت. لكنني أكره فعلاً أن أكون بانسة. إن هذا يؤثر في تمثيلي، وسأبقى بانسة جداً ما لم يوافق على الطلاق... أو يمت!

أضافت متأملة: "وبشكل عام سيكون موته أفضل بكثير، أقصد

كاثوليكيًا متعصبًا، دُكر أنه كان خاضعاً تماماً لسيطرة والدته الدوقة العجوز المروعة. وقد اعتاد حياة متشقة إلى أبعد الحدود، وكان يجمع تحف الفخار الصيني فيما أشبع عنه أنه ذو ميول فنية، وكان من المفترض أنه لا يهتم بالنساء أبداً.

قالت جين بانفعال: أنا أحبه كثيراً. إنه لا يشبه أي رجل قابلته، كما أن قصره رائع جداً، وستكون الحياة مع هذا الناسك الوسيم رومانسية ممتعة. وسوف أترك التمثيل عندما أتزوج، إذ يبدو أنني لم أعد أهتم به كثيراً.

قال بوارو ببساطة: لكن اللورد إدجوير يقف حجر عثرة في طريق هذه الأحلام الرومانسية.

- نعم، وهذا ما يدفعني إلى الجنون.

انكأت بظهرها على الكرسي متأملة ثم قالت: لو كنا في شيكاغو لاستطعت التخلص منه بسهولة بالطبع، ولكن لا توجد هنا عصابات مسلحة يمكن استئجارها.

قال بوارو مبتسماً: هنا تعتبر أن كل كائن حي له الحق في الحياة.

- حسناً، أظن أنكم ستكونون في حال أفضل إذا تخلصتم من بعض رجال السياسة عندكم، وأعرف أن تخلصي من إدجوير لن يكون خسارة لكم، بل على العكس.

دق أحدهم الباب، ثم دخل النادل يحمل أطباق الطعام وتابعت

أنني سوف أشعر بأنني تخلصت منه نهائياً. ثم نظرت إلى بوارو مستعطفة: هل ستساعدني يا سيد بوارو؟

نهضت وهي تلتقط المعطف الأبيض عن الكرسي، ووقفت تنظر في وجهه نظرة استجداء. وسمعت أصوات جلبة خارج الغرفة في الممر فيما كان الباب مفتوحاً قليلاً. وأكملت: إذا لم...

- "إذا لم؟"

قالت ضاحكة: فأسألك سيارة أجرة وأذهب لكي أقتله بنفسي.

واختفت - وهي تضحك - في الغرفة المجاورة في الوقت الذي دخل فيه بريان مارتن مع الفتاة الأمريكية، كارلوتا آدمز ومرافقتها، والشخصين اللذين كانا يتناولان العشاء معه ومع جين ويلكنسون، وقد قدمهما لي على أنهما السيد ويديرن وزوجته.

قال بريان: مرحباً، أين جين؟ أريد أن أخبرها بأنني نجحت في المهمة التي أوكلتها لي.

ظهرت جين عند مدخل باب غرفة النوم وهي تحمل بيدها أصبع أحمر الشفاه: هل أحضرتها؟ هذا رائع، إنني معجبة بأدائك يا آنسة آدمز كثيراً. شعرت بأنني يجب أن أراك، تعالي وتحدثني معي في الداخل بينما أقوم بتجميل وجهي، إنه يبدو مخيفاً تماماً.

قبلت كارلوتا آدمز الدعوة. وألقى بريان مارتن بنفسه على أحد الكرسي، ثم قال: حسناً يا سيد بوارو، لقد أسيّرت في الوقت

المناسب، هل أفتنك جين بأن تقاثل في معاركها؟ قد تستسلم حالاً بعد ذلك، إنها لا تفهم كلمة «لا».

- ربما لم يصادفها ذلك الموقف.

- إن جين شخصية مثيرة جداً.

استند مارتن بظهره على الكرسي ثم قال: ليس لديها أي وازع؛ فهي لا تمتلك أدنى نصيب من الأخلاق، لا أقصد أنها غير أخلاقية بالضبط، فهي ليست كذلك، ولكنها ترى شيئاً واحداً فقط في الحياة، وهو ما تريده هي نفسها.

ضحك وتابع قائلاً: أعتقد أنها يمكن أن تقتل شخصاً وهي مبتهجة، وتحس بجرح كرامتها إذا أمسكوا بها وأرادوا أن يشنقوها لعملها هذا. إنها لا تفكر أبداً بعقل مستقيم، وتحسب أنها قادرة على استئجار سيارة والانطلاق نحو هدفها لإطلاق النار دون أية محاولة للتخفي أو الاستتار.

همس بوارو: "ما الذي يجعلك تقول هذا؟"، ثم سأل: إنك تعرفها جيداً يا سيد، أليس كذلك؟

- يجب أن أعترف بذلك.

ضحك مارتن ثانية، وفوجئت عندما لاحظت المرارة في ضحكته تلك، وخاطب الآخرين بقوة: هل توافقوني على هذا؟

واقفته السيدة ويديرن: آه! إن جين مغرورة، وهكذا تكون الممثلات، هذا إذا كانت تريد أن تظهر شخصيتها.

لم يتكلم بوارو. كانت عيناه مركّزتين على وجه بريان مارتن ينظر إليه متأملاً نظرة لم أستطع فهمها. وفي تلك اللحظة خرجت جين من الغرفة المجاورة وكارلوتا آدمز وراءها. أظن الآن أن جين قد «جملت وجهها»... مهما كان الذي ترمز إليه هذه العبارة بالنسبة لقناعتها الخاصة، أما بالنسبة لي فكانت تبدو كما كانت من قبل بالضبط.

كان حفل العشاء الذي تبع ذلك حقلاً مرحاً رغم أنني شعرت بمشاعر خفية لم أفهمها جيداً في بعض الأحيان.

كانت جين ويلكنسون بعيدة عن كل لطف، وكان واضحاً أنها كانت تطمح إلى أمر واحد فقط في تلك الليلة، وهو مقابلة بوارو، وقد نفذت هدفها وحققت رغبتها دون تأخير. كان واضحاً -الآن- أنها مبتهجة جداً. وكنت متأكد أن رغبتها في إضافة كارلوتا آدمز إلى قائمة المدعوين إلى العشاء مجرد نزوة لا غير، وأحسست أنها راضية جداً عن ذكائها الزائف رضا الطفل عن نفسه.

لا، لم تكن للمشاعر الخفية التي أحسست بها أية علاقة بعجين ويلكنسون. إذن أين كانت تتجه هذه المشاعر؟

تفحصت الضيوف الواحد تلو الآخر... بريان مارتن؟ بدا واضحاً أنه لم يكن يتصرّف بصورة طبيعية، ولكني أوحيت إلى نفسي أن ذلك ربما كان مجرد صفة عادية لنجم سينمائي. لا بد أنه رجل مغرور وقد اعتاد التمثيل لدرجة ما عاد معها قادراً على السلوك العفوي.

وبالمقابل كانت كارلوتا آدمز تتصرف على سجيئتها. كانت فتاة هادئة ذات صوت منخفض يبعث على السرور، وتفحصتها باهتمام حيث وجدت لها فرصة لفعل ذلك عن قرب. رأيت أنها ذات سحر مميز لكنه سحر معكوس التأثير نوعاً ما، ينشكّل بعيداً عن الصخب والضجيج. وجدتها فتاة هادئة منسجمة مع ذاتها: شعر أسود ناعم، وعينان زرقاوان، ووجه شاحب، وفم صغير. بدت مسرورة من إطرادات جين لها وترحبها بها، وكل فتاة يمكن أن تكون كذلك، ولكن أمراً حدث في تلك اللحظة بالضبط دفعني إلى إعادة النظر في ذلك الرأي المتسرع.

نظرت كارلوتا آدمز إلى مضيفتها التي تجلس مقابلها على الطاولة والتي كانت في تلك اللحظة تدير رأسها وتتحدث مع بوارو. كانت الفتاة تنظر إليها نظرات متفحصة غريبة وكأنها تكوّن فكرة متآبئة عنها، وخطر لي -في نفس الوقت- أن عينيهما الزرقاوين الشاحبتين تحملان عداً واضحاً لها. ربما كان ذلك وهماً فقط، أو ربما كانت نظرات حسد من ممثلة لممثلة أخرى؛ فجين كانت ممثلة ناجحة وكانت قد وصلت إلى قمة النجاح دون شك، أما كارلوتا فكانت في أول السلم فحسب.

نظرت إلى الثلاثة الآخرين: السيد ويدبيرن وزوجته، ماذا عنهما؟ كان الزوج رجلاً طويلاً شديد النحول، أما زوجته فممثلة الجسم، شقراء، فياضة المشاعر. بدا أنهما ثريان ويحبان كل شيء له علاقة بالمرسح، حتى لقد كرها أي حديث بعيد عنه. وبسبب غيابي الأخير عن إنكلترا وجداني جاهلاً لدرجة محزنة بهذه الأمور، وفي

النهاية أدارت لي السيدة ويدبيرن ظهرها ولم تعد تذكر وجودي قريبها.

كان آخر عضو في الحفل شاباً داكن البشرة صاحب وجه مرح مستدير، وكان يرافق كارلوتا آدمز، وانتابني شكوك -من البداية- أنه ليس متزناً كما يبدو، وتأكدت هذه الفكرة لي بعد قليل؛ فقد ظهر أنه يعاني من آتية عميقة، ففي النصف الأول من العشاء جلس صامتاً عابساً، وعند بداية النصف الثاني كشف نفسه لي معطياً انطباعاً بأنني أحد أصدقائه الحميمين وقال: "ما أريد قوله أنه ليس كذلك. كلا يا صديقي العزيز..."، وأطلق جملة من السباب البذيء ثم أردف قائلاً: هل أسألك... أقصد أنك إذا أخذت فتاة... حسناً، أقصد... تتدخل، تدور وتثير الأمور. ليس الأمر وكأنني قد قلت لها كلمة ما كان يجب أن أقولها... إنها ليست من هذا النوع، آه، أنس هذا كله. إن الفتاة مستقيمة، إنما الذي أقصده... ما الذي كنت أقوله؟

قلت مهدداً: كنت تقول إن هذا عمل صعب.

- هذا كله لا يهم، لا يهم. كان يجب أن أترض النقاد من الخياط لحضور هذه الحفلة. إنه شخص كريم جداً وأنا مدين له بمال منذ سنوات، وهذا يجعل بيتنا رابطة معينة. لا شيء مثل الرابطة بين اثنين يا صديقي العزيز، أنت وأنا... على فكرة، من أنت؟

- سقني هيسنغز.

قال: لا تقل هذا. أقسم أنك رجل اسمه سينسر جونز. عزيزي

سينسر جونز المعجوز... إن وجهك يشبه وجهه كثيراً. لو كنا مجموعة من الصييين لما عرف بعضنا وجوه بعض!

بعد ذلك بدا وكأن أملاً جديداً قد تسلل إلى عقله فقال: "انظر إلى الجانب المشرق... ذات يوم عندما أكون في سن الخامسة والسبعين أو قريباً من ذلك سأصبح رجلاً غنياً، عندها سيكون عمي قد مات ويصبح في مقدوري أن أرز ديني للخياط!". وطفق يبتسم من هذه الفكرة.

كان في هذا الشاب شيء يدفعك إلى الشفقة عليه: كان وجهه المستدير وشاربه الأسود الصغير يعطيان المرء انطباعاً بأنه مثل شيء مهجور في وسط صحراء. ولاحظت أن كارلوتا آدمز كانت تركز عليه نظرها، ثم ما لبثت -بعد نظرة خاطفة إليه- أن نهضت وغادرت الحفلة.

قالت جين: كان لعطفاً منك أن تأتي إلى هنا، أحب كثيراً فعل الأشياء ارتجالاً... ألا تحبين ذلك؟

قالت كارلوتا آدمز (وقد بدا من طريقة كلامها ما دلّ على إحساسها بالاشياء): أنا لا أعمل شيئاً -عادة- إلا بعد أن أخطط له بعناية، فهذا يجنبني القلق.

ضحكت جين وقالت: حسناً، على أية حال فالنتائج تثبت صحة كلامك. لا أظن أنني استمتعت بأي شيء أكثر من استماعي بعرضك هذه الليلة.

ظهر الارتياح على وجه الفتاة الأمريكية، وقالت بحماسة:

هذا لطف منك. كلامك هذا يعجبني؛ فأنا أحتاج إلى التشجيع...
كلنا كذلك.

قال الشاب صاحب الشارب الأسود: كارلوتا، صافحي العمّة
جين واشكرها على هذه الحفلة وهيا نذهب.

مشى نحو الباب بقوة وتبعته كارلوتا بسرعة، أما جين فقالت:
حسناً، من هذا الذي جاء على غير توقع وناداني بالعمّة جين؟ إنني
لم ألاحظ وجوده من قبل.

قالت السيدة ويديرن: لا تلتفتي لكلامه يا عزيزتي. كان طالباً
ذكياً وهو في جامعة أكسفورد، لا تفكري بهذا الآن. أكره رؤية فتى
واعد كهذا يفشل في النهاية. على أية حال يجب أن أذهب أنا وتشارلز
الآن.

خرج ويديرن وزوجته بخطى متعاقلة وذهب بريان مارتين
معهما.

- حسناً يا سيد بوارو؟

ابتسم لها قائلاً: نعم، ليدي إدجووير؟

- أرجوك لا تناديني بهذا الاسم؛ أريد أن أنساه. إنك صاحب
أقسى قلب في أوروبا!

- لا، لا، لست قاسي القلب.

- إذن هل ستذهب وترى زوجي وتجعله يفعل ما أريده منه؟

وعدها بوارو بحذر: سأذهب لأراه.

- وإذا ما رفض استقبالك (وهذا ما سيفعله...) فكّر بخطة
ذكية. يقولون إنك أذكى رجل في إنكلترا يا سيد بوارو.

- مدام، عندما قلت إنني قاسي القلب ذكرت أوروبا، ولكن
عندما ذكرت موضوع الذكاء قلت إنكلترا فقط.

- إذا أنجزت هذا العمل فسوف أقول إنك أذكى رجل في
العالم.

رفع بوارو يده مستكراً: مدام، لا أعذك بشيء. سوف أسعى
-خدمة لعلم النفس- إلى ترتيب لقاء مع زوجك.

- حلّله نفسياً كما تشاء، فقد يفيد هذا. ولكن يجب عليك أن
تنجح من مهمتك... من أجلي. يجب أن أعيش حياتي الرومانسية
يا سيد بوارو.

* * *

لا يعتزم الوفاء بها، ولكن وعود هيركيول بوارو وعود مقدسة يا صديقي.

انتصب في جلسته متباهياً عندما قال كلماته الأخيرة هذه، وقلت بسرعة: طبعاً، طبعاً، أعرف هذا. لكني ظننت أن وعدك ذلك كان تحت تأثير معين.

- ليس من عادتي أن أتوك أراثي تحت تأثير الآخرين يا هيستغز.
إن أكثر النساء جمالاً لا يمكنهن أن يؤثرن في آراء هيركيول بوارو!
لا يا صديقي، كل ما في الأمر أنني مهتم بالمسألة.

- بعلاقات جين ويلكنسون العاطفية؟

- ليس هذا بالضبط. إن علاقتها العاطفية - كما تسميها أنت - علاقة عادية جداً... هي خطوة في العمل الناتج لامرأة جميلة. ولو لم يكن دوق ميرتون يحمل لقباً ولا يملك ثروة فإن تشابهه المثير مع ناسك حالم لم يكن سيثير السيدة. لا يا هيستغز، ما يثير اهتمامي في هذه المسألة هو الحالة النفسية، تفاعل الشخصية. إنني أرحب بالفرصة التي ستجعلني أدرس اللورد إدجووير عن قرب.

- ولكنك لا تتوقع أن تنجح في مهمتك، أليس كذلك؟

- ولم لا؟ كل رجل عنده نقطة ضعف. لا تتصور - يا هيستغز - أنني لن أبذل جهدي للنجاح في المهمة الموكولة إليّ لأنني أدرس الحالة من وجهة نظر نفسية فقط. إنني أستمع دائماً بممارسة موهبة الإبداع عندي.

الفصل الثالث

الرجل ذو الضرس الذهبي

حدث ذلك بعد بضعة أيام حيث كنا جالسين على الإفطار، عندما رمى بوارو لي برسالة كان قد فتحها لتوه وقال: حسناً يا صديقي، ما رأيك بهذه؟

كانت الرسالة من اللورد إدجووير مكتوبة بكلمات جافة ورسمية وتحدد اليوم التالي موعداً للقاء في الساعة الحادية عشرة. لا بد من القول إنني فوجئت كثيراً؛ فقد كنت أستخفّ بكلمات بوارو التي قالها للّبيدي إدجووير وظننت أنه قالها مجاملة ولم أعرف أنه اتخذ إجراءات فعلية لتنفيذ وعده.

عرف بوارو (وهو حاد الذكاء) ما يجول بخاطري، وطرفت عيناه قليلاً: نعم يا صديقي، لم أكن شارد الذهن تلك الليلة.

- لم أقصد هذا.

- نعم، نعم؛ لقد فكرت في نفسك بأن هذا الرجل العجوز المسكين كان ذاهلاً في الحفلة ووعده بأشياء لن يفي بها. أو أنه

كنت أخشى أن يشير إلى الخلايا الرمادية الصغيرة، وقد شعرت بالراحة لأنه لم يذكرها. قلت: إذن هل ستذهب غداً إلى ريجنت غيت الساعة الحادية عشرة؟

رفع بوارو حاجبيه: نذهب؟!!

- بوارو! لن تتركني وحدي؛ إنني أذهب معك دائماً.

- لو كانت هذه جريمة أو قضية تسمم غامضة... آه؟ فهذه هي الأشياء التي تبتغ في روحك البهجة! لكن هذه مجرد مسألة خلاف اجتماعي أريد تسويتها.

قلت عازماً: لا أريد سماع كلمة أخرى. سأتي معك.

ضحك بوارو ضحكة لطيفة، وفي تلك اللحظة دخل الخادم ليخبرنا أن رجلاً قد جاء... ولشدة دهشتنا كان زائرنا هو بريان مارتن.

بدا الممثل في ضوء النهار أكبر سناً، وكان يرتدي ملابس أنيقة بسيطة، وقد ظهر لي متوتر الأعصاب بشكل جلي. قال مبتهجاً: صباح الخير يا سيد بوارو. أنا مسرور لرؤيتك والكاشين هيسنغز. بالمناسبة، أظن أنك مشغول جداً في الوقت الحاضر، أليس كذلك؟

ابتسم له بوارو ابتسامة لطيفة وقال: أبدأ؛ في الوقت الحالي ليس عندي أي عمل مهم أقوم به.

ضحك بريان: ماذا دهاك؟ ألم تستدعك شرطة سكوتلانديارد؟ ألا توجد أمور خطيرة لتحقق فيها لصالح الشرطة؟ لا أصدق هذا.

قال بوارو مبتسماً: أؤكد لك أنني غير مشغول الآن بأي عمل برغم أنني لا أتلقى إعانة بطالة بعد. الحمد لله.

قال بريان وهو يضحك مرة أخرى: حسناً، هذا من حسن حظي؛ إذ ربما أمكنك أن تؤدي لي خدمة.

نظر بوارو إلى الشاب متأملاً، ثم قال بعد قليل: هل عندك مشكلة؟

- الحقيقة: عندي... وليس عندي!

هذه المرة كانت ضحكته ساخرة. أشار بوارو إليه بالجلوس على أحد الكراسي وهو ينظر إليه بامعان. جلس الرجل مقابلنا في حين جلست أنا على الكرسي المجاور لبوارو. وقال بوارو: والآن، دعنا نسمع كل شيء عن ذلك.

بدا أن بريان مارتن يجد بعض الصعوبة في البدء بالحديث؛ فقد قال: "المشكلة أنني لا أستطيع أن أخبرك بما أريد بالضبط". وتردد قليلاً قبل أن يضيف قائلاً: لقد بدأت المشكلة كلها في أمريكا.

- في أمريكا؟

- ما لفت انتباهي إليها كان مجرد حادث. كنت -في الواقع- مسافراً بالقطار عندما لفت انتباهي رجلٌ قبيح المنظر، ضئيل الحجم، حليق اللحية، بليس نظارة، وله ضررس من ذهب.

- آه! ضررس من ذهب؟

- بالضبط، هذا - في الواقع - هو صلب الموضوع.

أوما بوارو برأسه عدة مرات: بدأت أفهم... أكمل حديثك.

- حسناً، كما قلت: لاحظت الرجل فقط. وكنت مسافراً وقتها إلى نيويورك. وبعد ذلك بستة أشهر كنت في لوس أنجلوس، ورأيت الرجل ثانية. لا أعرف لماذا وكيف رأيته، لكن هذا ما حدث. حتى الآن لا شيء في الأمر.

- نعم؟

- بعد ذلك بشهر واحد أتحت لي فرصة كي أذهب إلى سياتل، وبعد أن وصلت إلى هناك بوقت قصير رأيت صديقي هذا مرة أخرى، ولكنه كان - في تلك المرة - قد أطلق لحيته.

- أمر غريب ومحير!

- أليس كذلك؟ لم أتصور أن لذلك علاقة بي في ذلك الوقت، ولكني، عندما رأيت الرجل ثانية في لوس أنجلوس بلا لحية وفي شيكاغو بشارب وحاجبين مختلفين وفي قرية جبلية متنكراً بزي رجل مشرد... بدأت أتساءل؟

- أمر طبيعي.

- ربما استغرقت شعوري الذي أحسست به بعد ذلك، ولكني لم أجد أي شك فيه، لقد أيقنت أنني مراقب وأن الرجل يتبعني كظلي.

- طبيعي أن تحتس بذلك.

- أليس كذلك؟ ثم صار هذا الشعور يقيناً؛ فقد كان الرجل قريباً مني مثل ظلي في أي مكان كنت، وإن كان يتنكر بطرق مختلفة، ولكنني - لحسن الحظ - كنت أكشفه دائماً بسبب ضرس الذهب.

- آه، ضرس الذهب ذاك! إن وجوده صدفة سعيدة لك.

- كان كذلك فعلاً.

- اسمع لي يا سيد مارتن، ولكن ألم تتحدث مع الرجل أبداً؟ أما سألته عن سبب ملاحقته الدائمة لك؟

- لم أفعل في الواقع.

تردد الممثل ثم قال: فكرت أن أفعل ذلك مرة أو مرتين، لكنني كنت أقدر دائماً عكس ذلك. فذرت أنه يجب أن أحترس من هذا الرجل دون أن أخبره أنني كشفت أمره، فربما أرسلوا إليّ رجلاً آخر غيره ليتعقبني لو أحسوا أنني قد كشفت أمره.

- بالفعل. شخصاً ليس له ذلك الضرس الذهبي المفيد.

- بالضبط. قد أكون مخطئاً، ولكن هكذا قدّرت.

- تحدثت - يا سيد مارتن - بصيغة الجمع قبل قليل. من تقصد بقولك: أرسلوا، وأحسوا؟

- مجرد حدس. أحسست أن هذه الصيغة أنسب للحديث، فقد افترضت (ولا أعرف السبب) وجود جماعة غير معروفة.

- هل لديك أي سبب لهذا الافتراض؟

- لا.

- تعني أنك لا تعرف من الذي يمكن أن يلاحقك كظلك أو لأي غرض؟

- ليست لدي فكرة عن ذلك. على الأقل...

قال بوارو مشجعاً: أكمل.

قال بريان مارتن ببطء: خطرت لي فكرة. إنها مجرد تخمين.

- التخمين قد يكون مصيباً للغاية أحياناً.

- الأمر يتعلق بحادث حدث في لندن قبل سنتين. كان حادثاً بسيطاً، لكن لم يكن بالإمكان تفسيره أو نسيانه. لقد تعجبت وتحيرت منه كثيراً، فقط لأنني لم أجد تفسيراً له في ذلك الوقت، مما جعلني أميل إلى التساؤل إن كانت الملاحظة هذه متصلة بحياتي بطريقة أو بأخرى دون أن أتأكد من فهم السبب أو الكيفية.

- ربما بإمكانني أنا.

- نعم، ولكن كما ترى...

وعادت الحيرة والارتباك إلى بريان مارتن: الغريب أنني لا أستطيع أن أخبرك عن ذلك الحادث، أعني ليس الآن، ربما كنت قادراً بعد يوم أو نحو ذلك.

أكمل يائساً بعد أن رأى بوارو ينظر إليه متسانلاً: كما ترى، كانت هناك فتاة لها علاقة بالأمور.

- آه، إنها حلوى القصة! فتاة إنكليزية؟

- نعم، لماذا تسأل ذلك؟

- الجواب بسيط جداً. لا يمكنك أن تخبرني الآن لكنك تأمل أن تفعل ذلك بعد يوم أو يومين؛ وهذا يعني أنك تريد الحصول على موافقة الشابة؛ وهذا يعني أنها موجودة في إنكلترا، ولذلك فإنها إنكليزية (برغم أن هذا ليس مؤكداً). هل هذا تبرير جيد؟

- دون شك. والآن أخبرني يا سيد بوارو، إذا حصلت على موافقتها فهل ستنتظر في هذا الأمر لصالحها؟

سكت بوارو، كان يبدو وكأنه يقلب الأمر في ذهنه، وأجاب أخيراً: لماذا جئت إلي قبل أن تذهب إليها؟

تردد ثم قال: أردت أن أقنعها بأن... تحل هذا الأمر. أقصد، بأن تطلب مساعدتك. ما أعنيه هو أنك إن حققت في هذه المسألة، فإنه لا حاجة لجعل هذا الأمر عالياً، أليس كذلك؟

قال بوارو بهدوء: هذا يعتمد.

- ماذا تعني؟

- إن كانت أية مسألة تتعلق بجريمة...

- آه! لا توجد في المسألة أية جريمة.

- أنت لا تعرف، قد تكون كذلك.

- ولكن هل كنت ستبدّل جهنك من أجلها... من أجلنا؟

- هذا أمر طبيعي.

وسكت بوارو لحظة ثم قال متسائلاً: أخبرني، ما هو عمر هذا الرجل الذي كان يتبعك؟

- إنه شاب في نحو الثلاثين من العمر.

- آه! هذا ملفت للنظر فعلاً. نعم، هذا يجعل الأمر كله مثيراً للاهتمام أكثر.

حدقت فيه، وكذلك فعل بريان مارتن. أنا واثق أن ملاحظته هذه كانت غير مفهومة لنا نحن الاثنين. سألتني بريان عنها عن طريق رفع حاجبيه، فأجبت بهز رأسي نفيّاً دلالة على عدم الفهم.

همس بوارو: نعم، إنها تجعل القصة كلها مثيرة للاهتمام للغاية.

قال بريان مرتباً: قد يكون أكبر قليلاً، لكنني لا أعتقد ذلك.

- لا، لا، أنا متأكد أن ملاحظتك هذه دقيقة جداً يا سيد مارتن ومثيرة جداً، مثيرة بطريقة غير عادية!

أذهلت كلمات بوارو المبهمة بريان مارتن، وبدأ لا يعرف ماذا سيقول أو يفعل بعد ذلك. بدأ يتحدث حديثاً غير هادف وقال: كانت حفلة رائعة في تلك الليلة. إن جين وويلكسون أكثر النساء استبداداً.

قال بوارو وهو يتسم: لديها رؤية أحادية الجانب؛ فهي ترى شيئاً واحداً باستمرار.

قال مارتن: كما أنها تفلت من أفعالها هذه دون عواقب. لا أعرف كيف يطبقها الناس!

قال بوارو وعينه تطرف: إن المرأة يتحمل الكثير من امرأة جميلة يا صديقي، ولو كانت قبيحة لما أفلتت من العقاب.

سلمّ بريان قائلاً: هذا ممكن، لكنه يصيبني بالجنون أحياناً. ومع ذلك، فأنا مخلص لجين برغم أنني لا أعتقد أنها تدرك ما تقوله تماماً.

- على العكس، فأنا أعتقد أنها مدركة تماماً.

- لا أقصد هذا بالضبط... إن لديها كثيراً من عدم الاستقامة في عملها. أقصد أخلاقها.

- آه! أخلاقها؟

- إنها عديمة الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية؛ فهي لا تعرف الخطأ والصواب في ميزاها.

- أتذكر أنك قلت شيئاً من هذا في ليلة سابقة.

- كنا نتحدث عن جريمة عند ذلك...

- نعم يا صديقي؟

- قلتُ إنني لن أفاجأ إذا ما ارتكبت جين جريمة.

- إنني أعرفها بكل ما في الكلمة من معنى.

قال بوارو متأملاً: لا بد أنك تعرفها جيداً. أظنك قد مثلت معها أفلاماً كثيرة، أليس كذلك؟

- بلى؛ أظن أنني أعرفها معرفة وثيقة، وأرى أنها يمكن أن تقتل، وبسهولة تامة.

- آه! هل هي عصبية المزاج؟

- لا، لا؛ أبداً. إنها باردة، أقصد أنها تبعد كل من يعترض طريقها دون تفكير. ولا يستطيع المرء أن يلومها على ذلك... أقصد من الناحية الأخلاقية؛ فهي تعتقد أن على أي شخص يتدخل في شؤون جيل ويلكنسون أن يرحل.

كانت المرأة ظاهرة في كلماته الأخيرة بشكل لم يكن ملحوظاً قبل ذلك، وتعجبت من الذكريات التي يسترجعها.

- أعتقد أنها يمكن أن ترتكب جريمة قتل؟

راقبه بوارو بإمعان، فيما سحب نفساً عميقاً وهو يقول: ستفعل ذلك... قد تتذكر كلماتي هذه في يوم من الأيام. أنا أعرفها، وأقدر أن يوسعها أن تقتل بنفس السهولة التي تشرب فيها شاي الصباح. إنني أعني ما أقوله يا سيد بوارو.

كان بريان قد نهض واقفاً وهو يردد كلماته الأخيرة، وقال بوارو بهدوء: نعم، أرى أنك تعني ما تقول.

وقف عابساً لبعض الوقت، ثم قال بنبرة مغايرة: بالنسبة للموضوع الذي كنا نتحدث عنه فسوف أبلغك خلال بضعة أيام يا سيد بوارو. هل ستتولى القيام به؟

نظر إليه بوارو لحظات دون أن يرد عليه، ثم قال أخيراً: نعم، سأتولاه؛ إنني أراه مثيراً.

أحسست بشيء غريب في التبرة التي لفظ بها بوارو كلماته الأخيرة، وعندما رافقت بريان مارتن إلى الباب قال لي وهو يهم بالمغادرة: هل فهمت ما كان يقصده بخصوص عمر ذلك الرجل؟ أقصد: لماذا كان مهتماً بأنه في حدود الثلاثين من عمره؟ لم أفهم ذلك على الإطلاق.

اعترفت قائلاً: ولا حتى أنا.

- لا يبدو أن له مغزى. ربما كان يمازحني.

قلت: لا؛ بوارو ليس كذلك، ومادام يقول إن لهذه النقطة دلالتها فالأمر كما يقول.

- حسناً، أنا لا أفهمها، كما أنني مسرور لأنك لا تعرفها أنت الآخر. لا أحب أن أشعر بأنني أحمق.

خرج من البيت، فيما عدت إلى صديقي ويادرتة قائلاً: بوارو، ماذا كان غرضك من سؤاله عن عمر الرجل الذي كان يطارده؟

- ألا تفهم ذلك؟ مسكين أنت يا هينستغز!

ابتسم وهز رأسه، ثم سأل: ما رأيك في لغاتنا هذا بشكل عام؟

- لدينا القليل جداً حتى نحكم عليه. لو عرفنا أكثر...

- حتى من غير أن نعرف مزيداً، ألم تخاطر لك بعض الأفكار المعينة يا صديقي؟

الفصل الرابع مقابلة

وصلت مع بوارو إلى بيت اللورد إدجووير في ريجنت غيت ونحن في حالة من الترقب المثير، ورغم أنني لم أكن مغرمًا بعلم النفس مثل بوارو إلا أن الكلمات القليلة التي ذكرتها الليدي إدجووير عن زوجها قد أثارت فضولي، وكنت مهتمًا بمعرفة النتيجة التي سأتوصل إليها من المقابلة.

كان البيت مهيباً، جميل البناء، أنيقاً، ولكنه كان كئيباً بعض الشيء. لم يكن ثمة أصيص زهور على عتبات النوافذ ولا أي شيء من مثل هذه الأشياء النافذة.

فتح لنا الباب على الفور، ولكن الذي فتحه لم يكن خادماً أبيض الشعر كما هي العادة المتبعة، بل على العكس من ذلك، فقد فتح لنا الباب شاب أنيق جداً لم أر له مثيلاً في أناقته. كان طويلاً أشقر الشعر وسيماً، ورغم وسامته فقد أبغضت فيه شيئاً من الخنوة تجلّت في نعومة صوته، كما أنه ذكرني، وبطريقة غريبة، بشخص شخص التقيت به هو الآخر مؤخراً، لكنني لم أستطع تذكره.

رنّ جرس الهاتف في تلك اللحظة (وهو ما أنقذني من خزي الاعتراف بأن أية فكرة ذات شأن لم تخاطر بياني) ورفعت الساعة فإذا المتحدث امرأة، وكان صوتها واضحاً وثقاً وهي تقول: معك سكرتيرة اللورد إدجووير. يأسف اللورد إدجووير لاضطراره أن يلغي الموعد مع السيد بوارو غداً صباحاً لأنه سيذهب إلى باريس غداً لسبب طارئ. يمكنه مقابلة السيد بوارو لبضع دقائق الساعة الثانية عشرة والربع صباح هذا اليوم إن كان ذلك يناسبه.

استشرت بوارو فرةً قاتلاً: بالتأكيد يا صديقي، سنذهب إلى هناك هذا الصباح.

كررت هذه الكلمات في السماع، فأجابني صاحبة الصوت الواضح: عظيم، الثانية عشرة والربع هذا الصباح.

ثم وضعت السماع.

* * *

سألنا عن اللورد إدجووير، فقال الرجل: من هذا الطريق يا سيدي.

عبرنا الصالة وهو يتقدمنا، ومررنا بجانب الدرج إلى باب في آخر الردهة. وبعد أن فتحه أعلن وصولنا بذلك الصوت الناعم الذي لم أثنى به غريباً.

كانت جدران الغرفة التي قادنا الخادم إليها (والتي بدا أنها غرفة المكتبة) مرصوفة بالكتب، وكان الأثاث أنيقاً رغم أنه داكن اللون، أما الكراسي الرسمية فلم تكن مريحة أبداً. وكان اللورد إدجووير، الذي نهض لاستقبالنا، رجلاً طويلاً في نحو الخمسين من عمره: شعره أسود قد خالطه الشيب، ووجهه رفيع، وابتسامته ساخرة، وكان يبدو سيء المزاج قاسياً، وفي عينيه شيء خفي غريب. أما سلوكه معنا فكان رسمياً فقطاً.

- سيد هيركيول بوارو؟ الكاتب هيستنغر؟ أرجو أن تجلسا.

كانت الغرفة باردة، ويدخل من نافذتها ضوء خفيف فتضيف الظلمة إلى جو الغرفة شيئاً من الرهبة. حمل اللورد إدجووير رسالة عرفت أنها بخط يد صديقي وقال: اسمك مألوف لدي يا سيد بوارو بالطبع؛ ومن لا يعرفك؟

انحنى بوارو أمام هذا الإطراء، وأكمل اللورد: لكنني لا أستطيع تفهم موقفك في هذه المسألة. أنت تقول إنك ترغب برؤيتي نيابة عن...، وسكت قليلاً ثم أضاف: زوجتي!

قال الكلمة الأخيرة بطريقة غريبة، وكأنه نطقها بجهد كبير. قال صديقي: هذا صحيح.

- أعرف أنك محقق في الجريمة يا سيد بوارو.

- أنا أحقق بكل أنواع المشكلات يا لورد إدجووير.

- فعلاً، وماذا تكون مشكلتي أنا؟

كانت نبرة السخرية واضحة الآن في كلماته، ولكن بوارو لم يلتفت إليها وقال: لقد حصل لي الشرف في الاتصال بك نيابة عن الليدي إدجووير، وكما تعلم فإن الليدي إدجووير ترغب في... الطلاق.

قال اللورد إدجووير بفتور: أعرف هذا تماماً.

- وقد اقترحت أن أناقش هذا الأمر معك.

- لا يوجد شيء للمناقشة.

- إذن فأنت ترفض؟

- أرفض؟ لا بالتأكيد.

ربما توقع بوارو أنني جواب غير ذلك الذي سمعه. إذ نادراً ما كنت أرى صديقي مذهولاً، ولكنني رأيت كذلك هذه المرة، وكان شكله مضحكاً: فغر فاه ولوح يديه في الهواء ورفع حاجبيه... كان يبدو كالرسوم المتحركة في صحيفة هزلية. صاح مستفسراً: أكيد؟ ما هذا؟ أنت لا ترفض؟

- أنا متحير من سبب دهشتك يا سيد بوارو.

- هل أنت موافق على طلاق زوجتك؟

- أنا راغب بذلك بالتأكيد. إنها تعرف ذلك تماماً؛ فقد كتبت

لها رسالة وأخبرتها بذلك.

- كتبت لها وأخبرتها بذلك؟

- نعم؛ قبل ستة أشهر.

- ولكني لا أفهم... لا أفهم أي شيء على الإطلاق.

لم يقل اللورد إدجوير شيئاً، فيما أردف بوارو مستغرباً: فهمت أنك تعارض مبدأ الطلاق.

- لا أظن أن مبادئ من شأنك يا سيد بوارو. صحيح أنني لم أطلق زوجتي الأولى؛ لم يكن ضميري يسمح لي بفعل ذلك، أما زوجي الثاني فأعترف -صراحة- بأنه كان غلطاً. وعندما طلبت زوجتي الطلاق رفضت بصراحة، وقبل ستة أشهر كتبت إليّ ثانية وكانت تلح بهذا الأمر. وقد عرفت أنها كنت تريد الزواج ثانية، ربما بممثل سينمائي أو زميل لها، وفي ذلك الوقت كنت قد غيّرت رأيي؛ فكتبت لها رسالة وهي في هوليوود أخبرها بذلك. لا أعرف لماذا أرسلتلك إليّ... أظن أنها مسألة تتعلق بالمال.

قال هذه الكلمات الأخيرة بنبرة ساخرة مرة أخرى. وهمس بوارو: غريب... غريب جداً! في هذا الأمر شيء لا أفهمه أبداً.

أكمل اللورد إدجوير: بالنسبة للمال فقد هجرتني زوجتي بمحض إرادتها؛ إن كانت ترغب في الزواج برجل آخر فيمكنني السماح لها بفعل ذلك بحرية، ولكن لا يوجد سبب يدعوني لإعطائها بنساً واحداً من أموالي، ولن تأخذها!

- إنها لم تطرح أي موضوع يتعلق بشسوية مالية.

رفع اللورد إدجوير حاجبيه دهشة وهمس ساخراً: لا بد أن جين ستزوج رجلاً غنياً.

قال بوارو: يوجد شيء لا أفهمه.

كانت الحيرة بادية على وجهه فيما هو مستغرق في التفكير، ثم قال: لقد فهمت من الليدي إدجوير أنها اتصلت بك مراراً من خلال المحامين.

ردّ اللورد إدجوير بجفاف: نعم؛ محامين إنكليز ومحامين أمريكيان، محامين من كل نوع، غث وسمين، وفي النهاية كما قلت لك: كتبت إليّ رسالة بنفسها.

- هل رفضت طلبها من قبل؟

- نعم، هذا صحيح.

- لكنك غيرت رأيك عندما استلمت رسالتها. لماذا غيرت رأيك لورد إدجوير؟

قال محتدّاً: لم يكن ذلك بسبب رسالتها. لقد حدث أن تغيرت آرائي، هذا كل ما في الأمر.

- لقد كان التغير مفاجئاً نوعاً ما.

ثم يجبه اللورد إدجوير.

- ما هي الظروف الخاصة التي دفعتك لتغيير موقفك يا لورد إدجوير؟

- هذا شأني الخاص يا سيد بوارو... لا أستطيع الدخول في هذا الموضوع. دعنا نقُل: إنني فهمت فوائد الانفصال تدريجياً، حيث إنني كنت أعتبر زواجي هذا علاقة فاسدة، وأرجو أن تغفر لي صراحتي هذه. لقد كان زواجي الثاني غلطاً.

قال بوارو بهدوء: زوجتك تقول نفس الكلام.

- حقاً؟

لمعت عيناه ببريق غريب، ولكنه تلاشى على الفور. ثم نهض بشكل يوحي بأن اللقاء قد انتهى، وعندما ودَّعناه أصبح أسلوبه أقل تحفظاً: أرجو أن تسامحتني على تغيير الموعد؛ يجب أن أذهب إلى باريس غداً.

- لا حرج، لا حرج أبداً.

- إن الرحلة -في الواقع- لحضور مزاد على بعض الأعمال الفنية. لقد رأيت تمثالاً صغيراً أعجبني، فهو شخص الموت، وأنا أستمع بالأعمال التي تشخص الموت. أنا دائماً هكذا... ذوقي غريب!

مرة أخرى ابتسم ابتسامة غريبة فيما كنت أنظر إلى الكتب الموجودة على الأرفف القريبة مني. رأيت كتاب «ذكريات كازانوفا» وكتاباً آخر عن أساليب التعذيب في العصور الوسطى. وتذكرت كيف كانت جين ويلكنسون ترتعد قليلاً وهي تتحدث عن زوجها. لم يكن ذلك تمثيلاً، بل رعباً حقيقياً، ولقد حملني ذلك على التساؤل: أي نوع من الرجال كان جورج ألفريد سانت فينسنت مارش، المعروف بالبارون إدجوير الرابع؟

ودَّعنا وداعاً لطيفاً وهو يضغط على الجرس، وخرجنا من الغرفة فيما كان الخادم الوسيم ينتظر في الصالة. وعندما التفت لإغلاق باب المكتبة نظرتُ ورائي إلى داخل الغرفة نظرة خاطفة، وكذت أصبح وأنا أفعل ذلك! لقد تجهَّم ذلك الوجه اللطيف المبتسم، حيث زَمَّ شفتيه وأتقدت عيناه غضباً، وبدأ ثائراً ثورة مجنون. ولم أعد أتعجب لماذا تركت امرأتان اللورد إدجوير، إنما الذي أدهشني -فعلاً- هو قدرة ذلك الرجل الخارقة على ضبط نفسه. لقد بدت أعصابه مسترخية باردة خلال اللقاء، وآتمس بكل الأدب والتحفظ الممكنين!

وعندما وصلنا الباب الأمامي فُتح باب عن يميننا، فإذا نحن بفئة تقف من خلفه، ولكنها ما لبثت أن تراجعت إلى الوراء قليلاً عندما وقع نظرها علينا. كانت فتاة طويلة نحيلة سوداء الشعر شاحبة الوجه، وقد نظرت إلينا برهةً بعينين سوداوين خائفتين ثم تراجعت إلى داخل الغرفة ثانية كأنها خيال وأغلقت الباب.

لحظات وكنا قد خرجنا إلى الطريق حيث طلب بوارو سيارة

كانت جين في الفندق، وبعد الاتصال بها هاتفياً أخبرنا الموظف أن بوسعنا الصعود إلى جناحها. وقد قادنا إلى الجناح أحد الخدم ثم فتحت لنا الباب امرأة كبيرة في العمر أنيقة الهندام تضع نظارة ولها شعر رمادي مرتب. نادتها جين من غرفة النوم بصوتها الأجلش: هل هذا هو السيد بوارو يا إيليس؟ اطلبي منه أن يجلس وسأحضر خلال لحظات.

جاءت جين ويلكنسون وهي تسأل متلهفة، وطمأنها بوارو: كما قلتُ يا مدام بالضبط؛ الوضع حسن بكل ما في الكلمة من معنى.

- يا إلهي، ماذا تعني؟

- إن اللورد إدجوير مستعد تماماً للموافقة على الطلاق.

- ماذا؟!

ما أدري أكان ذلك الدهول الذي بدا على وجهها تعبيراً حقيقياً صادقاً أم هو جزء من قدرات ممثلة بارعة!

قالت: سيد بوارو، لقد نجحت في هذا العمل على الفور! يمثل هذه السرعة؟ إنك عبقري. كيف فعلت ذلك بالله عليك؟

- مدام، لا تطرني بما لا أستحق. لقد كتب إليك زوجك رسالة قبل ستة أشهر تراجع فيها عن معارضته للطلاق.

- ما هذا الذي تقوله؟ كتب إلي؟ أين؟

- فهمت أن ذلك كان وأنت في هوليود.

أجرة، وما لبثنا أن دخلنا السيارة وطلب من سائقها أن يتوجه إلى فندق سافوي. قال وعيناه تطرفان: حسناً يا هيستغز، لم يجز هذا اللقاء كما تخيلت في نفسي.

- رجل غريب اللورد إدجوير هذا!

سردت له كيف نظرتُ خلفي قبل أن أغلق باب المكتب وما رأيته. أوما برأسه ببطء وتأمل قائلاً: أتوقع أنه على حافة الجنون يا هيستغز. أظنه يمارس كثيراً من الرذائل الغربية ويخفي تحت مظهره اللامبالي غريزة عميقة الجذور من الوحشية.

- لا عجب إذن أن تتركه زوجته.

- كلامك صحيح.

- بوارو، هل لاحظت الفتاة وأنت خارج؟ فتاة داكنة الشعر وجهها شاحب.

كان صوته هادئاً وهو يجيبني: نعم، لاحظتها يا صديقي. فتاة شابة خائفة وحزينة.

- من نظنها؟

- قد تكون ابنته.

- لقد بدت خائفة. لا بد أن هذا البيت كئيب بالنسبة لفتاة شابة.

- نعم. أه! ها قد وصلنا يا صديقي. والآن سنبلغ الليدي بالأخبار الطيبة.

- لا بد أن هذه الرسالة قد ضلّت طريقها؛ فأنا لم أستلمها قط. لقد كنت أفكر وأخطط وأنا على درجة من الغضب يكاد يصيبني الجنون طوال تلك الأشهر.

- الظاهر أن اللورد إدجوور يظن بأنك ترغيبين في الزواج بمحمل.

- أمر طبيعي... هذا ما أخبرته به.

ابنست امتسامة طفولية قبل أن تتحوّل فجأة معالم وجهها لتعتبر عن نظرة خوف وهي تسأل: هل أخبرته عن موضوعي أنا والدوق يا سيد بوارو؟

- لا، لا. اطمئني؛ فأنا أحفظ الأسرار.

- إن لديه - كما ترى - طبيعة خسيّة غريبة؛ فهو إذا أحسّ بأن زواجي بميرتون ربما يُعَلِي من مكانتي فسوف يسعى لإفشال خطتي بالتأكد، ولكن ممثل السينما أمر مختلف. ومع ذلك فقد فوجئت. نعم، لقد فوجئت. ألا تحسّين أنت أيضاً بالمفاجأة يا إليس؟

لاحظت أن الخادمة كانت تتحرك في المكان جيئة وذهاباً وهي ترتب الأغذية المبعثرة على الكرسي. كنت قد ظننت أنها تعمّدت أن تنصّت على حديثنا، ولكنني أدركت الآن أنها كانت موضع ثقة جين النامة. قالت الخادمة بحقد: نعم يا سيدي؛ لا بد أن اللورد تغير كثيراً عما كنا نعرفه.

قال بوارو: أنت لا تستطيعين فهم موقفه، فهو موقف محير، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن لا حاجة للقلق من هذا على أية حال. هل يهم معرفة السبب الذي جعله يغير رأيه ما دام قد غيّره؟

- قد لا يثير هذا الأمر الصغير اهتمامك يا مدام، ولكنه يثير اهتمامي أنا.

لم تلتفت جين له وهي تكمل حديثها: الشيء المهم أنني أصبحت حرة... أخيراً.

- ليس بعد يا مدام.

نظرت إليه حائقة: حسناً، سأصبح حرة... نفس الشيء.

بدأ أن يوارو لا يعتقد أن الأمر سيّان.

قالت جين: الدوق في باريس. يجب أن أرسل له برقية الآن، وأرجو ألا تكون أمه العجوز فظة!

نهض بوارو مستنظاً: أنا مسرور - يا مدام - لأن كل شيء يسير كما ترغيبين.

- وداعاً يا سيد بوارو، وشكراً لك كثيراً.

- أنا لم أفعل شيئاً.

- على أية حال فقد جئت بالأخبار الطيبة، وأنا شاكرة لك كثيراً... إنني حقاً شاكرة لك.

وأخذ بوارو يتحدثني ونحن في طريقنا خارج الجناح: إذن هكذا الأمر... الأمانة نفسها! إنها لا تفكر ولا تريد أن تعرف لماذا لم

تصلها تلك الرسالة. لاحظ يا هينستغز؛ إنها امرأة داهية في عملها، لكنها تفكر - فيما عدا ذلك - إلى الذكاء. حسناً، إن المرأة لا يمكن أن يكون كاملاً.

قلت بتحفظ: إلا هيركيول بوارو.

أجاب بهدوء: أنت تهزأ بي يا صديقي. اقترح - على أية حال - أن نسير قليلاً على الجسر؛ فأنا بحاجة إلى الهدوء لأرتب وأنظم أفكاري.

التزمت الصمت المطبق ونحن نسير على الجسر مترقياً تصرّيح بوارو، ثم تكلم أخيراً ونحن بجانب النهر: هذه الرسالة تثير اهتمامي... توجد أربعة حلول لتلك المشكلة يا صديقي.

- أربعة؟

- نعم. أولاً: لعلها ضاعت في البريد، وهذا يحدث كما تعرف، لكنه لا يحدث كثيراً. نعم، ليس كثيراً. لو كان العنوان خاطئاً لكان المفترض أن تُعاد إلى اللورد إدجوير منذ مدة طويلة... إنني أميل إلى استبعاد هذا التفسير برغم أنه قد يكون صحيحاً. الحل الثاني: هو أن سيدتنا الجميلة كذبت عندما قالت إنها لم تستلمها أبداً، وهذا ممكن بالتأكيد! إن تلك السيدة الفاتنة تستطيع أن تكذب من أجل مصلحتها مظهرية براءة الطفولة، لكنني لا أدرك يا هينستغز مصلحتها في ذلك، وإذا عرفت أنه موافق على طلاقها فلماذا ترسلني لكي أطلب منه أن يفعل ذلك؟ هذا لا معنى له. الحل الثالث: هو أن اللورد إدجوير يكذب. فإذا كان أحدهما يكذب فإن المرجح - عندها - أن يكون

الزوج لا الزوجة، لكنني لا أرى وجود هدف للكذبة. لماذا يزعم أنه بعث رسالة قبل ستة أشهر؟ لماذا لا يوافق على طلبي ببساطة؟ لا. إنني أميل إلى الاعتقاد بأنه أرسل تلك الرسالة فعلاً رغم أنني لا أستطيع تخمين الدافع الذي جعله يغير موقفه فجأة. وهكذا تأتي إلى الحل الرابع: وهو أن شخصاً ما قد أخفى تلك الرسالة، وهنا - يا هينستغز - ندخل في دوامة واسعة مثيرة من التفكير، لأن تلك الرسالة يمكن أن تكون قد أخفيت في أي من البلدين: أمريكا أو إنكلترا. وكائنات من كان هذا الذي أخفاها فإنه أراد لذلك الزواج أن يستمر! هينستغز، إنني مهتم للغاية بمعرفة الأشياء الكامنة وراء هذه المسألة. ثمة شيء ما... أنا واثق أن ثمة شيئاً ما.

وسكت، ثم أضاف ببطء: شيئاً عجزت إلى الآن عن إدراكه، سوى لمحة خاطفة منه!

* * *

يا هيتنغز. ولكن يجب أن تتذكر أن جاب المسكين يريد أن يحفظ ماء وجهه، وهذا ما يدفعه إلى التصرف على ذلك النحو... هذا أمر طبيعي.

أظهرت عدم اقتناعي بذلك الأسلوب ولكن بوارو لم يوافقني، فقد قال: «المظهر الخارجي شيء تافه، لكنه ما يهم الناس. إنه هو الذي يدفعهم إلى الشعور بالاحترام والتقدير».

كنت أعتقد -شخصياً- بأن مقداراً ضئيلاً من عقدة النقص لن يؤدي جاب بشيء، ولكن لم يكن في الجدل حول هذه المسألة فائدة، كما أنني كنت مهتماً بمعرفة السبب الذي جاء جاب من أجله.

حيناً نحن الاثنين بحرارة وأصاف قاتلاً: أرى أنكما ذاهبان لتناول الإفطار... ألم تجعل الدجاج يضع بيضاً مكعب الشكل بعد؟ يا سيد بوارو؟

كانت عبارته تلك إشارة إلى شكوى من بوارو حول الأحجام المختلفة للبيض التي كانت تزعجه وتعارض مع حساسية المراهقة في التناسب. وقال بوارو مبتسماً: ليس بعد. ولكن ما الذي جاء بك لزيارتنا في هذا الوقت المبكر أيها الطبيب جاب؟

- الوقت ليس مبكراً بالنسبة لي؛ فأنا قد استيقظت وبدأت العمل منذ ساعتين. أما بالنسبة لزيارتي هذه فسيبها جريمة قتل.

- جريمة قتل؟

الفصل الخامس

جريمة

كان اليوم التالي هو الثلاثين من حزيران، وكانت الساعة التاسعة والنصف عندما قيل لنا إن المفتش جاب موجود في الطابق الأرضي ويريد رؤيتنا على أحر من الجمر. ولم تكن قد رأينا مفتش سكوتلاتيارد منذ بضع سنين.

قال بوارو: آه، جاب الطبيب! ترى ماذا يريد؟

أجبت بسرعة: مساعدة... لا بد أنه يحقق في قضية معينة وجاء إليك لتساعده.

لم أكن أحمل للمفتش جاب الود الذي كان بوارو يحمله، كما أنني لم أحب طريقته في انتزاع المعلومات من بوارو، بالرغم مما كنت ألمسه من استمتاع بوارو نفسه بذلك، الأمر الذي كنت أقتره على أنه إرضاء لبعض غروره. أما ما كان يضايقني أكثر في جاب فهو نفاقه وزعمه بأنه لا يفعل مثل هذا الأمر.

قلت هذا لبوارو، فضحك قاتلاً: أنت ملكي أكثر من الملك

أوما جاب برأسه موافقاً: لقد قُتل اللورد إدجوير في منزله في ريجنت غيت الليلة الماضية... طعنته زوجته بالسكين في رقبتة.

صحت: زوجته؟!

تذكرت بسرعة كلمات بريان مارتن صباح اليوم السابق. هل تراه تنبأ بما كان سيحدث؟ وتذكرت -أيضاً- كلام جين الصريح عن قتله. لقد وصفها بريان مارتن بأنها تفكر إلى المسؤولية الأخلاقية. كانت من هذا النوع، نعم، قاسية القلب ومغرورة وغبية. لقد كان مصيباً في حكمه.

كل هذا دار في رأسي بينما كان جاب يكمل: نعم، إنها ممثلة معروفة جيداً؛ جين ويلكنسون. تزوجته قبل ثلاث سنوات، ولم ينجحاً في زواجهما ففارقته.

بدا بوارد متحيراً مهموماً، وما لبث أن قال متسائلاً: ما الذي جعلك تعتقد بأنها هي القاتلة؟

- ليس في الأمر اعتقاد؛ لقد تم التعرف إليها. كما أنه لم يكن في الأمر إخفاء أو مواربة، فقد ذهبت بسيارة أجرة...

كررت الكلمة بلا وعي: سيارة أجرة... وتذكرت كلماتها في فندق سافوي تلك الليلة.

وأكمل جاب: قرعت الجرس وسألت عن اللورد إدجوير. كان ذلك في العاشرة ليلاً، وعندما قال الخادم إنه سيخبره قالت له بكل برودة: "لا حاجة لذلك؛ فأنا الليدي إدجوير، وأظن أنه في المكتبة."

وهكذا سارت وفتحت الباب ودخلت وأغلقتة وراءها. واستغرب الخادم تصرفها ولكنه لم ير بأساً في الأمر، ونزل إلى الطابق السفلي ثانية، وبعد ذلك بعشر دقائق سمع صوت الباب الأمامي وهو يغلق. وهكذا فهي لم تمكث طويلاً. رفع بصره إلى الساعة فوجدها الحادية عشرة ليلاً تقريباً، وفتح باب المكتبة فوجدها معتمة مما دفعه إلى الاعتقاد بأن سيده قد ذهب إلى النوم. وفي الصباح اكتشفت إحدى الخادومات جثته، وكانت مطعونة في مؤخرة الرقبة تحت شعره مباشرة.

- ألم يصرخ؟ ألم يسمع أحد شيئاً؟

- يقولون إنهم لم يسمعوا. إن أبواب المكتبة عازلة للصوت، كما أن كثيراً من أهل البيت يتحركون محدثين جلبة، والطعن بهذه الطريقة يسبب الوفاة بسرعة مذهلة. قال الطبيب إنها طعنة نافذة إلى النخاع العظمي، أو شيء قريب من هذا. إذا ضربت شخصاً على هذا المكان بالضبط فإنه يقتل على الفور.

- هذا يدل على معرفة الجاني بالموضع القاتل بالضبط، مما يعني أن له دراية طبية.

- نعم، هذا صحيح، وهذه نقطة لصالحها كما هو ظاهر، لكنني متأكد أن الأمر صدفة لا غير؛ فقد حالفها الحظ بصورة مذهلة كما يحصل مع بعض الناس أحياناً.

قال بوارد: لن تكون محظوظة إلى هذا الحد عندما يقودها ذلك إلى حبل المشنقة يا صديقي؟

مجرد تمضية وقت من النهار مع رفيق قديم، أليس كذلك؟ لديك هنا جريمة قتل جميلة واضحة، القاتلة فيها معروفة وكذلك الدافع، على فكرة: ما هو الدافع بالضبط؟

- أرادت الزواج برجل آخر. لقد سمعوها تقول هذا قبل أقل من أسبوع، كما سمعوها أيضاً وهي تهدد، وقالت إنها تعزم أن تطلب سيارة أجرة وتذهب لتقتله.

- آه! إن معلوماتك جيدة، جيدة جداً. لا بد أن شخصاً ما كان مثلاً جداً لمساعدتك بهذه المعلومات.

أحسست أن عيني جاب تنساء لان، ولكنه -رغم ذلك- ظل صامتاً ولم يبادر بالسؤال، وأخيراً قال بشيء من التاكيد: نحن نحتاج أن «نسمع» يا سيد بوارو... هذه وظيفتنا!

أوما بوارو برأسه. وفيما هو منصت لجاب خلال حديثه كان قد مّد يده فأخذ الصحيفة اليومية، وكان جاب قد جاء بها معه وفتحها وبدأ بقراءتها وهو في انتظارنا ثم ألقى بها جانباً عندما دخلنا. وبشكل آلي طوى بوارو الصحيفة ورتبها من وسطها. لقد كانت عيناها مثبتتين على الصحيفة ولكن عقله كان بعيداً عنها غارقاً في حيرة شديدة، وقال على الفور: أنت لم تجبني. ما دامت الأمور كلها تسير بيسر وسهولة فلماذا جئت إلي؟

- لأنني سمعت بأنك كنت موجوداً في ريجنت غيبت، منزل الفتيل، صباح أمس.

- فهمت.

- لقد كان ذلك حماقة منها... ذهابها إلى البيت بهذه الطريقة وإعطاء اسمها وكل هذه الأمور.

- فعلاً؛ إن ذلك الأمر لغريب.

- ربما لم تعزم قتله، فلعلهما تشاجرا ثم أخرجت سكين الجيب وطمعته طعنة واحدة.

- أوكا نث سكين جيب؟

- شيء كهذا حسب قول الأطباء. أتياً كانت أداة الجريمة فقد أخذتها معها؛ إذ لم توجد أداة الجريمة مع الجثة.

هز بوارو رأسه تعبيراً عن استيائه: كلا، كلا يا صديقي، لم يكن كذلك. أنا أعرف السيدة؛ إنها لا تستطيع القيام بهذا العمل المروع ويمثل هذه القوة، وإلى جانب ذلك فمن غير المحتمل أن تحمل معها سكين جيب. قليل من النساء يفعلن ذلك، وجين ويلكسون ليست منهن بالتأكيد.

- هل قلت إنك تعرفها يا سيد بوارو؟

- نعم، أعرفها.

لم يقل جاب شيئاً آخر في تلك اللحظة، بل وقف يحدّق في بوارو متسائلاً، وفي النهاية جازف بسؤاله: هل تحتفظ بمعلومات معينة يا سيد بوارو؟

- آه! هذا يذكرني بشيء. ما الذي أحضرك إلي؟ الأمر ليس

- وحالما سمعت ذلك قلت في نفسي: لا بد من وجود شيء ما. لقد أرسل اللورد في طلب السيد بوارو، فلماذا؟ ما الذي كان يشك فيه؟ ما الذي كان يخشاه؟ وقبل أن أقوم بأي فعل جازم كان عليّ أن أتحدث معك.

- ما الذي تعنيه بقولك: «أي فعل جازم»، أظن أنه اعتقال السيدة؟

- بالضبط.

- ألم ترها بعد؟

- بل رأيتها، كان الذهاب إلى فندق سافوي أول شيء فعلته، فما كان يمكن أن أدعها تهرب.

- آه! إذن فانت...

سكت. وبدت على عينيه الآن ملامح مختلفة بعد أن كانتا مركبتين على الصحيفة أمامه متأملًا. رفع رأسه وتكلم بنبرة مغايرة: وما الذي قالته يا صديقي، إيه؟ ما الذي قالته؟

- قلت لها العبارة المعتادة - بالطبع - بخصوص طلب أقوالها وحذرتها، إنك لا تستطيع اتهام الشرطة الإنكليز بالظلم.

- برأيي أنهم كذلك إلى حد الحماقة. ولكن أكمل حديثك، ما الذي قالته السيدة الكريمة؟

- أصيبت بالهستيريا... هذا ما حدث. تكورت وفردت ذراعيها

ثم ألقت بنفسها على الأرض بقوة. آه! لقد فعلت ذلك بطريقة جيدة، أعترف بذلك، كانت تمثيلية رائعة.

قال بوارو بلطف: إذن أنت تظن أن حالتها الهستيرية لم تكن حقيقة، أليس كذلك؟

طرفت عينا جاب: ماذا ترى؟ لست من النوع الذي يمكن خداعه بمثل هذه الحيل. لم تفقد وعيها، كانت تجرب ذلك فقط، أقسم أنها كانت تستمتع بذلك.

- نعم؛ أعتقد أن ذلك كان ممكناً. وماذا حدث بعد ذلك؟

- آه، أغمي عليها! أقصد أنها تظاهرت بذلك. وكانت تتن وتجار، ثم جاءت تلك الخادمة صاحبة الوجه النكد وأعطتها النشادر، وفي النهاية تعافت وطلبت محاميتها. أرادت أن لا تقول شيئاً إلا بوجوده. في لحظة من اللحظات كانت هستيرية ثم في لحظة أخرى تطلب محاميتها. أود أن أسألك الآن: هل هذا سلوك طبيعي يا سيدي؟

قال بوارو بهدوء: في هذه الحالة يعتبر سلوكاً طبيعياً تماماً.

- هل تعني أنه طبيعي بسبب كونها مذنبة، وهي وافقة من ذلك.

- لا؛ أبداً. إنما أقصد بسبب مزاجها، في البداية تُظهر لك كيف تقوم بأداء دور زوجة تعلم فجأة بخبر وفاة زوجها، ثم بعد إشباع غريزتها بالتمثيل يحملها ذكاؤها الفطري على أن تطلب محامياً.

لا يمكنك اعتبارها مذنباً لمجرد ابتكارها ذلك المشهد التمثيلي واستمتاعها بأدائه. هذا فقط يدل على أنها ممثلة بالفطرة.

- لا يمكنها أن تكون بريئة، هذا أكيد.

- أنت متأكد جداً، أظن أن ذلك صحيح. هل قلت إنها لم تُدَلِّ بأية أقوال؟

ابتسم جاب وهو يقول: رفضت أن تقول كلمة واحدة بلا محاميها، وقد اتصلت الخادمة بطلبي، فتركت اثنين من رجالي هناك وجئت إليك مباشرة. اعتقدت أنه يجب علي معرفة الذي كان يجري قبل أن أبشر الأمور.

- ومع ذلك فانت متأكد؟

- أنا متأكد بالطبع، لكي أريد جمع أكبر قدر ممكن من الحقائق. ستحدث ضجة كبيرة حول هذه الجريمة، وسوف تملأ أخبارها الصحف، وأنت تعرف ما هي الصحف.

- حديث صحف... كيف تفسر هذا يا صديقي؟ إنك لم تقرأ صحيفتك الصباحية قراءة متعمقة بما فيه الكفاية.

مال بجسمه فوق الطاولة وأصبعه على فقرة في صفحة أخبار المجتمع. وقرأ جاب الفقرة بصوت مرتفع:

أقام السير مونتاغو كورنر حفل عشاء ناجحاً جداً الليلة الماضية في منزله على النهر في تشيسويك، وكان من بين الحاضرين السير جورج والبلدي دو فيس

والسيد جيس بلانت (الناقد المسرحي المشهور) والسير أوسكار هامرلدت (من أستوديوهات أوفرثن السينمائية) والسيدة جين ويلكنسون (الليدي إدجوير) وآخرون.

بدا جاب مشدوهاً لحظات، ثم ضبط نفسه وقال: وما علاقة هذا بالأمر؟ لقد أرسل هذا الخبر إلى الصحيفة مسبقاً، سترى ذلك. سترى أن السيدة لم تكن هناك أو أنها حضرت متأخرة... ربما في الساعة الحادية عشرة أو قريباً من ذلك. يجب ألا تأخذ كل شيء يكتب في الصحف على أنه كلام مقدس. أنت بالذات يجب أن تعرف هذا.

- أعرف، أعرف، كل ما في الأمر أنني وجدت الأمر غريباً.

- مثل هذه المصادفات تحدث. أعرف أنك صاحب خبرة كبيرة يا سيد بوارو، ألا تصادف مثل هذه الأمور؟ هل تريد أن تخبرني لماذا أرسل اللورد إدجوير في طلبك؟

هز بوارو رأسه: لم يرسل اللورد إدجوير في طلبي. أنا الذي طلبت منه أن يحدد لي موعداً.

- حقاً؟ لماذا؟

تردد بوارو دقيقة ثم قال ببطء: سأجيب عن سؤالك، لكنني أحب أن أجيب عنه بطريقةي الخاصة.

تأفف جاب، وأحسست بتعاطف خفي معه؛ فبوارو يثير الغيظ

الشديد أحياناً. وأكمل بوارو: سأطلب منك أن تأذن لي بالاتصال
بشخص بالهاتف حتى أطلب منه أن يأتي إلى هنا.

- أي شخص؟

- السيد بريان مارتن.

- الممثل السينمائي؟ وما علاقته بالأمر؟

- أظن أنك ستجد ما يقوله مثيراً للاهتمام... وربما يساعدك،
هلاً تكرمت علي يا هيبستغز؟

رفعت سماعة الهاتف واتصلت، وتحدث صوت بريان مارتن
الناعس بعد بضع دقائق: مرحباً... من يتكلم؟

همست وأنا أغطي السماعة بيدي: ماذا أقول له؟

قال بوارو: أخبره بأن اللورد إدجووير قتل وأنني لن أنسى له
معروفه لو جاء إلى هنا على الفور لرؤيتي.

كررت هذه الكلمات بدقة متناهية، وسمعت صيحة دهشة
في الطرف الثاني. قال مارتن: يا إلهي، إذن فقد فعلتها! سأتي على
الفور.

سأل بوارو عن الذي قاله، وأخبرته بالذي ذكره فقال: آه...
«إذن فقد فعلتها».

وبدا عليه السرور وهو يقول: هل هذا ما قاله؟ إذن فالأمر كما
ظننت... الأمر كما ظننت!

نظر جاب إليه نظرة استغراب وقال: لا أستطيع أن أفهمك
يا بوارو. في البداية بدا وكأنك تعتقد أن المرأة قد لا تكون القاتلة،
أما الآن فإنك تبدو وكأنك كنت تعرف الحقيقة من البداية.

ابتسم بوارو ولم يقل شيئاً.

* * *

معتزلاً: لا أفهم سبب طلبك مني الحضور إلى هنا؛ فأنا ليست لي علاقة بكل هذا.

قال بوارو بلطف: أظن أن ثمة علاقة، ففي جريمة قتل كهذه يجب على المرء أن يضع أحقادها الخاصة وراءه.

- لا، لا. لقد مثلت مع جين. أعرفها جيداً، فهي صديقتي.

قال بوارو بقوة: ومع ذلك، فعندما سمعت بمقتل اللورد إدجويز ففرت فوراً إلى نتيجة مفادها أنها هي التي قتلتها.

جفل الممثل: "هل تريد أن تقول...؟"، وجحظت عيناه جحوظاً بارزاً: هل تريد أن تقول إنني مخطئ وإنها لا علاقة لها بالجريمة؟

تدخل جاب قائلاً: لا، لا يا سيد مارتن. لقد فعلتها دون شك.

جلس الشاب على كرسيه مرة أخرى وهمس: ظننت في البداية أنني ارتكبت خطأ فاحشاً.

قال بوارو حازماً: في مسألة من هذا النوع يجب أن لا تدع الصداقة تؤثر فيك.

- حسناً، ولكن...

- هل تريد يا صديقي أن تضع نفسك في صف امرأة ارتكبت جريمة قتل؟ إن القتل أبشع جرائم الإنسانية.

الفصل السادس

الأرملة

وفي بريان بوعده وكان عندنا في أقل من عشر دقائق، وخلال الفترة التي كنا نتظر فيها وصوله كان بوارو يتحدث في موضوعات متفرقة ورفض إرضاء فضول جاب رفضاً قاطعاً.

كان واضحاً أن ذلك النبأ قد أزعج الممثل الشاب كثيراً، فقد كان وجهه شاحباً متجعداً. قال وهو يضافحنا: يا إلهي! هذا عمل فظيع يا سيد بوارو. لقد صدمت صدمة عنيفة، ومع ذلك لا أستطيع القول إنني فوجئت. توقعت أن يحدث شيء مثل هذا... أنت تذكر قولني ذلك لك يوم أمس؟

قال بوارو: بالطبع، بالطبع. أتذكر تماماً ما قلته لي أمس. دعني أقدمك للمفتش جاب المسؤول عن هذه القضية.

نظر بريان مارتن إلى بوارو نظرة تأنيب وهمس: لم أكن أعرف. كان يجب أن تنبهي لهذا.

أوما برأسه للمفتش بيروود، وجلس وقد زَم شفتيه بقوة. قال

واصل جاب أسئلته: عرفنا - يا سيد مارتن - أنها كانت تريد الطلاق لكي تنزوج رجلاً آخر. هل تعرف من هو هذا الرجل؟
أوما بريان برأسه.

قال جاب: من يكون؟

- إنه دوق ميرتون.

قال المفتش بحدة: دوق ميرتون؟ آه! إنها طموحة جداً، أليس كذلك؟ يقال إنه أحد أغنى الرجال في إنكلترا.

أوما بريان برأسه، ولم أستطع فهم موقف بوارو بالضبط؛ فقد استند إلى ظهر الكرسي مشكياً بين أصابعه، وحركة رأسه الإقاعية توحي برضاه التام كالذي يضع شريطاً في مسجل ويستمتع بما يسمعه.

- أما كان زوجها سيطلقها؟

- لا، لقد رفض ذلك رفضاً قاطعاً.

- هل أنت واثق من هذا الأمر كحقيقة لا شك فيها؟

- نعم.

قال بوارو وهو يتدخل في الحديث فجأة: والآن فأنت ترى كيف دخلت في هذا الموضوع أيها الطبيب جاب. لقد طلبت الليدي إدجوير مني أن أقابل زوجها وأحاول إقناعه بالموافقة على الطلاق، وقد أخذت موعداً منه لهذا الصباح.

تنهد بريان مارتن: أنت لا تفهمني تماماً. إن جين ليست مجرمة عادية، إنها لا تميز بين الخطأ والصواب... هي غير مسؤولة.

قال جاب: هذه مسألة يقرها المحلفون.

قال بوارو بلطف: هيا، هيا. لم يكن الأمر وكأنك كنت تنههما، فهي في موضع الاتهام أصلاً. لا يمكنك أن ترفض إخبارنا بما تعرفه؛ عليك واجب نحو المجتمع - أيها الشاب - يجب أن تؤديه.

تنهد بريان مارتن وقال: أعتقد أنك على حق، ما الذي تريدني أن أخبركم به؟

نظر بوارو إلى جاب. سأله جاب: هل سمعت الليدي إدجوير تصدر تهديدات ضد زوجها؟
- نعم، مرات عدة.

- ماذا قالت؟

- قالت: إن لم يعطها حريتها فإنها ستتخلص منه.

- وهل كان ذلك مزاحاً؟

- لا. أظن أنها كنت تعني ما تقوله. قالت ذات مرة إنها ستأخذ سيارة أجرة وتذهب لكي تقتله. ألم تسمع هذا يا سيد بوارو؟

كان ينظر إلى بوارو نظرة مثيرة للشفقة، وأوما بوارو بالإيجاب.

هز بريان مارتن رأسه وقال واثقاً: لم يكن ذلك سيفيد، لم يكن إدجوير ليوافق أبداً.

قال بوارو وهو ينظر إليه نظرة ودّ: ألا تظن ذلك؟

- أنا واثق من ذلك. كانت جين تعرف ذلك من كل قلبها، وهي لم تكن واثقة تمام الثقة بأنك ستنجح في مهمتك، فهي كانت قد فقدت الأمل لعناد الرجل في مسألة الطلاق.

ابتسم بوارو، وظهرت عيناه فجأة أكثر اخضراراً وهو يقول بهدوء: إنك مخطئ يا عزيزي. لقد رأيت اللورد إدجوير أمس، وقد وافق على الطلاق.

لم يكن من شك بأن هذا الخبر قد صعق بريان مارتن تماماً. كان يحدق إلى بوارو وعيناه تكادان تقفزان خارج رأسه. غمغم قائلاً: أنت... أنت رأيته أمس؟

قال بوارو بأسلوبه المنهجي: ووافق على الطلاق.

صاح الشاب مؤثباً: ووافق على الطلاق؟! كان يجب أن تخبر جين على الفور.

- لقد فعلت ذلك يا سيد مارتن.

صاح مارتن وجاب معاً: فعلت ذلك؟!!

ابتسم بوارو وهو يقول بهدوء: هذا يضعف الدافع قليلاً، أليس كذلك؟ والأنا يا سيد مارتن، دعني ألفت انتباهك إلى هذا.

أراه خبر الصحيفة، فقراء بريان بغير كبير اهتمام وقال: هل تعني أن هذا يُعدّ دليلاً على براءتها؟ أظن أن إدجوير قد قُتل بالمسدس في وقت ما من مساء أمس.

قال بوارو: لقد طعن ولم يقتل بالرصاص.

وضع مارتن الصحيفة على الطاولة ببطء، وقال حزناً: أخشى أن هذا لن يفيد، فجين لم تذهب إلى ذلك العشاء.

- وكيف عرفت؟

- لقد أخبرني شخص بذلك، ولا أذكر الآن من هو.

قال بوارو متأملاً: هذا أمر مؤسف.

نظر جاب إليه نظرة استغراب وقال: لا أستطيع فهمك يا سيد بوارو. يبدو أنك حريص على أن لا تظهر هذه المرأة مذنبية.

- لا، لا يا صديقي. أنا لسْتُ متعاطفاً معها كما تظن، ولكن القضية تبدو -بصراحة- منافية للمنطق كما تعرضها.

- ما الذي تقصده بأنها منافية للمنطق؟ إنها لا تنافي عقلي.

رأيت الكلمات وهي تتراقص فوق شفني بوارو، لكنه كتمها. وبدلاً من ذلك قال: عندنا امرأة شابة تريد -كما تقول- التخلص من زوجها. هذه نقطة لا أجادل فيها؛ فقد أخبرتني بذلك صراحة. حسناً، كيف تفعل ذلك؟ لقد كررت عدة مرات وبصوت مرتفع وواضح أمام شهود بأنها تفكر في قتله، ثم تخرج بعد ذلك ذات أمسية وتزور

بيته وتكشف عن نفسها ثم تلعنه وتذهب. ماذا تسمي هذا يا صديقي
الطبيب؟ هل هذا العمل من الفطر السليمة؟

- كان عملاً أحق بالطبع.

- أحق؟ إنه الجنون بعينه!

قال جاب وهو ينهض: حسناً، عندما يفقد المجرمون عقولهم
يكون ذلك من مصلحة الشرطة. يجب أن أعود إلى السافوي الآن.

- هل تأذن لي بمرافقتك؟

لم يُبِدْ جاب أي اعتراض، فانطلقنا وتركنا بريان مارتن كارهاً.
كان يبدو في حالة عصبية سيئة، وقد رجانا بالبحاح أن نبليغه أي تطور
يحدث في القضية.

قال جاب: "إنه عصبي المزاج"، ووافق بوارو.

وجدنا في فندق السافوي رجلاً وصل لتوه كأنه من رجال
القانون، وذهبتنا جميعاً إلى جناح جين. تحدث جاب إلى أحد رجاله
سائلاً باقتضاب: هل حدث شيء؟

- أرادت استعمال الهاتف!

قال جاب بلهفة: مَنْ الذي اتصلت به؟

- اتصلت تطلب ثوب حداد.

دخلنا الجناح، وكانت الأرملة الليدي إدجوير تجرب القبعات

أمام المرأة وهي تلبس لباس حداد كما كان يظهر في الأفلام القديمة.
حينئذ بابتسامة مشرقة: "سيد بوارو، جميل منك أن تأتي بسرعة"،
ثم خاطبت محاميتها: سيد موكسون، أنا مسرورة لمجيئك، اجلس
إلى جانبي وأخبرني عن الأسئلة التي يجب الرد عليها. يبدو أن هذا
الرجل يعتقد بأنني خرجت وقتلت جورج هذا الصباح.

قال جاب: بل الليلة الماضية يا مدام.

- لكنك قلت هذا الصباح، الساعة العاشرة.

- قلت: العاشرة مساءً.

- حسناً، لا أعرف أيهما: صباحاً أم مساءً.

قال المفتش متجهماً: إن الساعة الآن العاشرة تقريباً.

فتحت جين عينيها بدهشة وهمست: هذه نعمة! لقد مرت
سنوات دون أن أستيقظ في وقت مبكر كهذا. لا بد أنك جئت إلى
هنا وقت الفجر.

قال السيد موكسون بصوته الرسمي المضجر: لحظة أيها
المفتش، متى حدثت تلك الجريمة المذهلة؟

- نحو الساعة العاشرة ليلة أمس يا سيدي.

قالت جين متحمسة: "هذا جميل. كانت هناك حفلة... آه!"،
ثم غطت فمها فجأة وقالت: ربما كان يجب أن لا أقول هذا.

كانت تنظر بعينيها إلى المحامي نظرات استغاثة وخوف. أجابها

المحامي: إن كنت الساعة العاشرة ليلة أمس موجودة في حفلة، ليدي إدجوير، فلا أرى أي مانع من أن تبغلي المفتش بهذه الحقيقة... لا مانع إطلاقاً.

قال جاب: هذه صحيح. لقد طلبت منك فقط أن تبغيني عن تحركاتك مساء أمس.

- أنت لم تفعل هذا. لقد قلت شيئاً كالساعة العاشرة صباحاً، وعلى أية حال فقد أصبني بصدمة عنيفة. لقد أغمي عليّ يا سيد موكسون.

- ماذا بخصوص هذه الحفلة ليدي إدجوير؟

- كانت في منزل السير مونتاغو كورنر، في تشيسويك.

- متى ذهبت إلى هناك؟

- كان العشاء في الساعة الثامنة والنصف.

- ومتى تركت الفندق؟

- تحركتُ بحدود الثامنة، ونزلت في فندق البيكاديلي بالاس لفترة قصيرة لأودع صديقة أمريكية كانت ستغادر إلى الولايات المتحدة، السيدة فان دوزين، ووصلت إلى تشيسويك في التاسعة إلأربعاً.

- ومتى غادرت؟

- الساعة الحادية عشرة والنصف تقريباً.

- هل جئت إلى هنا مباشرة؟

- نعم.

- في سيارة أجرة؟

- لا، بسيارتي الخاصة. استأجرتها من شركة ديملر.

- وعندما كنت في حفل العشاء، ألم تغادري؟

- حسناً، لقد...

- إذن أنت فعلاً تركت العشاء؟

كان ذلك مثل كلب صغير ينقض على فأر.

- لا أفهم ما تقصده. لقد نادوني للرد على الهاتف عندما كنتا على العشاء.

- من الذي اتصل بك؟

- أظن أنها كانت حيلة، سمعت صوتاً يقول: "أنت الليدي إدجوير؟"، وقلت "نعم، هذا صحيح"، ثم سمعت أصوات ضحك على الجهة الأخرى ووضعت السماعة.

- هل ذهبت خارج البيت للاتصال؟

فتحت جين عينيها من الدهشة: بالطبع لا.

- كم غبت عن طاولة العشاء؟

- نحو دقيقة ونصف.

توقف جواب بعد ذلك. كنت مقتنعاً تماماً أنه لم يصدق كلمة واحدة مما قالته، ولكن بعد أن سمع روايتها لم يكن بإمكانه فعل أي شيء آخر إلا أن يؤكد أو ينفي أقوالها هذه. وما ليث أن خرج بعد أن شكرها ببيرو، وهمسنا نحن كذلك بالمغادرة ولكنها نادت بوارو: سيد بوارو، هلاً خدمتي قليلاً؟

- بالتأكيد يا مدام.

- أرسل برقية باسمي إلى الدوق في باريس. إنه موجود في فندق كريلون ويجب أن يعرف هذا الأمر، وأنا لا أحب أن أرسلها بنفسني إذ أظن أن علي أن أبدو أرملة مسكينة أسبوعاً أو أسبوعين.

قال بوارو بهدوء: لا حاجة لإرسال برقية يا مدام؛ سيظهر الخبر في الصحف هناك.

- أنت ذكي! سينشر في الصحف بالطبع. من الأفضل أن لا نرسل برقية. أحسن أن الأمر يرجع إلي في المحافظة على مظهري الحالي حتى يسير كل شيء على ما يرام. أريد أن أقوم بالدور المطلوب من الأرملة؛ فهو نوع من الاحترام. فكرت في إرسال إكليل زهور وأظن أن علي الذهاب إلى الجنائز. ما رأيك؟

- ستذهبين إلى التحقيق أولاً يا مدام.

- أظن ذلك صحيحاً.

وفكرت قليلاً ثم أضافت: لا أحب مفتش سكوتلاند يارد هذا على الإطلاق. لقد أزعجني يا سيد بوارو!

- حقاً؟

- يبدو أنني محظوظة لأنني غيرت رأيي وذهبت إلى حفل العشاء.

كان بوارو ذاهباً إلى الباب، وفجأة التفت عندما سمع هذه الكلمات: ما هذا الذي تقولينه يا مدام؟ هل غيرت رأيك؟

- نعم، كنت أعترم عدم حضور العشاء؛ فقد كنت أعاني من صداع شديد بعد ظهر أمس.

تلفظ بوارو بكلمات غير واضحة، وبدأ أنه يجد صعوبة في الكلام، ثم سألها أخيراً: هل... هل قلت هذا لأي شخص؟

- قلت ذلك بالتأكيد. كنّا مجموعة كبيرة نتناول الشاي وأرادوا متى أن أذهب معهم لحفل ورفضت. قلت لهم إن رأسي يؤلمني بشكل فظيع وإني سأذهب إلى البيت وسأغيب عن حفل العشاء.

- وما الذي جعلك تغيرين رأيك يا مدام؟

- أصرت علي إليس؛ قالت إنني لا أستطيع رفض الدعوة، فالسير مونتاغو العجوز ذو نفوذ قوي ونزوات غريبة، وهو سريع الغضب. ولم أهتم بذلك، فعندما أتزوج ميرتون سأنتخلص من كل هذا. لكن إليس (التي تأخذ جانب الحذر دائماً) قالت إن عقبات قد تحول دون تحقيق هذا الزواج، وقد رأيت أنها كانت على حق. على أية حال فقد ذهبت.

قال بوارو جاداً: لا بد أنك تدنين لأليس بكثير من الامتنان يا مدام.

- أظن ذلك. لقد سجل المغتش كل هذا الحديث على شريط، أليس كذلك؟

ضحكت، لكن بوارو لم يضحك، وقال بصوت منخفض: ومع ذلك فإن هذا يجعل المرء يفكر كثيراً... نعم، يفكر كثيراً.

صاحت جين: إليس.

وجاءت الخادمة من الغرفة المجاورة، فحاطبتها جين قائلة: لقد قال السيد بوارو إنني محظوظة جداً لأنك جعلتني أذهب إلى الحفلة الليلة الماضية.

نظرت إليس إلى بوارو عابسة ومستمعة: ليس من اللائق الإخلال بالمواعيد يا سيدتي، إنك تحبين ذلك كثيراً، ولكن الناس لا يفغرون ذلك دائماً، وهم يكرهون من يفعل هذا.

التفتت جين القبيحة التي كانت تجربها عندما دخلنا وجربتها ثانية، ثم قالت حزينة: أكره الأسود، لم ألبسهم من قبل أبداً، لكنني أظن أن عليّ الاعتياد عليه كوني أرملة أراعي التقاليد، كل هذه القبيحات مخيفة جداً. اتصلي بمحل القبعات الآخر يا إليس، فأنا أحب أن يراني الناس بمظهر لائق.

وانسحبت مع بوارو من الغرفة بهدوء.

الفصل السابع السكرتيرة

لم نحس بغياب جاب الذي عاد بعد ساعة تقريباً وألقى بقبعة على الطاولة وقال إنه ياتس تماماً.

قال بوارو متعاطفاً: هل قمت بالاستعلام؟

أوما جاب برأسه عابساً، وهدد قائلاً: إنها لم ترتكب الجريمة ما لم يكن أربعة عشر شخصاً يكذبون عليّ. ثم أكمل: أصارحك - يا سيد بوارو - بأنني كنت أتوقع أن أجد أن العمل مدير، من حيث الظاهر لا أجد شخصاً سواها يُحتمل أن يكون قد قتل اللورد إدجويز. إنها الإنسانية الوحيدة التي لديها دافع لذلك.

- لا أعتقد ذلك. هلاً أكملت؟

- حسناً، كما قلت: فقد كنت أتوقع وجود عمل مدير، فأنت تعرف هؤلاء الممثلين... إنهم يتحدثون جميعاً لحماية صديق لهم. ولكن هذه قضية مختلفة؛ فالناس الذين كانوا هناك الليلة الماضية كانوا جميعاً من عليّة القوم ولم يكن أحد منهم صديقاً قريباً لها، بل

أيضاً. إنهما يقسمان بأن الليدي إدجوير هي التي جاءت إلى البيت الساعة العاشرة.

- كم مضى على وجود كبير الخدم هناك؟

- ستة أشهر، وهو -بالمناسبة- شاب وسيم.

- نعم، فعلاً. هذا جيد يا صديقي، إن كان يعمل هناك منذ ستة أشهر فقط فإنه لا يستطيع التعرف إلى الليدي إدجوير لأنه لم يكن قد رآها من قبل.

- إنه يعرفها من صورها في الصحف. وعلى أية حال فقد كانت السكرتيرة تعرفها، إنها تعمل مع اللورد إدجوير منذ خمس سنوات أو ست سنوات وهي الوحيدة التي كانت متأكدة تماماً.

- آه! أريد رؤية السكرتيرة.

- حسناً، لِمَ لا تأتي معي الآن؟

- شكراً لك يا صديقي؛ سأكون مسروراً من ذلك. أرجو أن تشمل هيستنغز في دعوتك هذه.

ابتسم جاب وقال عبارة لم أستمعها: لِمَ لا؟ «فحشاً يذهب السيد يتبعه كلبه»!

ثم قال: هذه تذكرني بقضية إليزابيث كاتينغ. هل تتذكرها؟ كيف أن نحو عشرين شاهداً من الجانبين أقسموا بأنهم رأوا العجيرة ماري سكوإيرز في مكانين مختلفين من إنكلترا. كانوا شهوداً معروفين

إن بعضهم لم يكن يعرف البعض الآخر، وشهادتهم -لذلك- مستقلة وموثوقة. كنت أرجو أن أكتشف أنها قد أسلّت خارج البيت نصف ساعة أو قريباً من ذلك. كان يمكنها أن تفعل ذلك بسهولة: تدعي أنها تريد وضع مساحيق على وجهها أو أي عذر آخر شبيه، ولكن لا، فقد تركت الطاولة فعلاً -كما أخبرتنا- لكي ترد على مكالمة هاتفية، لكن كبير الخدم كان معها. وعلى فكرة، حدث ما قالته لنا؛ فقد سمع ما قالته: "نعم، صحيح؛ أنا الليدي إدجوير". ثم وضع الطرف الآخر السماعة. هذا أمر غريب. ليس لهذا أي علاقة بالأمر.

- ربما لا، لكنه مثير للاهتمام. هل كان الذي اتصل بها رجلاً أم امرأة؟

- أظن أنها قالت إنها امرأة.

قال بوارو متأملاً: غريب!

قال جاب وقد نفذ صبره: هذا لا يهم. دعنا نرجع إلى الجزء المهم، فقد سار كل شيء في تلك الليلة كما قالت بالضبط: وصلت هناك الساعة التاسعة إلّا رباعاً وغادرت الساعة الحادية عشرة والنصف وعادت إلى هنا ثانية الساعة الثانية عشرة إلّا رباعاً. لقد رأيت السائق الذي أوصّلها، إنه أحد العاملين في شركة ديمبلر، وقد رآها العاملون في فندق السافوي وهي تدخل، وأكدوا على الوقت.

- هذا جيد... يبدو مقنعاً للغاية.

- إذن فماذا عن أولئك الذين رأوها في ريجنت غيت؟ لم يكن رئيس الخدم وحده هو الذي رآها، بل سكرتيرة اللورد إدجوير

بسمعتهم الجيدة أيضاً، كما أن أي امرأة لم تكن تشبهها بوجهها البشع ذلك. لم يتم كشف ذلك اللغز أبداً، والأمر هنا مشابه كثيراً لتلك الحالة. لدينا هنا كثير من الأشخاص المحايدون مستعدون للنفس بأن المرأة كانت موجودة في مكانين مختلفين في آن واحد. أيهم يقول الحقيقة؟

- كان يجب أن لا يكون اكتشاف ذلك صعباً.

- هذا برأيك. لكن تلك المرأة، الأنسة كارول، كانت تعرف الليدي إدجوورث حق المعرفة. أعني أنها كانت تعيش معها في البيت من آن لآخر، ولا يُحتمل أن تخطئ في التعرف إليها.

- سنرى ذلك عمّا قريب.

سأله: من سيرث عنه اللقب؟

- ابن أخيه، الكاتب رونالد مارش. إنه منغمس في ملذاته كما فهمت.

سأله بوارو: ماذا يقول الطبيب في وقت الوفاة؟

- علينا أن ننتظر التشريح حتى نتأكد بالضبط، لكن الساعة العاشرة تنسجم مع الواقع تماماً. آخر مرة شوهد فيها حياً كانت بعد التاسعة بضع دقائق عندما ترك طاولة العشاء واتجه إلى المكتبة، وفي الساعة الحادية عشرة كانت غرفته معتمة عندما اتجه كبير الخدم إلى النوم، ولذلك لا بد أنه كان ميتاً في ذلك الوقت، لأنه لن يجلس في المكتبة في الظلام.

أوما بوارو برأسه متأملاً. وانطلقنا -بعد لحظات- إلى البيت الذي كانت ستأثّر مسدلة في هذا الوقت، حيث فتح لنا الباب كبير الخدم الوسيم ذاته.

دخل جاب أمامنا، وتبعته أنا وبوارو، وكان الخادم قد فتح الباب من جهته اليسرى ووقف وظهره إلى الحائط في ذلك الجانب، ولما كان بوارو عن يميني وهو أصغر حجماً مني فإن الخادم لم يَرَهُ إلا بعد أن دخلنا إلى الصالة، ولأنني كنت قريباً منه فقد سمعت شهيقه المفاجئ ورأيتة يحدق ببوارو والخوف باد على وجهه. وحاولت أن أبعد هذه الواقعة عن تفكيرتي، رغم أنها كنت جذيرة بالملاحظة.

سار جاب نحو غرفة الطعام التي كانت عن يميننا وأمر كبير الخدم أن يتبعه. ثم قال: والآن، يا ألتون، أريدك أن تسرد لي ذلك ثانية وبحرص شديد. هل كانت الساعة العاشرة عندما جاءت هذه السيدة؟

- الليدي؟ نعم يا سيدي.

سأله بوارو: كيف عرفتها؟

- هي أخبرتني عن اسمها يا سيدي، وبالإضافة إلى ذلك فقد رأيت صورها في الصحف، كما أنني رأيتها وهي تمثل أيضاً.

أوما بوارو برأسه، وسأل جاب: ماذا كانت تلبس؟

- كانت تلبس الأسود يا سيدي، ثوباً أسود فضفاضاً وقبعة صغيرة سوداء، وكانت تلبس عقداً من اللؤلؤ وقفازين رماديين.

نظر بوارو إلى جاب نظرة فيها تساؤل. وتابع الخادم روايته، وكانت تتفق تماماً مع الرواية التي سردها جاب علينا. سأله بوارو: هل جاء أحد آخر وقابل سيدك في ذلك المساء؟

- لا يا سيدي.

- كيف كان الباب الأمامي مغلقاً؟

- إنني -في العادة- أغلق المزلاج عندما أذهب للنوم (وذلك نحو الساعة الحادية عشرة)، ولكنني تركته دون إغلاق في الليلة الماضية لأن الأنسة جبر الدين كانت في الأوبرا.

- وكيف وجدته في الصباح؟

- كان مغلقاً يا سيدي؛ فقد أغلقته الأنسة جبر الدين عندما دخلت.

- متى دخلت؟ هل تعرف؟

- أظن أن ذلك كان في الساعة الثانية عشرة إلا رباعاً تقريباً.

- إذن فلم يكن ممكناً فتح الباب من الخارج بلا مفتاح، أما من الداخل فكان من الممكن فتحه -بسهولة- بواسطة إدارة مقبض الباب، وذلك خلال المساء كله حتى الثانية عشرة إلا رباعاً.

- نعم يا سيدي.

- كم مفتاحاً للمزلاج كان موجوداً هنا؟

- كان للورد مفتاحه الخاص يا سيدي، ويوجد مفتاح آخر في درج في الصالة أخذته الأنسة جبر الدين معها ليلة البارحة، ولا أعرف إن كانت توجد مفاتيح أخرى.

- ألا يوجد مفتاح مع أي شخص آخر في البيت؟

- لا يوجد يا سيدي؛ فالأنسة كارول تفرع دائماً.

لمح بوارو بأن ذلك كان كل ما رغب بالسؤال عنه، وذهبت تبحث عن السكرتيرة، فوجدناها مشغولة بالكتابة على مكتب ضخم.

كانت الأنسة كارول امرأة جميلة مرحة، بحدود الخامسة والأربعين من عمرها، قد بدأ الشيب يخالط شعرها الأشقر، وقد وضعت نظارة أنفية لمعت تحتها عيناها الزرقاوان الثاقبتان، وعندما تكلمت عرفت صوتها الواضح المتكلف الذي كانت تتحدث به معي على الهاتف. قالت بعد أن قدما جاب لها: السيد بوارو... نعم؛ كان الموعد الذي حددته صباح أمس معك.

- بالضبط يا آنسة.

لا بد أنها أثارت إعجاب بوارو؛ فقد كانت مثلاً للدقة والتنظيم. قالت: حسناً -حضرة المفتش جاب- ما الذي يمكنني فعله؟

- نريد أن نسألك فقط إن كنت متأكدة تماماً من أن الليدي إدجوير هي التي جاءت إلى هنا الليلة الماضية؟

- هذه هي المرة الثالثة التي تسألني فيها هذا السؤال. أنا متأكدة بالطبع؛ لقد رأيته.

قال بوارو: أين رأيته يا آنسة؟

- في الصالة. لقد تحدثت مع كبير الخدم دقيقة ثم عبرت الصالة وفتحت باب المكتبة ودخلت.

- وأين كنت وقتها؟

- في الطابق الأول، أنظر إليها من أعلى.

- وهل أنت متأكدة أنك لم تكوني مخطئة؟

- دون شك؛ لقد رأيت وجهها بوضوح.

- أليس من الممكن أن يكون قد تم تضليلك بواسطة واحدة تشبهها؟

- أبداً؛ فأوصاف جين ويلكنسون مميزة، لقد كانت هي نفسها.

نظر جاب إلى بوارو وكأنه يريد أن يقول: "أرأيت؟"

سألها بوارو فجأة: هل كان للورد إدجوير أي أعداء؟

- هذا هراء.

- ماذا تقصدين بقولك هذا يا آنسة؟

- أعداء! الناس ليس لهم أعداء في هذه الأيام.

- ومع ذلك فقد قُتل اللورد إدجوير.

- قتلته زوجته.

- أليست الزوجة عدواً؟

- أنا متأكدة من أن هذا الذي حدث أمر غير طبيعي على الإطلاق. لم أسمع عن حدوث مثل هذا الأمر أبداً؛ أقصد بالنسبة لأي شخص من طبقتنا الاجتماعية.

كان واضحاً أن فكرة الأنسة كارول هي أن المجرمين الذين يرتكبون جرائم القتل يجب أن يكونوا من الشكاري الذين يتنمون إلى الطبقات الدنيا.

- كم عدد مفاتيح الباب الأمامي؟

أجابت الأنسة كارول على الفور: اثنان. كان اللورد إدجوير يحمل معه واحداً دائماً، وأما الآخر فكان يُحفظ في درج في الصالة لكي يأخذه أي واحد يريد أن يتأخر خارج البيت، وكان يوجد مفتاح ثالث لكن الكابتن مارش أضعاه، إنه يتسبب بعدم المبالاة.

- هل يأتي الكابتن مارش إلى البيت كثيراً؟

- كان يعيش هنا حتى ثلاث سنوات مضت.

سألها جاب: ولماذا ترك البيت؟

- لست واثقة تماماً، ولكن أحسب أنه لم ينسجم تماماً مع عمه.

يا هيستنز من فضلك. سأنزل أنا مع جاب، راقب إلى أن ندخل المكتبة ثم تعال إلينا.

مضى علي وقت طويل منذ تخليت عن توجيه أسئلة لبوارو تبدأ بكلمة «لماذا؟»؛ تماماً مثل الجيش: «لا تهتم بالسؤال لماذا، ولكن اهتم بالعمل أو الموت!» على أية حال لم يصل الأمر -لحسن الحظ- إلى الموت، وخمنت أنه ربما شك في أن كبير الخدم كان يتجسس عليه وأراد أن يتأكد من شكّه.

وقفت هناك أنظر من فوق الدرج، وذهب بوارو وجاب إلى الباب الأمامي أولاً بعيداً عن نظري، ثم عادا وظهرتا ثانية وهما يسيران ببطء في الصالة. تابعت النظر إلى ظهرَيهما إلى أن دخلا إلى المكتبة، وانتظرت دقيقة فيما لو ظهر كبير الخدم ولكن لم تكن هناك إشارة على وجود أي شخص، ولذلك نزلت الدرج ركضاً وانضممت إليهما.

كانت الجنة قد رُفعت من مكانها بالطبع، وكانت الستائر مسدلة والغرفة مضاة، فيما وقف بوارو وجاب وسط الغرفة ينظران حولهما.

قال جاب: "لا شيء هنا"، وردّ بوارو مبتسماً: للأسف! لا يوجد أثر قدم، ولا قفاز سيده، ولا حتى بقايا رائحة عطر! لا شيء ممّا يجده رجل التحري في القصص البوليسية!

قال جاب مبتسماً: الشرطة يُصوّرون دائماً في القصص البوليسية على أنهم عميان كالخفافيش.

قال بوارو بهدوء: أعتقد أنك تعرفين أكثر من هذا قليلاً يا آنسة.

نظرت إليه نظرة خاطفة وقالت: لست ثرثرة يا سيد بوارو.

- لكنك تستطيعين إخبارنا بالحقيقة المتعلقة بالإشاعات عن الخلاف الكبير بين اللورد إدجوير وابن أخيه.

- لم يكن الخلاف كبيراً كما تظن؛ فاللورد إدجوير كان رجلاً صعب المراس ليس من السهل الانسجام معه.

- حتى أنت وجدت هذا؟

- لا أتكلم عن نفسي رأنا لم نختلف مع اللورد إدجوير أبداً؛ فقد كان يجديني دائماً محل ثقة.

- ولكن بالنسبة للكاتبين مارش...

أصر بوارو على هذا الموضوع وشجعها بهدوء لتكشف معلومات أكثر. هرّث الأنسة كارول كتبها وقالت: كان مبدراً فأغرق نفسه في الديون، وكانت بينهما مشكلة أخرى لا أعرف طبيعتها بالضبط. لقد تشاجرا، وقد حظر عليه دخول البيت... هذا كل ما أعرفه.

أغلقت فمها بقوة، وكان واضحاً أنها لا تريد أن تقول مزيداً.

كانت الغرفة التي قابلناها فيها في الطابق الأول، وعندما غادرتا الغرفة سحبنى بوارو من ذراعي وقال: انتظري دقيقة واحدة، ابقى هنا

لكن الخادومات لا يعرفن الحقيقة أبداً، أظن أنها كانت تتناول
الفيرونال كل ليلة، ومن الواضح أنها كانت تأخذها من مدة طويلة.

- ما الذي حملك على هذا الاعتقاد؟

- هذا... أين وضعت ذلك الشيء؟

كان يبحث في حقيبة صغيرة، وأخيراً قال: "آه! ها هي".
وأخرج حقيبة يد صغيرة سوداء مراكشية وهو يقول: سيجري تحقيق
بالطبع، ولذا أحضرت هذه معي حتى لا تعبت بها الخادمة.

فتح الطبيب الحقيبة وأخرج منها علبة ذهبية صغيرة مكتوباً عليها
بأحجار الياقوت الحرفان «ك.أ.». كانت علبة قيمة، وفتحها الطبيب،
فإذا بها مليئة بالمسحوق الأبيض. أوضح باختصار: فيرونال. انظر
إلى ما كتب في الداخل.

كان محفوراً على غطاء العلبة من الداخل: «إلى ك.أ. من د.
باريس، العاشر من تشرين الثاني. أحلام سعيدة».

- حسناً، ونحن الآن في حزيران، وهذا يوضح أنها معتادة على
تناول هذا المخدر منذ ستة أشهر على الأقل، ولأن السنة غير مكتوبة
فقد تكون ثمانية عشر شهراً أو ستين ونصفاً، أو غير ذلك...

قال بوارو عابساً: باريس، د؟

- نعم. هل يعني هذا لك شيئاً؟ على فكرة، فانا لم أسألك عن
سر اهتمامك بهذه القضية. لا بد أن لديك أسباباً مقنعة، أظن أنك
تريد أن تعرف إن كانت الحادثة انتحاراً أم لا؟ الحقيقة أنني لا أعرف،

الفصل العاشر

جينى درايفر

كان عملنا التالي هو زيارة الطبيب الذي أعطتنا الخادمة عنوانه،
وقد وجدناه رجلاً عجوزاً ثرثاراً غير واضح في حديثه. كان قد سمع
عن بوارو وأظهر متعة شديدة في اللقاء مباشرة. ثم سأل بعد هذه
المقدمة: وما الذي يمكنكني فعله لك يا سيد بوارو؟

- لقد استدعيت صباح هذا اليوم إلى شقة الأنسة كارلوتا
آدمز.

- آه، نعم. إنها فتاة مسكينة، كما كانت مثقلة ذكية أيضاً.
لقد حضرت عروضها مرتين. أمر محزن جداً أن تنتهي هذه النهاية.
لا أعرف لماذا تتناول الفتيات هذه المخدرات!

- إذن فأنت تعتقد أنها كانت مدمنة على المخدرات؟

- لا أجزم بذلك من الناحية الطبية، على أية حال فلم تكن
تأخذها تحت الجلد؛ فلا آثار للحقن على جلدتها. من الواضح أنها
كانت تأخذها عن طريق الفم. الخادمة قالت إنها نامت نوماً طبيعياً،

رأيت الأنسة آدمز في تلك المرة لحظة واحدة وكانت دون نظارة بالتأكد.

شكر بوارو الطبيب وغادرننا. كانت ملامح الحيرة بادية على بوارو واعترف قائلاً: ربما أكون مخطئاً.

- بخصوص التحال الشخصية؟

- لا، لا. يبدو لي أن هذا أكيد. أقصد بالنسبة لوفاتها؛ فمن الواضح أنها كانت تحتفظ بالفيرونال بحوزتها، ومن المتحمل أنها كانت مرهقة ومتعبة الليلة الماضية وعزمت على الراحة.

ثم وقف فجأة ساكناً (وهو ما أدهش المشاة بجانبه) وضرب كفاً بكف وصاح مؤكداً: لا، لا! لم يحدث ذلك الحادث بمثل هذا التوافق! لم يكن حادثاً عرضياً، لم يكن انتحاراً. كلا، لقد أدت دورها وبعملها هذا وقعت شهادة وفاتها، وربما تم اختيار الفيرونال لأنها -ببساطة- عُرفت بتناولها من وقت لآخر، ولأنها كانت تحتفظ بتلك العلبة في حقيبتها. ولكن، إن كان هذا صحيحاً فلا بد أن يكون القتائل شخصاً يعرفها جيداً. من يكون -يا هيسنغز- الشخص المرموز له بالحرف «د» على العلبة الذهبية؟ إنني مستعد لدفع أي مبلغ لمعرفة من يكون.

ولم يزل بوارو واقفاً مستغرقاً في التفكير فقلت له: بوارو، أليس من الأفضل أن نواصل مسيرتنا؟ إن الجميع ينظرون إلينا بدهشة.

- أنت محق، برغم أنه لا يضايقني أن يحدق الناس فينا. ذلك لا يقطع تسلسل أفكاري على أية حال.

ولا أحد يستطيع أن يعرف. حسب أقوال الخادمة كانت الأنسة آدمز مرحلة تماماً بالأمس. إنه يبدو حادثاً غير مقصود؛ فالفيرونال مادة غامضة، ويمكنك أن تتناول منه كمية كبيرة جداً دون أن يقتلك ويمكن أن تتناول كمية قليلة جداً وتموت، ولهذا فهو يعتبر عقاراً خطيراً. لا أشك في أنهم سيعتبرونها وفاة عرضية في التحقيق. أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك أكثر من ذلك.

- هل لي أن أفحص حقيبة الأنسة الصغيرة؟

- بالتأكيد، بالتأكيد.

أخرج بوارو محتويات الحقيبة الصغيرة. كان بداخلها مندبل ناعم مكتوب على زاويته الحروف «ك.م.أ» وأحمر شفاه وورقة نقديّة من فئة الجنيه وبعض القطع النقدية الصغيرة ونظارة طبية.

تفحص بوارو النظارة باهتمام، كانت مطلية بالذهب وذات شكل بسيط من النوع الذي يلبسه الأكاديميون. قال: غريب! لم أعرف أن الأنسة آدمز كانت تلبس نظارة... ربما كانت للقراءة؟

رفعها الطيب لينظر إليها، ثم قال مؤكداً: لا؛ هذه نظارات تلبس عند الخروج من البيت وعدساتها قوية جداً، لا بد أن الشخص الذي يلبسها يعاني من قصر شديد في النظر.

- أنت لا تعرف إن كانت الأنسة آدمز...

- لم أعالجها من قبل أبداً. لقد استُعيث مرة لمعاينة إصبع الخادمة المتسمم، ثم لم أذهب إلى الشقة أبداً بعد ذلك. لقد

همست: لقد بدأ الناس يضحكون.

- هذا غير مهم.

لم أوافق على ما قاله. كنت أخاف من ارتكاب أي فعل ينافي الذوق، أما بوارو فالشيء الوحيد الذي يمكن أن يخيفه هو احتمال أن تؤثر الرطوبة أو الحرارة في شاربه الشهير.

قال بوارو وهو يلوح بعصاه: سنأخذ سيارة أجرة.

أشرنا إلى سيارة، وطلب بوارو من سائقها الذهاب إلى محل جنيف في شارع موفات.

* * *

ظهر أن المحل كان واحداً من تلك المحلات التي تعرض في واجهتها الزجاجية في الطابق السفلي قبعات وأوشحة غريبة الشكل. وحيث أن الورشة تقع في الطابق العلوي، فقد كانت رائحة العفن تفوح من الدرج.

بعد أن صعدنا الدرج وصلنا إلى باب مكتوب عليه: «جنيف». مرحباً بالزوار». وبعد أن دخلنا وجدنا أنفسنا في غرفة صغيرة مليئة بالقبعات بينما جاءت امرأة شقراء مهيبة تنظر إلى بوارو بارتباب.

سألها بوارو: الأتسة درايفر؟

- لا أعرف إن كانت تستطيع رؤيتك. ماذا تريد من فضلك؟

أرجو أن تخبري الأتسة درايفر أن صديقاً للأتسة آدمز يريد رؤيتها.

لم تكن للحساء الشقراء حاجة للاستمرار في هذه المهمة؛ فقد أزيحت ستارة مخملية سوداء بقوة وخرجت منها امرأة صغيرة الحجم حمراء الشعر متقدة الحيوية، وسألت قائلة: ماذا في الأمر؟

- هل أنت الأتسة درايفر؟

- نعم، ماذا قلتَ عن كارلوتا؟

- هل سمعت الأخبار المحزنة؟

- أية أخبار محزنة؟

- لقد ماتت الأتسة آدمز وهي نائمة الليلة الماضية... تناولت جرعة زائدة من الفيرونال.

اتسعت عينا الفتاة وصاحت: يا له من أمر بغضب! كارلوتا المسكينة؟ لا أصدق ذلك. لقد كانت تمتلئ أمس نشاطاً وحيوية.

قال بوارو: ومع ذلك فالخير صحيح. الساعة الآن الواحدة، وأرجو أن تشرفني بقدمك معي ومع صديقي لتناول الغداء؛ فأنا أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

نظرت الفتاة إليه من أعلى إلى أسفل. كانت مخلوقة صغيرة الحجم تبدو ك لاعبة ملاكمة، وقد ذكرني بكلب صيد صغير. سألتها بقطاعة: من أنت؟

- اسمي هيركيول بوارو، وهذا صديقي الكابتن هيسنغز.

انحنيت لها، وراحت تنقل نظرها بيننا نحن الاثنين. ثم قالت فجأة: لقد سمعت باسمك، سأتي معك.

نادت الشقراء: دوروي؟

- نعم، جيني.

- ستأتي السيدة ليستر بعد قليل بخصوص طراز ديسكارت الذي نخطئه لها. جربي معها قبعات الريش الأخرى. وداعاً، لا أظن أنني سأتأخر كثيراً.

أخذت قبعة صغيرة سوداء وثبتتها على إحدى أذنيها، ووضعت على أنفها مسحوقاً، ثم نظرت إلى بوارو وهي تقول: أنا جاهزة.

كنا نجلس - بعد ذلك بخمس دقائق - في مطعم صغير في شارع دوفر. قالت جيني درايفر: والآن، أريد أن أعرف معنى هذا كله، ما الذي كانت كارلوتا تورط نفسها فيه؟

- إذن فقد كانت تورط نفسها في شيء يا آنسة؟

- من الذي سيوجه الأسئلة، أنت أم أنا؟

قال بوارو مبشماً: كانت فكرتي أن أقوم أنا بذلك. لقد أخبرت بأنك كنت صديقة حميمة للآنسة آدمز.

- صحيح.

- جيد، إذن أريد منك - يا آنسة - أن تقبلي تأكيدي المتواضع

على أن ما أفعله هو في صالح صديقتك المتوفاة. أؤكد لك أن هذا صحيح.

مرت لحظات من الصمت عندما كانت جيني درايفر تفكر في هذه المسألة، وفي النهاية أومأت برأسها إيماء سريعة علامة على موافقتها وهي تقول: أصدقك. تفضل، ما الذي تريد معرفته؟

- فهمت - يا آنسة - أن صديقتك قد تناولت الغداء معك أمس.

- هذا صحيح.

- هل أخبرتك عن خطفها الليلة الماضية؟

- لم تذكر الليلة الماضية بالذات.

- لكنها قالت شيئاً؟

- لقد ذكرت شيئاً قد يكون هو الذي تريد الوصول إليه الآن... وأنتهك إلى أنها كانت تتكلم في أمور شخصية.

- هذا مفهوم.

- حسناً، دعني أفكر قليلاً. أعتقد أنه من الأفضل أن أشرح الأمور بكلماتي الخاصة.

- أرجوك يا آنسة.

- حسناً... كانت كارلوتا متفعلة، رغم أنها قليلاً ما تنفعل، فهي ليست من هذا النوع من الناس. وهي قد لمحت إلى أنها لا تستطيع

- لا. قالت فقط إنها ستكون قادرة على فعل هذا وذلك في المستقبل القريب، وكانت تريد أن تحضر أختها الصغيرة من أمريكا لتلتقي بها في باريس. لقد كانت تحبها كثيراً... هذا كل ما أعرفه. هل هذا ما تريده؟

- خدعة؟

أوما بورو برأسه: نعم، هذا يؤكد نظريتي. ولكنني أعترف بأنني كنت أؤمل نفسي بمزيد. لقد توقعات أن تكون الأنسة آدمز مثالة إلى السرية، لكنني رجوت أنها -بحكم كونها امرأة- لن تمنع بكشف هذا السر لأفضل صديقانها.

اعترفت جيني: لقد حاولت استدراجها لتسبح لي بذلك، لكنني ضحكت وقالت إنها ستخبرني بالأمر يوماً ما.

سكت بورو لحظة ثم قال: هل تعرفين اسم اللورد إدجوير؟

- ماذا؟ الرجل الذي قتل؟ لقد قرأت اسمه في ملصق قبل نصف ساعة.

- نعم. هل تعرفين إن كانت الأنسة آدمز تعرفه أم لا؟

- لا أظن ذلك... بل أنا متأكدة أنها لم تكن تعرفه. آه! انتظر دقيقة.

قال بورو متلهفاً: نعم يا آنسة؟

قالت: "ما هو ذاك؟"... قطعت جيبينها وعقدت حاجبيها وهي تحاول أن تتذكر، ثم قالت: نعم، تذكرت الآن. لقد ذكرته مرة بمراة شديدة.

الحديث صراحةً عما كان سبب لها الانفعال، حيث قد وعدت أن لا تفعل، ولكن كان واضحاً أنها تخفي شيئاً ما... شيئاً أظن أنه يتعلق بخدعة كبيرة.

- هذا ما قالته. لم تقل كيف أو متى أو أين، إنما فقط...

سكتت وهي تعبس، ثم أكملت قائلة: حسناً؛ إن كارلوتا ليست من النوع الذي يستمتع بالمزاح السمج أو الخدع أو أشياء كهذه، فهي فتاة جادة عميقة التفكير. ما أعنيه هو أن شخصاً ما دفعها لهذا العمل المثير، وأعتقد... هذا هو اعتقادي وليس شيئاً قالته لي، أرجو أن لا يلتبس عليك الأمر.

- نعم، نعم، أفهم هذا تماماً. ما الذي كنت تعتقد به؟

- أظن... بل إنني متأكدة... أن الأمر يتعلق بالمال بشكل أو بآخر. الحق أنه لم يكن شيء لثير كارلوتا غير المال؛ فقد كانت مجبولة على ذلك. لقد منحها الله واحداً من أفضل العقول في أمور العمل، ولم يكن يثيرها أو يرضيها إلا المال. كان الأمر يتعلق بمبلغ كبير من المال، وأظنها كانت ترأى على شيء ما، وكانت متأكدة تماماً أنها ستفوز. ومع ذلك لم يكن هذا صحيحاً تماماً، أقصد أن كارلوتا لم تكن من الذين يراهنون... لم أعرف عنها ذلك أبداً. وعلى أية حال فأنا واثقة من أن الأمر يتعلق بالمال.

- هل قالت ذلك بالفعل؟

- مرارة؟

- نعم، قالت... ماذا قالت؟ إن رجلاً كهذا يجب أن لا يُسمح له بتدمير حياة الآخرين بسبب وحشيته وعدم تفهمه. وقالت... نعم، لقد قالت إنه من النوع الذي يكون موته حدثاً جميلاً للجميع.

- متى قالت هذا يا آنسة؟

- أظن أن ذلك كان قبل نحو شهر.

- كيف نظرتما إلى هذا الموضوع؟

حاولت جيني درايفر أن تتذكر لبعض الوقت لكنها هزت رأسها في النهاية وقالت: لا أستطيع أن أتذكر. ذكر اسمه على نحو غير متوقع، وقد يكون ذلك في الصحيفة. على أية حال أتذكر أنني استغربت حماسة كارلوتا الشديدة وحنقها على رجل لم تكن تعرفه.

واقفها بوارو متأملاً: "أمر غريب بالتأكيد"، ثم سألها: هل تعرفين إن كانت الآنسة آدمز معتادة على تناول الفيرونال أم لا؟

- لا أعرف هذا. لم أرها أبداً تتناول أو تذكر أنها تتعاطاه.

- هل رأيت في حقيبتها علبة ذهبية صغيرة مكتوباً عليها بالزمرّد الحرفان «ك. أ.»؟

- علبة ذهبية صغيرة؟ لا؛ أنا واثقة من أنني لم أرها.

- هل يمكن أن تعرفي أين كانت الآنسة آدمز في تشرين الثاني الماضي؟

- دعني أتذكر. أعتقد أنها عادت إلى أمريكا في تشرين الثاني، في نهاية الشهر وقبل ذلك التاريخ كانت في باريس.

- وحدها؟

- بالطبع وحدها! آسفة... ربما لم تكن تقصد ذلك. لا أعرف لماذا يوحي أي ذكر لباريس دائماً بالأسوأ؟ إنه في الحقيقة مكان جميل ومحترم. لكن كارلوتا لم تكن من النوع الذي يقضي عطلة نهاية الأسبوع في الأسفار، إن كان هذا ما تريد أن تصل إليه.

- أريد أن أسألك سؤالاً مهماً جداً يا آنسة: هل من رجل كانت تهتم به الآنسة آدمز اهتماماً خاصاً؟

قالت جيني ببطء: الإجابة على ذلك هي: «لا». لقد كانت كارلوتا -منذ عرفتها- مهتمة بعملها وأختها الرقيقة. كانت تحسن أنها المسؤولة عن العائلة وأن جميع أفراد الأسرة يعتمدون عليها، وكانت تؤمن بهذا بقوة. ولذلك فإن الإجابة هي: لا...

- آه! وهل هذه إجابة تامة؟

- لن أتعجب إذا كانت كارلوتا غير مهتمة بأي رجل في الفترة الأخيرة.

- آه!

- أذكرك بأن هذا تخمين من جانبي فقط. كنت مفتونة بسلوكها. لقد كانت مختلفة، لم تكن حالمة تماماً ولكن شاردة الذهن، وكانت

تبدو مختلفة إلى حد ما. آه! لا أستطيع شرح ذلك. إنه شيء تشعر به امرأة أخرى، وبالطبع قد أكون مخطئة في هذا تماماً.

أوماً بوارو برأسه وقال: شكراً لك يا آنسة. شيء آخر: هل للآنسة آدمز صديقة أخرى يبدأ اسمها بالحرف «د»؟

قالت جيني درايفر متأملة: د، د؟ لا، أنا آسفة. لا أعرف أي واحدة يبدأ اسمها بهذا الحرف.

الفصل الحادي عشر المرأة الأنانية

لا أظن أن بوارو كان يتوقع لسؤاله إجابة غير هذه، ومع ذلك هز رأسه بحزن واستغرق في تفكير عميق. مالت جيني درايفر إلى الأمام وذراعها على الطاولة وقالت: والآن، هل ستقول لي أي شيء؟

قال بوارو: يا آنسة، قبل كل شيء دعيني أهنئك. كانت إجاباتك عن أسئلتني ذكية بطريقة فريدة. من الواضح أنك ذكية يا آنسة، والآن تسألين إن كنت سأخبرك بأي شيء، وإجابتي عن ذلك أنني لن أخبرك بالكثير... سأخبرك ببضع حقائق مجردة فقط يا آنسة.

سكت ثم قال بهدوء: لقد قُتل اللورد إدجوير في مكتبه في البيت الليلة الماضية، وقد جاءت إلى البيت الساعة العاشرة مساءً أمس سيدة أظن أنها صديقتك الآنسة آدمز، وطلبت رؤية اللورد إدجوير زاعمة أنها الليدي إدجوير. كانت تلبس باروكة ذهبية وانتحلت شخصية الليدي إدجوير الحقيقية التي (ربما تعلمين) هي السيدة جين ويلكنسون الممثلة. بقيت الآنسة آدمز (إن كانت هي المرأة...) بضع

لحظات فقط، ثم تركت البيت في الساعة العاشرة وخمس دقائق، لكنها لم تعد إلى بيتها إلى ما بعد منتصف الليل، حيث ذهبت إلى النوم بعد أن تناولت جرعة زائدة من الفيروئال. أظن أنك فهمت الآن - يا آنسة - مغزى بعض أسئلتي التي كنت أسألك إياها.

سحبت جيني نفساً عميقاً وقالت: نعم، فهمت الآن. أظن أنك على حق يا سيد بوارو. أقصد أنك على حق بأن المرأة كانت كارلوتا، لسبب واحد على الأقل؛ وهو أنها اشترت مني أمس قبعة جديدة.

- قبعة جديدة؟

- نعم؛ قالت إنها تريد قبعة تغطي الجانب الأيسر لوجهها.

هنا لا بد لي أن أكتب بضع كلمات للتوضيح لأنني لا أعرف متى سَتَقْرَأُ كلامي هذه. لقد رأيت كثيراً من أنواع القبعات في زماني: القبعة المائلة إلى الأمام، والقبعة الملتصقة بمؤخرة الرأس، وكثيراً من الأشكال الأخرى. وفي شهر حزيران هذا بالذات كانت القبعة الدارجة على شكل طبق شُرْبِيَّة مقلوب وكانت تُلبس ملتصقة بإحدى الأذنين تاركَةً جانب الوجه الآخر والشعر مكشوفين.

سألها بوارو: هذه القبعات توضع عادة على الجانب الأيمن من الرأس، أليس كذلك؟

أومأت الخياطة الصغيرة برأسها وأوضحت: لكننا نحتفظ بضع قبعات من تلك التي توضع على الجانب الأيسر من الوجه، لأن فريقاً من النساء يفضّلُن كشف جانب وجههن الأيمن على الأيسر، كما أن منهن المعتادات على فرق الشعر على أحد الجانبين فقط.

ولكن، هل كان من سبب خاص لطلب كارلوتا قبعة تغطي جانب وجهها الأيسر؟

تذكرت أن باب البيت في ريجنت غيت كان يفتح جهة اليسار، ولذلك فإن أي شخص يدخل سياره الخادم من ذلك الجانب كاملاً. وتذكرت - أيضاً - أن جين ويلكنسون (كما لاحظت الليلة الماضية) كانت لها شامة صغيرة على طرف عينها اليسرى.

قلت ذلك متفعلاً، ووافقني بوارو وهو يرمي برأسه متحمساً: إنه كذلك، إنه كذلك. هذا تفكير سليم تماماً، نعم، هذا يوضح سبب شرائها تلك القبعة.

انتصبت جيني في جلستها فجأة وقالت: سيد بوارو؟ هل تعتقد أن كارلوتا هي الفاعلة؟ أقصد أنها قتله. هل تعتقد ذلك؟ لا يمكن أن يكون ذلك لمجرد أنها تكلمت عنه كلاماً مريباً.

- لا اعتقد ذلك. لكن الأمر غريب... أقصد كونها قالت مثل هذا الكلام. أريد أن أعرف سبب هذا. ما الذي فعله؟ ما الذي عرفته عنه لتتحدث بهذه الطريقة؟

- لا أعرف، لكنها لم تقتله. لقد كانت... آه، كانت مستقيمة جداً.

أوماً بوارو مستحسنًا كلامها: نعم، نعم، هذا كلام جميل. إنها نقطة سيكولوجية، وأنا أوافقك على ذلك، هذه كانت جريمة علمية.

- علمية؟

- لقد عرف القاتل أين يغرس سكينه بالضبط حتى تصل إلى العصب الذي يتوسط قاعدة الجمجمة حيث يتصل بالحبل الشوكي.

قالت جيني متأملة: هذا يظهر وكأن الفاعل طبيب.

- هل كانت الأنسة آدمز تعرف أي طبيب؟ أقصد هل كان لها صديق يعمل طبيباً؟

هزت جيني رأسها نافية: لم أسمع عن واحد أبداً، ليس هنا على أية حال.

- سؤال آخر: هل كانت الأنسة آدمز تلبس نظارة أنفية؟

- نظارة؟ أبداً.

قطب بوارو حاجبيه، ثم سأل: على فكرة، هل كانت الأنسة آدمز تعرف بريان مارتن الممثل السينمائي؟

- نعم. كانت تعرفه منذ كانت طفلة كما أخبرتني، ومع ذلك لا أظن أنها كانت تراه كثيراً. لعلها كانت تلقاه على فترات متباعدة، وقد خبّرني أنه مغرور جداً.

نظرت إلى ساعتها وصاحت: يا إلهي! يجب أن أذهب على عجل، هل أفدتك في شيء يا سيد بوارو؟

- نعم، سأطلب منك مساعدة أخرى عما قريب.

- أنا رهن إشارتك. لقد خطط شخص هذا العمل الوحشي ويجب أن نعرف من هو.

ابتسمت فجأة وتركتنا مسرعة. وقال بوارو بعد أن دفع الفاتورة: شخصية مثيرة!

قلت: إنني معجب بها.

- رائع جداً أن نلتقي بصاحبة عقل ذكي.

قلت متأملاً: ربما كانت قاسية قليلاً، فسماعها خبر وفاة صديقتها لم يسبب لها أية صدمة كما كنت أتوقع.

وافق بوارو بجذية: إنها ليست من النوع الذي ينهار بالتأكيد.

- هل حصلت على ما كنت ترجوه من هذا اللقاء؟

هز رأسه: لا. كنت أأمل... كنت أأمل كثيراً في الحصول على مفتاح لكشف شخصية «د» التي أهدتها اللعبة الذهبية الصغيرة، وقد فشلت في هذا. ولسوء الحظ كانت كارلونا آدمز فتاة متحفظة، لم تكن تثرثر عن أصدقائها أو علاقاتها. ومن ناحية أخرى قد لا يكون الشخص الذي اقترح عليها الخدعة صديقاً لها على الإطلاق. ربما كان مجرد شخص اقترح هذا العمل عليها (على أساس الرهان دون شك) مقابل الحصول على مال. ربما شاهد هذا الشخص اللعبة الذهبية التي كانت تحملها معها وانتهر فرصة ليكشف ما كانت تحتويه.

- ولكن كيف جعلها تتناوله؟ ومتى؟

- وماذا تعني بالطرف الآخر؟

- دراسة دقيقة لهؤلاء الذين يربحون من وفاة اللورد إدجووير
مهما كان ذلك الربح.

قلت: وأولهم ابن أخيه وزوجته...

أضاف بوارو: والرجل الذي أرادت الليدي أن تتزوجه.

- الدوق؟ إنه في باريس.

- صحيح، لكنك لا تستطيع أن تنكر أنه طرف مستفيد. ثم
العاملون في البيت: كبير الخدم وبقية الخدم. من يعرف الأحقاد التي
يكنونها له؟ لكني - شخصياً - أعتقد أن نقطة الهجوم الأولى لنا يجب
أن تنطلق من مقابلة أخرى مع الأنسة جين ويلكنسون. إنها داهية،
وقد تكون قادرة على الإيحاء لنا بشيء.

مرة أخرى اتجهنا إلى السافوي حيث وجدنا السيدة محاطة
بالعلب ومناديل الورق بينما كانت الأجواخ السوداء ملقاة على
المقاعد. بدت جين مستغرقة في التفكير وقد ظهرت عليها ملامح
الجذ، وكانت ما زالت تحرب قبعة صغيرة سوداء أمام المرأة.

- سيد بوارو؟ تفضل بالجلوس، هذا إن كان هنا أي
شيء يمكنك أن تجلس عليه. إليس، ارفعي الملابس عن بعض
الكراسي.

- مضى وقت كان باب الشقة فيه مفتوحاً، عندما خرجت
الخادمة لتضع الرسالة في البريد... ولكن هذا لا يقنعني؛ فهو يعتمد
كثيراً على المصادفة. على أية حال، لننتقل الآن إلى العمل؛ فما
زال لدينا أمران يجب أن نتحرى عنهما.

- وما هما؟

- الأول هو المكالمات الهاتفية مع ذلك الرقم المحلي. يبدو لي
أنه من الممكن أن نكون كارلوتا آدمز قد اتصلت بذلك الرقم عند
عودتها لتبلغ نجاحها في المهمة. ولكن، من ناحية أخرى، أين كانت
ما بين الساعة العاشرة وخمس دقائق ومتنصف الليل؟ ربما كانت
على موعد مع الشخص الذي حملها على تلك الخدعة، وفي تلك
الحالة قد تكون المكالمات الهاتفية مع صديق.

- وما هو الأمر الثاني؟

- آه! هذا هو ما أمل منه خيراً، الرسالة يا هيستنز... الرسالة
التي أرسلتها لأختها. من المحتمل (أقول: من المحتمل فقط) أنها
ذكرت فيها عملها الذي عملته كله، ولم تكن ستعتبر هذا نقضاً
لعهدها حيث أن الرسالة لم تكن ستقرأ قبل أسبوع وفي بلد غير
هذا البلد.

- إن كان هذا صحيحاً فإنه أمر مذهل!

- لا يجب أن نبني كثيراً على هذا يا هيستنز. إنها فرصة وهذا
كل ما في الأمر. لا، يجب أن نعمل الآن بادئين من الطرف الآخر.

- مدام، إنك تبدين فائنة!

بدت جين جادة: لا أريد لعب دور المرأة المناقفة يا سيد بوارو، ولكن يجب عليّ أن أراعي المشاعر العامة، ألا تعتقد ذلك؟ أقصد أنه يجب عليّ التزام الحذر. على فكرة، لقد تلقيت برفقة من الدوق.

- من باريس؟

- نعم، من باريس. برفقة حذرة بالطبع ويفترض أن تكون برفقة عزاء ومواساة، لكنني أستطيع قراءة ما بين سطورها.

- أهنتك يا مدام.

أطبقت يديها وخففت صوتها الأجنس: سيد بوارو، لقد كنت أفكر... كل شيء يبدو معجزة، ها أنا ذا قد انتهت مشكلاتي كلها. لا قلق بعد الآن من موضوع الطلاق ولا متاعب. لقد خلا طريقي الآن وكل شيء أصبح سالكاً... هذا يشعرني بالرهبة!

نظر بوارو إليها وقد أمال رأسه قليلاً على أحد الجانبين. كانت جادة تماماً. قال: هل ترين الأمر هكذا يا مدام؟

قالت جين هامسة: الأمور تسير على ما يرام بالنسبة لي. لقد فكرت وفكرت في الآونة الأخيرة في مسألة موت إدجووير، وما هو ذا قد مات. كأنما... كأنما جاء ذلك استجابة لدعائي.

تنحى بوارو وقال: لا أستطيع القول إنني أنظر إلى الأمر كما تنظرين إليه يا مدام؛ فشحص ما قد قتل زوجك.

أومات برأسها: بالطبع.

- ألم يخطر ببالك أن تساءلي: من هو ذلك الشخص؟

حدثت إليه وقالت: وهل يهم هذا؟ أقصد: ما علاقة هذا بالأمر؟ استطيع الزواج بالدوق خلال أربعة أشهر أو خمسة تقريباً...

ضبط بوارو نفسه بصعوبة: نعم يا مدام، أعرف هذا. ولكن عدا ذلك ألم يخطر لك أن تسألي نفسك من قتل زوجك؟

قالت وقد بدا أنها قد فوجئت بهذه الفكرة: لم أفكر بذلك.

سألها بوارو: ألا يهملك أن تعرفي؟

- ليس كثيراً. أظن أن الشرطة سيكشفون الأمر. إنهم أذكاء جداً، أليس كذلك؟

- هذا ما يقال. أنا أيضاً سأجعل من مهمتي كشف الفاعل.

- حقاً؟ كم هو غريب!

- ولماذا غريب؟

- لا أعرف.

أعادت نظراتها إلى الملابس، وبسرعة لبست معطفاً من الساتان ونظرت إلى نفسها في المرأة. سألها بوارو وعيناه تطرفان: هل تمانعين في ذلك؟

- بالطبع لا يا سيد بوارو؛ بل أحب أن تستخدم ذكائك لكشف الفاعل وأتمنى لك كل النجاح.

- مدام، أريد منك أكثر من الثمنيات... أريد رأيك.

قالت جين وهي شاردة تميل رأسها على كتفها: رأيي؟
بماذا؟

- من تظنين قاتل اللورد إدجوير؟

هزت جين رأسها: ليست عندي أية فكرة!

لوت كتفها وهي تجرب الملابس ثم أمسكت بالمرأة اليدوية.
قال بوارو بصوت مرتفع وشديد: مدام! من تظنين أنه قتل زوجك؟
هذه المحاولة نجحت؟ فقد نظرت جين إليه نظرة خوف
وقالت: أظن أنها جبر الدين.

- من هي جبر الدين؟

لكن جين حولت نظرها ثانية وهي تقول: إليس، ارفعي هذا
عن كتفي الأيمن قليلاً. نعم يا سيد بوارو؟ جبر الدين هي ابنته.
لا يا إليس، الكتف الأيمن... هذا أفضل. آه! هل يجب أن تذهب
يا سيد بوارو؟ إنني شاكراً لك كثيراً لكل شيء عملته... أقصد
موضوع الطلاق. سأذكر دائماً أنك شخص رائع.

الفصل الثاني عشر

الابنة

عندما عدنا إلى شقتنا وجدنا على الطاولة رسالة أرسلت باليد.
أخذها بوارو وفتحها بدقته المعهودة ثم ضحك وقال: ماذا تقول في
هذه يا هيستغز؟

أخذت منه الرسالة التي حملت خاتم المنزل ١٧ ورجعت
غيت، وكانت مكتوبة بخط يد مميز تسهل قراءته. وقرأت تلك
الرسالة الغريبة:

سيدي العزيز،

سمعت أنك كنت في البيت هذا الصباح مع المفتش،
وأنا شديدة الأسف لأن الفرصة فائتني للحديث معك.
سأكون ممننة لك كثيراً لو خصصت لي من وقتك بضع
دقائق لرؤيتك في أي وقت من بعد ظهر اليوم، إن كان
هذا مناسباً لك.

المخلص: جبر الدين مارش.

قلت: غريب! لماذا تريد رؤيتك يا ترى؟

- هل غريب أنها تود رؤيتي؟ إنك غير مهذب يا صديقي.

كانت لبوارو عادة تثير الغيظ، وهي المزاح في اللحظة غير المناسبة. وقال وهو يسبح ذرة غبار تخيل وجودها على قبعته: "سنذهب إلى هناك على الفور يا صديقي"، ثم وضع القبعة على رأسه. وقلت له: جين ويلكسون زعمت أن جبر الدين قد تكون قتلت أباهما، وهذا الزعم يبدو لي سخيفاً. إن هذا رأي لا يقول به غير امرئ ناقص العقل.

- عقل... عقل؟ ماذا نعني - حقيقةً - بهذا المصطلح؟ إنكم تقولون في لغتكم إن لجين ويلكسون عقل أرنب، وهذا مصطلح يُقصد به الحط من قدر الموصوف، ولكن فكّر في الأرنب قليلاً: إنه موجود ويتكاثر، أليس كذلك؟ وهذا - بعرف الطبيعة - علامة على التفوق العقلي. إن الليدي إدجوير الجميلة لا تعرف التاريخ أو الجغرافيا ولا حتى قواعد الأدب والفن دون شك، ولكن عندما تأتي مسألة اختيار الملابس والزواج المصلحي وشق طريقها الخاص فإن نجاحها يكون غير عادي. إن رأي الفيلسوف في مسألة قتل اللورد إدجوير لن يفيدني، وإن يكن الباعث على القتل من وجهة نظر الفيلسوف ذا فائدة عظيمة، ولأن من الصعب تقرير ذلك فإن قليلاً من الفلاسفة يكونون مجرمين. لكن رأياً لامبالياً من الليدي إدجوير قد يكون مفيداً لي؛ لأن وجهة نظرها ستكون مادية ومركزة على معرفة الجانب الأسوأ في الطبيعة البشرية.

قلت موافقاً: ربما كان في هذا شيء من الصحة.

- ها قد وصلنا. إنني متشوق لمعرفة السبب في رغبة الفتاة برؤيتي.

قلت مستاء: إنها رغبة طبيعية. لقد قلت ذلك قبل ربع ساعة... الرغبة الطبيعية في رؤية شيء فريد عن قرب. وأجابني بوارو وهو يقرع جرس الباب: قد تكون أنت الذي أثار إعجابها أول أمس يا صديقي.

تذكرت الذعر الذي لاح في وجه الفتاة وهي تقف عند مدخل الباب. كنت لا أزال أرى عينها السوداءوين المتقدتين ووجهها الشاحب. لقد أحزننتي نظرتها تلك إلى حد بعيد.

طُلب إلينا أن نصعد إلى الطابق العلوي حيث غرفة استقبال كبيرة، وبعد لحظات جاءت جبر الدين مارش. وفي تلك اللحظة تعمق في ذهني انطباعي السابق عن هذه الفتاة الطويلة النحيلة ذات الوجه الشاحب والعينين السوداءوين الكبيرتين.

كانت هادئة بالنسبة لصغر سنها لدرجة ملفنة للنظر. قالت: جميل منك أن تأتي على الفور يا سيد بوارو، وأنا أسفة لآتي لم أرك هذا الصباح.

- هل كنت نائمة بالطابق السفلي؟

- نعم، لقد أصرت عليّ الأنسة كارول، سكرتيرة والدي، لفعل ذلك، وقد كانت لطيفة معي للغاية.

كانت في صوت الفناء نبرة حقد غريبة حيرتني. وقال بوارو
مستائلاً: كيف يمكنني خدمتك يا آنسة؟

ترددت دقيقة ثم قالت: في اليوم الذي سبق مقتل والدي،
جئت لرؤيته، أليس كذلك؟
- بلى يا آنسة.

- لماذا؟ هل أرسل في طلبك؟

لم يجيبها بوارو على الفور، بل تظاهر بالتفكير العميق، وأظن
أنها كنت حركة ذكية محسوبة من طرفه؛ فقد أراد حثها على الحديث
أكثر. لقد أدرك أنها كانت من النوع غير الصبور وتريد إنجاز كل
شيء بسرعة خاطفة.

سألت: هل كان خائفاً من شيء؟ أخبرني... أخبرني... يجب
أن أعرف. متى كان خائفاً؟ لماذا؟ ما الذي قاله لك؟ آه! لماذا
لا تتكلم؟

كنت متأكداً - منذ البداية - أن هدوءها الظاهر لم يكن طبيعياً،
وها هو الآن قد فارقتها. مالت إلى الأمام وهي تفرك يديها بطرف
ثوبها بعصبية واضحة.

قال بوارو ببطء: الذي جرى بيني وبين اللورد إدجوير كان
سراً.

ولم تبرح عيناه وجهها أبداً!

- إذن فقد كان بخصوص... أقصد؛ لا بد أنه كان شيئاً يتعلق
بالعائلة. أنت تجلس هنا وتعذّبي. لماذا لا تخبريني؟ من الضروري
أن أعرف... ضروري.

مرة أخرى هز بوارو رأسه ببطء وكان واضحاً أنه يريد زيادة
حيرتها. انصبت في جلستها وقالت: سيد بوارو، أنا ابنته، ومن حقي
أن أعرف ما الذي كان والذي يخشاه قبيل وفاته؟ ليس من العدل أن
تتركني حائرة، ولم يكن من حقه أن لا يخبرني.

سألها بوارو بلطف بالغ: إذن هل كنت تحبين والدك كثيراً
يا آنسة؟

تراجعت للوراء وكأنها صغت، وهمت قائلة: أحبه؟ أحبه؟
إنني... إنني...

وفجأة انهارت وفقدت القدرة على ضبط نفسها، وبدأت
تضحك ضحكات مدوية. استندت بظهرها إلى الكرسي وهي
تضحك وتضحك، ثم قالت لاهثة: إن سؤالك هذا مضحك جداً...
مضحك جداً!

ولم تمر تلك الضحكات الهستيرية دون أن يسمعها أحد، فقد
فُتح الباب ودخلت الأنسة كارول الصلبة القديرة وهي تقول: اهذهني!
جبر الدين... عزيزتي، هذا لن يفيد. لا، لا. اسكني، أرجوك توقفي.
إنني أعني ما أقول... توقفي على الفور.

كانت توجيهاتها مفيدة؛ فقد خفت ضحكات جبر الدين

- لا أعتقد أن الحديث في هذا الموضوع ضروري يا جبر الدين.
إن الأبناء لا ينسجمون مع بناتهم في الغالب، لكنني عرفت أنه كلما
كان الكلام أقل في هذه الحياة كان ذلك أفضل.

أدارت جبر الدين ظهرها لها وبدأت تخاطب بوارو: سيد
بوارو، كنت أكره والدي، وأنا مسرورة لأنه مات؛ فهذا يعني لي
الحرية... الحرية والاستقلال. لست مهتمة أبداً بمعركة قاتله؛ لأننا
نعرف أن الشخص الذي قتله قد تكون له دوافع عديدة تبرر عمله
هذا.

نظر بوارو إليها متأملاً: مبدأ خطير هذا الذي تعتقته يا آنسة!

- هل شق شخص آخر سعيد الحياة إلى والدي؟

قال بوارو بيروود: لا، ولكنه ينقذ أرواح أناس أبرياء آخرين
من القتل.

- لا أفهم.

- الشخص الذي يقتل مرة - يا آنسة - يقتل ثانية، وأحياناً مرات
أخرى كثيرة.

- لا أصدق هذا. هذا لا ينطبق على الشخص الطبيعي.

- تقصدين الشخص الذي لم يُصَبَّ بهرس القتل؟ نعم، هذا
صحيح. قد يرتكب شخص جريمة قتل بعد صراع عنيف مع ضميمه،
ثم - عندما يهدده الخطر - تكون جريمة القتل الثانية أكثر سهولة له من
الناحية الأخلاقية، وعندما يشك بوجود أدنى تهديد يرتكب الثالثة،

ومسحت عينيها، ثم جلست منتصبة وهي تعتذر بصوت منخفض:
أنا آسفة، لم يحصل معي مثل هذا من قبل.

كانت الآنسة كارول لا تزال تنظر إليها بقلق.

- أنا على ما يرام الآن آنسة كارول، كان ذلك حمقاً مني.

ابتسمت فجأة ابتسامة غريبة مريرة، وجلست على كرسيها دون
أن تنظر إلى أحد، وقالت بصوت فاتر واضح الثبرات: لقد سألتني
إن كنت أحب والدي كثيراً...

أصدرت الآنسة كارول صوتاً غامضاً يدل على حيرتها،
وواصلت جبر الدين حديثها وقد ارتفع صوتها وبدأت تتكلم بازدياد:
ترى هل من الأفضل أن أقول الحقيقة أم أن أروي الأكاذيب؟ الحقيقة
أنني لم أكن أحب والدي بل كنت أكرهه.

- جبر الدين، عزيزتي...

- لماذا التظاهر؟ أنت لم تكرهه لأنه لم يسبب لك الأذى. كنت
واحدة من القلائد في العالم الذين لم يستطع النيل منهم، وقد نظرت
إليه كصاحب عمل يدفع لك راتباً سنوياً مجزياً. لم يكن احتياجه أو
شدوده ليثير اهتمامك، بل كنت تتجاهلين ذلك. أعرف ما ستقولينه:
"على كل واحد أن يتحمل أشياء". كنت غير مهتمة، وكنت امرأة قوية
جداً. إنك لست - في الحقيقة - كائناً بشرياً... ويمكنك أن ترحلي
عن البيت في أي وقت نشأتين، أما أنا فلم أكن أستطيع ذلك لأنني
أسكن هنا.

وشيثاً قشياً ينشأ عنده غرور بنفسه، ويصبح القتل صنعة، وفي نهاية المطاف يفعل ذلك من أجل المتعة.

كانت الفتاة تخفي وجهها يديها: مخيف... مخيف. هذا ليس صحيحاً.

- افترضي أنني أخبرتكَ أن ذلك حدث فعلاً، أي أن المجرم قد قتل مرة أخرى لكي ينقذ نفسه!

صاحت الأنسة كارول: ما هذا يا سيد بوارو؟! جريمة قتل أخرى؟ أين؟ من؟

هز بوارو رأسه بلطف: كان مجرد توضيح فقط، أرجو المعذرة.

قالت جبر الدين: "آه! فهمت، لقد اعتقدت لبعض الوقت..."، ثم قالت بسرعة: لا أؤمن بعقوبة الموت، وإلا فأنا أؤيدك بالتأكيد. يجب حماية المجتمع.

نهضت ورفعت شعرها عن جبينها وهي تقول: آسف، أخشى أنني أجدع نفسي. ألا زلت ترفض إخباري لماذا استدعاكَ والدي؟

قالت الأنسة كارول بدهشة كبيرة: استدعاه؟!

- إنك تسيئين فهمي آنسة مارش! لم أرفض إخبارك.

أجبر بوارو الآن على الحديث المكشوف: كنت أفكر إلى أي حد كان ذلك اللقاء معه سريعاً. والدك لم يستدعني بل أنا طلبت لقائه نيابة عن موكل لي، وذلك الموكل هو الليدي إدجوير.

- آه! فهمت.

ظهرت ملامح غير طبيعية على وجه الفتاة. ظننت -في البداية- أنها ملامح خيبة الأمل، ثم رأيت أنها كانت ملامح ارتياح. قالت ببطء: كنت حقاً! ظننت أن والدي اعتقد بأنه معرض للخطر، كان ذلك غباء مني.

قالت الأنسة كارول: لقد صدمتني تماماً الآن يا سيد بوارو عندما قلت إن تلك المرأة قد ارتكبت جريمة أخرى.

ولم يرد بوارو عليها، بل تكلم مع الفتاة قائلاً: هل تعتقدين -يا آنسة- أن الليدي إدجوير هي التي ارتكبت الجريمة؟

هزت رأسها نافية: لا، لا أعتقد ذلك؛ لا أتصور أنها تفعل شيئاً كهذا.

قالت الأنسة كارول: لا أرى غيرها يمكن أن يقوم بتلك الفعل، كما أنني أعتقد أن أمثالها من النساء يفتقرون إلى أي إحساس أخلاقي.

جادلتها جبر الدين: لا حاجة لأن تكون هي الفاعلة. ربما جاءت إلى هنا والتقت به ثم ذهبت، وقد يكون القاتل الحقيقي شخصاً مجنوناً دخل إلى البيت بعد ذلك.

قالت الأنسة كارول: جميع المجرمين مضطربو العقل... أنا واثقة من هذا.

فُتح الباب في تلك اللحظة فجأة ودخل رجل، وقف مرتبكاً وهو يقول: أنا آسف، لم أعرف أن في الغرفة أحداً.

قامت جيراالدين بالتعريف بطريقة آلية: ابن عمي اللورد إدجوير... السيد بوارو. لا عليك يا رونالد، أنت لم تقاطعنا.

- كيف حالك يا سيد بوارو؟ هل تعمل خلاياك الرمادية على حل لغز عائلتنا هذا؟

رجعت يذاكرتي إلى الوراء في محاولة لكي أتذكر ذلك الوجه المستدير الأبله والعينين وتحتهما بعض التجاعيد والشارب الصغير المعزول كأنه جزيرة وسط الوجه الواسع. بالطبع! إنه مرافق كارلوتا آدمز الذي رأيته في تلك الليلة عندما تناولنا العشاء في جناح جين ويلكسون... الكابتن رونالد مارش أصبح الآن اللورد إدجوير.

* * *

الفصل الثالث عشر ابن الأخ

يبدو أن اللورد الجديد (الذي ورث اللقب عن عمه) كان سريع الملاحظة؛ فقد انتبه لجفنتي الخفيفة عندما رأيته وقال بلطف: آه! لقد تذكرتني... في حفل عشاء العمة جين. كان حقلاً محدوداً، أليس كذلك؟ وقد تصورت أنه مَرّ دون أن يذكره أحد.

قام بوارو يودع جيراالدين مارش والآنسة كارول، وقال رونالد مجاملاً: سأنزل معكما.

صحبتنا إلى الطابق السفلي وهو يتكلم: الحياة غريبة؛ لقد طُرِدَت ذات يوم من القصر، ثم صرت مالكة في يوم نال! لقد طردني عمي الراحل قبل ثلاث سنوات... أظنك تعرف كل هذا يا سيد بوارو؟

ردّ عليه بوارو بهدوء: سمعت ذلك، نعم.

قال: "أمر طبيعي. من المؤكد أن يُعرف شيء كهذا، فالشرطي الجاد لا تفوته الحقيقة". وابتسم وهو يكمل حديثه مبتهجاً: لقد

تحوّلت في غضون ليلة قصيرة من مدين بانس إلى تاجر غني...
بالأمس كنت مفلساً واليوم غنياً! فليبارك الله جين زوجة عمي!

ثم تكلم مع بوارو بأسلوب مختلف قليلاً: بصراحة، ما الذي
تفعله هنا يا سيد بوارو؟ قبل أربعة أيام كانت جين تخطب بأعلى
صوتها وتقول: "من يخلصني من هذا الطاغية المتعطر؟"، وانظر؟
لقد تخلصت منه! أرجو أن لا يكون ذلك بواسطة مساعدتك؟
الجريمة الكاملة بواسطة هيركيول بوارو الشرطي السابق.

ابتسم بوارو وهو يردّ قائلاً: جئت إلى هنا هذا المساء استجابة
لرسالة من الأتسة جيرالدين مارش.

- زيارة سرية، أليس كذلك؟ لا يا سيد بوارو، ما الذي تفعله
هنا حقيقة؟ إنك تقحم نفسك في قضية مقتل عمي لسبب أو لآخر.

- أنا مهتم دائماً بجرائم القتل يا لورد إدجوير.

- لكنك لا تركبها؛ فأنت حذر جداً. يجب أن تعلم عمتي
جين الحذر، الحذر والتمويه. اعذرني لتسميتها بالعمة جين، فهذا
يفرحني. هل رأيت وجهها الشاحب عندما جئت إليها في تلك الليلة؟
لم تعرف هويتي على الإطلاق!

- حقاً؟

- نعم؛ لقد طُردت من هذا البيت قبل قدومها إليه بثلاثة
أشهر.

اختفت -للحظة- ملامح الحماسة والطيبة التي كانت ظاهرة

على وجهه، ثم أكمل حديثه بحوية: امرأة جميلة، لكنها غير حادة
الذهن. أسألها ببساطة... أليس كذلك؟

هز بوارو كتفيه استهجاناً وقال: ممكن.

نظر إليه رونالد بفضول وقال: لعلك تعتقد أنها لم تفعلها، إذن
فقد خدعتك أنت أيضاً؟

قال بوارو بهدوء: أنا معجب كثيراً بالجمال، ولكنني معجب
أكثر بالدليل.

لقد كان بوارو شديد الهدوء وهو يقول الكلمة الأخيرة، أما
رونالد فقد قال محتدّاً: دليل؟

- لعلك تجهل -يا لورد إدجوير- أن الليدي إدجوير كانت في
حفلة في تشيسويك الليلة الماضية في الساعة التي كان يُفترض أنها
شوهدت هنا.

تلفظ رونالد بالفاظ السباب: لقد ذهبت مع ذلك! يا لها من
امرأة! كانت تصرخ وتعلن في الساعة السادسة أن أي شيء لن يحملها
على الذهاب، والظاهر أنها غيرت رأيها بعد عشر دقائق فقط. عندما
لا يعتمد تخطيط جريمة القتل على امرأة تفعل ما تقوله فإنها تفعل.
هذا سبب كشف أفضل الخطط التي تضعها عصابات الجريمة.
لا يا سيد بوارو، أنا لا أجزم نفسي. نعم، لا تظن أنني لا أستطيع
قراءة ما يحول بخاطرك: من هو المتهم الطبيعي؟ ابن الأخ المعروف
بأنه مفلس وشرير.

استند بظهوره إلى الكرسي وهو يضحك ضحكات باهتة، ومضى

قائلاً: سوف أوفر عليك استعمال خلاياك الصغيرة الرمادية يا سيد بوارو. لا حاجة بك للبحث عن شخص رأيي قريباً من البيت عندما كانت العمة جين تعلن أنها لن تخرج من بيتها تلك الليلة أبداً، أبداً، أبداً! لقد كنت هناك، ولذلك فأنت تسأل نفسك: هل جاء ابن أخيه الشرير الليلة الماضية فعلاً متنكراً بباروكة شقراء وقبعة باريسية؟

نظر إلينا كليتا وكان يبدو مستمتعاً بالموقف، أما بوارو فقد مال برأسه إلى أحد الجانبين يتأملهما باهتمام بالغ، وأحسست بالضيق.

- كان عندي دافع... نعم، دافع معروف. كما أنني سأعطيك هدية هي عبارة عن معلومة قيمة جداً وذات دلالة. لقد جنّت إلى هنا لرؤية عمي صباح أمس. لماذا؟ لأطلب منه نقوداً. نعم، افترخ لهذا... لكي أطلب نقوداً، وقد ذهبت دون الحصول على نقود! وفي مساء ذلك اليوم نفسه، ذلك المساء نفسه... مات اللورد إدجووير. على فكرة، هذا لقب رائع: «مقتل اللورد إدجووير»... عنوان جيد في أكشاك الصحف.

سكت، ولكن بوارو لم يقل شيئاً، فأكمل يقول: الحق أنني مسرور جداً لإصغائك يا سيد بوارو. إن الكاتين هيستنغر ليبدو وكأنه قد رأى شيئاً أو على وشك أن يرى شيئاً في أية لحظة. لا تجعل أعصابك تتوتر كثيراً يا عزيزي. ماذا كنا نقول؟ آه، نعم! قضية ضد ابن الأخ الشرير. إلقاء الجريمة على زوجة العم المكروهة. ابن الأخ الذي اشتهر - ذات مرة - بمثل أدوار نسائية يقوم بأداء عمله المسرحي الكبير... يعلن عن نفسه وبصوت أنثوي بأنه الليدي إدجووير ويمشي بجانب كبير الخدم بخطوات أنيقة. لم تظهر أية شكوك. يصبح

عمي المحب: "جين..."، وأنا أزعق: "جورج..." وأرمي بذراعي حول عنقه وأغرس سكين الجيب فيها بكل دقة. المعلومات التالية معلومات طبية خالصة ويمكن حذفها. تخرج السيدة الزائفة من البيت، وهكذا أذهب إلى النوم بعد نهاية يوم من العمل الجيد.

ضحك وهو يضيف معلقاً: ألا تبدو هذه رائعة؟ ولكن تأتي هنا عقدة المسألة؛ خيبة الأمل! الحقيقة المزعجة، وهي أنني كنت في الحديقة. ومن أجل ذلك تأتي الآن إلى موضوع عدم وجودي في مكان الجريمة في تلك الساعة يا سيد بوارو! إنني أرى أن أدلة إثبات الوجود في مكان ما ممتعة جداً... وعندما أقرأ قصة بوليسية أنتصب في جلستي وأدوّن مثل هذه الأدلة التي تصادفني. ولدي الآن مثل هذا الدليل الممتاز، فتمّة ثلاثة شهود في صالحي: السيد دورثيم وزوجته وابنته. إنهم أغنياء جداً ويحبون الموسيقى جداً، ولديهم مقاعد دائمة في دار الأوبرا يكوفنت غاردن، وهم يدعون الشباب ذوي الإمكانيات الجيدة في المسرح الموسيقي مجاناً. وأنا - يا سيد بوارو - شاب ذو إمكانيات واعدة في هذا المجال. هل أحب الأوبرا؟ بصراحة: لا، لكنني أحب غداء فاخر في مطعم غروسفينور، كما أنني أستمتع بعشاء فاخر في مكان آخر بعد ذلك. وهكذا ترى يا سيد بوارو: عندما كانت روح عمي تُزهِق، كنت أستمتع بوقتي مع عائلة دورثيم في دار الأوبرا بكوفنت غاردن، وثلاثتهم يمكن أن يشهدوا بذلك.

وانكأ على الكرسي قائلاً: أرجو أن لا أكون قد سببت لك الضرر. هل لديك سؤال؟

اجتماعية متفهمة، تصغي إلى المرء وتجعله يشعر بأنه شخص ذو شأن.

أوماً بوارو برأسه وقال: فهمت؛ إذن فسوف تشعر بالأسف.

- أسف؟ لماذا؟

- لأنها قد ماتت!

- ماذا؟!

قفز رونالد عن مقعده مذهولاً: كارلوتا ماتت؟!

بدا مصعوقاً تماماً من هذا الخبر وقال: إنك تستدرجني يا سيد بوارو. لقد كانت في كامل صحتها آخر مرة رأيتها.

سأله بوارو بسرعة: متى كان ذلك؟

- أظن أول أمس. لا أتذكر تماماً.

- لقد ماتت.

- لا يد أن هذا حدث فجأة. ما السبب؟ حادث سيارة؟

نظر بوارو إلى السقف وهو يقول: لا؛ بل تناولت جرعة زائدة من الفيرنال.

- آه، يا إلهي! فتاة مسكينة... أمر محزن جداً.

- إنه كذلك.

- أنا أسف. كانت ستجفع في عملها بسرعة وكانت ستحضر

- أطمئنتك بأنني لم أضجر، وحيث أنك بهذا اللطف فأحب أن أسألك سؤالاً واحداً صغيراً.

- بكل سرور.

- منذ متى تعرف الأنسة كارلوتا آدمز يا لورد إدجوير؟

أياً كان الذي توقعه الشاب إلا أنه لم يتوقع هذا السؤال بالتأكيد؛ فقد جلس منتصباً محتباً وقد ظهرت على وجهه ملامح جديدة: لماذا تريد معرفة هذا؟ وما علاقته بما كنا نتحدث عنه؟

- إنه فضول مني... هذا كل شيء. وبما أنك قد أوضحت لي كل شيء. يحتاج إلى إيضاح فلم تكن بي حاجة لأي سؤال آخر.

نظر رونالد نظرة عاطفة وكأنه استهجن أسلوب بوارو اللطيف. لعله كان يفضل أن يكون بوارو أكثر ارتياباً! قال: كارلوتا آدمز! دعني أتذكر. نحو سنة أو أكثر قليلاً. عرفتها السنة الماضية عندما قدّمت أول عرض لها.

- هل تعرفها جيداً؟

- إنها ليست من النوع الذي يمكنك أن تعرفه جيداً... كانت متحفظة.

- لكنك كنت معجباً بها؟

حرق رونالد به وقال: ليشي أعرف سبب اهتمامك بالفتاة! ألا أنني كنت معها في تلك الليلة؟ نعم، أنا معجب بها كثيراً؛ فهي

أختها الصغرى إلى هنا وكانت تخطط أشياء كثيرة... لا أستطيع التعبير عن مدى أسفي.

- نعم، أمر مؤسف أن يموت المرء صغيراً. عندما تريد أن تعيش، عندما تكون الحياة كلها مفتوحة أمامك ولديك كل شيء تعيش من أجله.

نظر إليه رونالد نظرة استغراب وقال: لا أظن أنني أفهمك تماماً يا سيد بوارو.

- لا تفهمني؟

نهض بوارو ومدّ له يده وهو يقول: ربما كنت أعبر عن أفكارى بقوة قليلاً؛ لأنني لا أحب رؤية الشباب يُحرّم من حقه في الحياة يا لورد إدجووير. أشعر بحزن شديد على ذلك. أرجو لك يوماً سعيداً!

- آه! وداعاً.

وعندما فتحت الباب كدت أصطدم بالآنسة كارول. قالت بسرعة: سيد بوارو، علمت أنك لم تذهب بعد. أريد الحديث معك قليلاً إن أمكن، ربما لا تمنع أن تصعد إلى غرفتي؟

عندما دخلنا غرفتها الصغيرة وأغلقت الباب قالت: إنه بخصوص تلك الطفلة جبرالدين.

- نعم يا آنسة؟

- لقد تحدثت بكلام فارغ كثير هذا اليوم، ولكن أرجو أن لا تحمله محمل الجد؛ إنه هراء! هذا رأيي، إنها مكتبة وتفكر طويلاً!

قال بوارو بلطف: أرى أنها كانت تعاني من توتر شديد.

- الحقيقة أنها لم تعيش حياة جيدة، ولا أستطيع أن أزعم أنها كانت سعيدة. بصراحة يا سيد بوارو، كان اللورد إدجووير رجلاً غريب الأطوار ولم يكن يبالي بتربية الأطفال. وبصراحة أكثر، لقد كان يُرعب جبرالدين!

أوماً بوارو قائلاً: نعم، أتصور أن هذا صحيح.

- كان رجلاً غريب الأطوار. كان... لا أعرف كيف أعبر لك... يستمتع برؤية أي شخص وهو خائف منه. يبدو أن هذا كان يسبب له متعة غريبة شاذة!

- صحيح تماماً.

- كان رجلاً واسع الاطلاع وخارق الذكاء، ولكنه كان -مع ذلك- على هذه الحالة، رغم أن شيئاً من هذا لم يقع معي شخصياً. ولكنني -في الحقيقة- لا أحسن بأية دهشة لأن زوجته قد تركته. أقصد زوجته هذه، مع أنني لا أحبها. أنا لا أعرف تلك المرأة على الإطلاق، لكنها أخذت كل ما تستحقه وزيادة بزواجها باللورد إدجووير. لقد تركته دون سبب يذكر، لكن جبرالدين لم تكن قادرة على تركه، وكان ينسى أمرها لوقت طويل، ثم يتذكرها فجأة. أحياناً اعتقد... رغم أنه من غير المناسب أن أقولها...

- نعم، نعم. قولها يا آنسة.

- اعتقدت أحياناً أنه ينتقم من أمها، زوجته الأولى، بتلك الطريقة. أعتقد أنها كانت امرأة لطيفة حسنة المعشر، وأنا أشعر بالأسف عليها. ما كنت لأذكر كل هذا يا سيد بوارو لولا الثورة الحمقاء التي فجرتها جيراننا قبل قليل. الأشياء التي قالتها (عن كرهها لوالدها) قد تبدو غريبة لأي شخص لا يعرف الحقيقة.

- أشكرك كثيراً يا آنسة. أظن أنه كان من الخير للورد إدجوير أن لا يتزوج أبداً.

- كان ذلك أفضل بكثير.

- ألم يفكر في الزواج مرة ثالثة؟

- وكيف يستطيع ذلك؟ كانت زوجته على قيد الحياة.

- لو أعطاها حريتها لأصبح هو الآخر حراً.

قالت الآنسة كارول عابسة: أظن أنه لقي العنت الشديد من زوجتين.

- إذن فأنت تعتقدين أنه لم يفكر بالزواج بثالثة. ألم تكن واحدة محلّ تفكير؟ فكري يا آنسة... ألم توجد امرأة أخرى؟

احمرّ وجه الآنسة كارول وقالت: لا أدرك مغزى إصرارك على هذا السؤال. لا وجود لأية امرأة أخرى بالتأكيد!

الفصل الرابع عشر

خمسة أسئلة

سألت بوارو ونحن في السيارة في طريق عودتنا إلى البيت سؤالاً فضولياً: لماذا سألت الآنسة كارول عن احتمال نية اللورد إدجوير الزواج مرة أخرى؟

- خطر لي أنه كان أمراً محتملاً يا صديقي.

- لماذا؟

- كنت أبحث بعقلي عن شيء أفسر به التغير المفاجئ من وجهة نظر اللورد إدجوير حول مسألة الطلاق. في هذا الأمر شيء غريب يا صديقي.

قلت متأملاً: نعم، إنه غريب!

- لقد أكّد اللورد إدجوير -يا هيستينغز- ما قالته لنا زوجته. لقد وظفت محامين من كل نوع لكنه رفض أن يتزحزح عن موقفه قيد أنملة، وبدا أنه لن يوافق أبداً على الطلاق. ثم إذا به يوافق فجأة!

ذَكَرْتُهُ: أو هكذا كان يقول؟

- صحيح يا هينستنغز. إن ملاحظتك التي قلتها الآن صحيحة: هكذا كان يقول. ليس لدينا دليل على أنه كتب لها تلك الرسالة. جيد، فربما كان اللورد يكذب، حيث أخبرنا بذلك الكلام المزيف والمملق لسبب ما، أليس كذلك؟ إننا لا نعرف. ولكن افترض أنه كتب تلك الرسالة فعلاً، وفي هذه الحالة لا بد من وجود سبب لذلك. إن السبب الذي يبدو طبيعياً تصوُّره هو أنه تعرف فجأة إلى امرأة جديدة وأراد الزواج بها. هذا يوضح -تماماً- التغير المفاجئ في موقفه. وهكذا كان من الطبيعي الاستفسار عن ذلك.

قلت: لقد نفت الآنسة كارول هذه الفكرة نفياً حاسماً.

قال بوارو متأملاً: نعم، الآنسة كارول...

سألته غاضباً: ما الذي تريد الوصول إليه؟

كان بوارو خبيراً في الإيحاء بالشكوك بواسطة نبرة صوته. سألته: ما السبب الذي يجعلها تكذب في هذا الأمر؟

- أبداً، أبداً. ولكن من الصعب الوثوق بشهادتها يا هينستنغز.

- أعتقد أنها تكذب؟ لماذا؟ إنها تبدو صريحة للغاية.

- يصعب أحياناً التمييز بين الكذب المتعمد وعدم الدقة غير المقصودة.

- ماذا تعني؟

- أن نخدعنا عمداً، هذا شيء... ولكن أن تكون متأكداً تماماً من حقائقك، من أفكارك وصحتها، وهي أن التفاصيل لا تهم... إن هذه -يا صديقي- صفة خاصة من صفات الصادقين. تذكر أنها كذبت علينا من قبل كذبة واحدة. قالت إنها رأت وجه جين ويلكنسون بينما لم يكن بإمكانها فعل ذلك. كيف حدث هذا؟ لقد نظرت إلى أسفل ورأت جين ويلكنسون في الصلاة. لم يخامر عقلها أي شك في أنها جين ويلكنسون. إنها تعرف أنها هي كما تقول، ولذلك قالت إنها رأت وجهها بوضوح، وهي الواثقة من حقائقها، ولذلك فإن التفاصيل الدقيقة لا تهم. لقد أشرنا لها بأنها لم تكن تستطيع رؤية وجهها. هل هذا صحيح؟ حسناً، ما الذي يهم إن كانت قد رأت وجهها أو لم تره؟ لقد كانت جين ويلكنسون! وهكذا مع أية مسألة أخرى. إنها تعرف، ولذلك فهي تجيب عن الأسئلة في ضوء معرفتها وليس بموجب الحقائق التي تتذكرها. يجب معاملة الشاهد الواقعي بنوع من الارتياح دائماً يا صديقي، أما الشاهد غير المتأكد الذي لا يتذكر فسوف يفكر دقيقة قبل أن يجيب: "آه! نعم، هذا صحيح"... وهذا يمكن الاعتماد على أقواله أكثر من الأول.

- يا إلهي! لقد شوشت علي جميع أفكارتي التي كونتها عن الشهود سلفاً.

- عندما أجاب عن سؤالي عن زواج اللورد إدجوير بامرأة أخرى اعتبرت الفكرة هذه سخيفة؛ لأنها -ببساطة- لم تخطر على بالها، فهي لن تتجشم عناء التذكر إن كانت توجد دلائل صغيرة قد تشير إلى تلك الحقيقة أم لا، ولذلك فتحن نراوح مكاننا تماماً.

قلت متأملاً: يبدو مؤكداً أنها لم تدهش على الإطلاق عندما
أشرت إلى أنها لم تكن تستطيع رؤية وجه جين ويلكنسون.

- هذا ما جعلني أجزم أنها غير دقيقة في أقوالها ولم تكن
تكذب متعمدة. لا أرى وجود دافع للكذب المتعمد إلا إذا... إنها
فكرة فعلاً!

سألته متلهفًا: وما هي؟

لكن يوارو هز رأسه وقال: فكرة خطرت لي، لكنها مستحيلة
تماماً. نعم، مستحيلة جداً.

رفض أن يقول أكثر من هذا، فقلت: يبدو أنها تحب الفتاة
كثيراً.

- نعم. من المؤكد أنها عازمت على مساعدتنا في لقائنا معها.
ماذا كان انطباعك عن الأنسة جيرالدين يا هيبستغز؟

- لقد شعرت بالأسف العميق عليها!

- إن قلبك رقيق دائماً يا هيبستغز، حتى ليكاد ينكسر إذا رأيت
فتاة حزينة.

- ألم تشعر بنفس الشعور؟

أوما برأسه هادئاً: بلى؛ إنها لم تعيش حياة سعيدة، كان هذا
واضحاً على وجهها.

قلت متحمساً: على أية حال فأنت تدرك كيف كان رأي جين
ويلكنسون متافياً للعقل... أقصد أنه لا علاقة لها بالجريمة.

- لا شك أن دليل براءتها مقنع، لكن جاب لم يبلغني به
بعد.

- يوارو، يا عزيزي... هل تريد القول إنك -حتى بعد أن رأيتها
وتحدثت معها- لا زلت غير راض وتريد دليلاً على عدم وجودها
في البيت ساعة وقوع الجريمة؟

- حسناً يا صديقي، ما هي نتيجة رؤيتها والحديث معها؟ لقد
فهمنا بأنها تعيش حياة بؤس كبير، وهي تعترف بأنها كانت تكره
اللورد وقد فرحت لموته، كما أنها خائفة جداً مما قد يكون ياح به
لنا صباح أمس. وبعد كل هذا نقول: "لا ضرورة لوجود دليل على
مكان وجودها وقت الجريمة!"

قلت بحرارة: مجرد صراحتها تثبت براءتها.

- الصراحة صفة موجودة في العائلة؛ لقد كشف اللورد إدجووير
الجديد كل أوراقه لنا.

قلت مبتسماً وأنا أتذكره: لقد فعل ذلك حقاً... إنه أسلوب
مبتكر.

أوما يوارو قائلاً: لقد قطع علينا الطريق.

قلت: نعم؛ هذا يجعلنا نبدو كالمغفلين.

- بالضبط. إنه يعرف أن تلك الواقعة سوف تسرب، وقد عرضها -لذلك- متباهاً.

- إنه ليس مغفلاً كما يبدو عليه.

- ليس مغفلاً أبداً! إنه ذكي جداً عندما يريد استخدام عقله. إنه يرى أين يقف بالضبط ثم يكشف أوراقه كما قلت. أنت تلعب البريدج يا هينتنغز. أخبرني: متى يفعل المرء ذلك؟

قلت ضاحكاً: أنت تلعب البريدج أيضاً وتعرف هذا مثلي: عندما تكون بقية أوراق اللعب لك وتريد أن توفر الوقت وتكسب أوراقاً جديدة.

- نعم يا صديقي، هذا صحيح.

- إذن فماذا تعتقد؟

- أعتقد -يا هينتنغز- أن التبيجح الكثير بالشجاعة شيء مثير للاهتمام كثيراً... وأعتقد -أيضاً- أنه حان وقت عشاننا. ألا تريد قليلاً من العجة؟ وبعد ذلك، في التاسعة تقريباً، عندي زيارة أخرى أريد القيام بها.

- أين؟

- سنتعشى أولاً يا هينتنغز، ولن نناقش هذه القضية إلا بعد أن نشرب قهوتنا. عندما ننتشغل بالأكل يجب أن يكون العقل خادماً للمعدة.

- يا لها من فكرة غريبة! ربما بدوت أنت مغفلاً، أما أنا فلم أشعر بأنني مغفل ولا أظن أنني كنت أبديو هكذا، بل على العكس يا صديقي، لقد جعلته يرتبك.

قلت بارتياح: "حقاً؟" حيث لم أتذكر أنني رأيت عليه أي علامة الارتباك.

- نعم. أصغيت ملياً، وفي النهاية سألته سؤالاً عن شيء مختلف تماماً، وربما لاحظت الارتباك الكبير على وجه السيد الشجاع... لكنك لا تلاحظ يا هينتنغز.

قلت: ظننت أن خوفه وذهوله عندما سمع بوفاة كارلوتا آدمز كان حقيقياً. أظن أنك ستقول إنه كان نشيلاً ذكياً.

- يستحيل معرفة ذلك. أوافقك على أنه كان حقيقياً.

- لماذا تظن أنه كذب بكل هذه الحقائق في آدمغتنا بتلك الطريقة الساخرة؟ هل كان ذلك من أجل اللهو فقط؟

- هذا محتمل دائماً. إنكم -أيها الإنكليز- أصحاب مفاهيم غريبة جداً في السخريّة، ولكن قد يكون الأمر -أيضاً- نوعاً من الدهاء؛ فالحقائق التي يتم إخفاؤها تكتسب أهمية، أما الحقائق التي تُكشّف صراحةً فالناس يميلون إلى اعتبارها دون حقيقتها في الأهمية.

- الشجار مع عمه ذلك الصباح على سبيل المثال؟

قلت: أرجو ألا أكون شاذاً.

- لا، لا. إنك متزن تماماً وعلى نحو جميل. تتجسد سلامة العقل فيك. هل تعرف ما يعنيه هذا لي؟ عندما يشرع المجرم في ارتكاب جريمة فإن عمله الأول هو الخداع. يخدع من؟ إن الصورة التي في ذهنه هي صورة الرجل الطبيعي. وقد لا يوجد -في الواقع- مثل هذا الشيء؛ فهي فكرة تجريدية رياضية، لكنك تقترب من فهمها قدر الإمكان. توجد لحظات من ومضات الذكاء تظهر منك عندما يزداد ذكاؤك فوق المعدل، ولحظات (أرجوك أن تعذرني...) تنزل فيها إلى أدنى مستويات التبلد الذهني، ولكنك -بشكل عام- رجل طبيعي بشكل مذهش. حسناً، كيف يفيدني هذا؟ بهذه الطريقة ببساطة: كما في المرأة، أرى أنه قد انعكس في ذهنك ما يريده المجرم مني أن أعتقد بالضبط، وهذا أمر مساعد إيجابي لدرجة كبيرة.

لم أفهم ما يعنيه بالضبط. أحسست أن ما كان بوارو يقوله لم يكن كلام مديح، ومع ذلك فقد حررتني من وهم ذلك الانطباع قانلاً بسرعة: لقد عبّرت عن مشاعري نحوك بطريقة سيئة. إن لديك بصيرة بعقل المجرم وهو ما ليس عندي. إنك تدلني على ما يمتنى المجرم مني أن أعتقد... إنها موهبة عظيمة!

قلت متأملاً: بصيرة؟ نعم، ربما كان عندي بصيرة في الأمور!

نظر إليّ بلطف شديد وهمس: أنت عزيز يا هيستنغر، وأنا أكرّ لك في قلبي كل الود.

كان بوارو وفياً بوعدِهِ! ذهبنا إلى مطعم صغير في سوهو وتناولنا العجة اللذيذة والسّمك وكعكة إسفنجية هشة من النوع الذي كان بوارو يحبه كثيراً. وبعد أن شربنا قهوتنا ابتسم بوارو ابتسامة جميلة وهو جالسٌ قبّالتي على الطاولة وقال: أنا أعتمد عليك -يا صديقي العزيز- أكثر مما تعرف.

ارتبكت وسرت من هذا الإطراء غير المتوقع. لم يكن قد قال لي أي شيء كهذا من قبل أبداً، بل كنت أشعر أحياناً في داخلي ببعض الضيق حينما كان ينتقص من قدراتي العقلية. ورغم اعتقادي بأن قدراته لم تكن تضعف إلا أنني أدركت -فجأة- أنه ربما يعتمد على مساعدتي أكثر مما كان يتوقع.

قال حالماً: نعم؛ قد لا تستوعب صحة هذا الأمر، لكنك توضح لي الطريق في كثير من الأحيان.

لم أصدق ما سمعته أذنائي، وقلت متلعثماً: الحق أنني مسرور جداً يا بوارو. أعتقد أنني تعلمت الكثير منك بطريقة أو بأخرى.

هز رأسه نائفاً: لا، الأمر ليس كذلك؛ لم تتعلم مني شيئاً.

قلت مصعوقاً: آه!

- هذا صحيح. لا يجب أن يتعلم إنسان من آخر. يجب على كل فرد أن يطور قدراته الخاصة به إلى أقصى درجة ولا يحاول تقليد أي شخص آخر. لا أريدك أن تكون بوارو الثاني أو الثالثي. أريدك أن تكون هيستنغر الجبار... وأنت هيستنغر الجبار فعلاً!

سررت، لكني ارتبكت وأسرت لتغيير الموضوع وقلت بلهجة رسمية: هيا دعنا نناقش القضية.

- جيد.

ألقي بوارو رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه ثم قال: سنطرح أسئلة ونجيب عنها.

قلت متلهفًا: "نعم". ثم رددت رأسي إلى الوراء أنا الآخر وأغمضت عيني وقلت: مَنْ قتل اللورد إدجوير؟

انصب بوارو في جلسته على الفور وهز رأسه بقوة: لا، لا؛ ليس هذا على الإطلاق. هل هذا سؤال؟ أنت مثل شخص يقرأ رواية بوليسية ويبدأ يخمن كل واحد من الشخصيات على التعاقب بلا توافق أو تفكير. أوافقك على أنني اضطررت مرة لعمل ذلك، ولكنها كانت حالة استثنائية جداً... سأخبرك عنها في يوم من الأيام. فيم كنّا نتحدث؟

أجبت بهخاف: عن الأسئلة التي كنت تطرحها على نفسك.

كنت على وشك أن أقول إن فاندني الحقيقية لبوارو هي في إعطائه رفيقاً يتباهى عليه، لكنني منعت نفسي. إن كان يرغب في إلقاء التوجيهات فدعه يفعل ذلك. قلت: هيا، دعنا نسمعها.

هذا كل ما كان يريده غرور هذا الرجل. استند إلى كرسيه مرة أخرى واستأنف موقفه السابق: السؤال الأول ناقشناه من قبل، لماذا غير اللورد إدجوير رأيه في موضوع الطلاق؟ لدي فكرة أو فكرتان

خطرتا لي حول هذا الموضوع، تعرف أنت إحداهما. السؤال الثاني الذي أطرحه على نفسي هو: ما الذي حدث لتلك الرسالة؟ من هو المستفيد من بقاء اللورد إدجوير وزوجته مرتطبين معاً؟ ثالثاً: علام تدل تلك الملامح التي رأيتها أنت على وجهه عندما نظرت وراءك صباح أمس ونحن نغادر المكتبة؟ هل لديك إجابة عن هذا يا هيستنغر؟

هزرت رأسي نفيًا.

- هل أنت متأكد من أنك لم تتخيلها؟ أحياناً يكون لديك خيال واسع يا هيستنغر.

هزرت رأسي بحماسة: لا، لا؛ أنا متأكد من أنني لم أخطئ.

- جيد. إذن فهي حقيقة وتحتاج إلى توضيح. سؤالي الرابع يتعلق بتلك النظارة؛ فلا جين ويلكنسون ولا كارلوتا آدمز تلبسان نظارة. إذن ماذا تفعل النظارة في حقيبة كارلوتا آدمز؟ والآن هالك سؤالي الخامس: لماذا اتصل شخص بالهاتف ليعرف إن كانت جين ويلكنسون موجودة في تشيسويك أم لا؟ ومن هو هذا الشخص؟ هذه - يا صديقي - هي الأسئلة التي تقلقني. إذا استطعتُ الإجابة عنها فسوف أشعر بسعادة أكثر تغمرني، ولو نجحت بالتوصل إلى نظرية تفسرها بطريقة مقنعة فإن احترامي لذاتي لن يصاب الأذى.

قلت: تبقى أسئلة أخرى عديدة.

- مثل ماذا؟

- مَنْ حَرَّضَ كارلوتا على عمل هذه الخدعة؟ أين كانت تلت
الليلة قبل وبعد الساعة العاشرة؟ من هو «د» الذي أعطهاها العلبة
الذهبية؟

قال بوارو: هذه الأسئلة بديهية وليس فيها ذكاء؛ إنها -ببساطة-
أشياء لا نعرفها، وقد نعرفها في أية لحظة. أنا أسألتي -يا صديقي-
فهي سيكولوجية... خلايا الدماغ الرمادية الصغيرة!

قلت يائساً: بوارو، كنت تتكلم عن القيام بزيارة هذه الليلة،
أليس كذلك؟

شعرت بأنني يجب أن أوقفه مهما كلف الأمر! ونظر بوارو
إلى ساعته وقال: صحيح؛ سأتصل بالهاتف لأعرف إن كان الوقت
مناسباً.

ذهب ثم عاد بعد بضع دقائق وهو يقول: هيا، كل شيء على
ما يرام.

- أين سنذهب؟

- إلى منزل السير مونتاغو كورنر في تشيسويك. أريد أن أعرف
بعض الأشياء عن المكالمات الهاتفية تلك.

الفصل الخامس عشر السير مونتاغو كورنر

كانت الساعة العاشرة تقريباً عندما وصلنا إلى بيت السير
مونتاغو كورنر في تشيسويك.

كان بيتاً كبيراً، ودخلنا إلى صالة مزودة بلوحات جميلة، وعلى
يميننا رأينا -من خلال باب مفتوح- غرفة الطعام وقد لمعت الطاولة
الكبيرة فيها تحت ضوء الشموع.

قال كبير الخدم: "هلاً تفضلتما من هذا الطريق؟"، ثم تقدمنا
وصعد بنا درجاً عريضاً أوصلنا إلى غرفة طويلة في الطابق الأول تطل
على النهر. كانت غرفة جميلة التناسق يشم منها الزائر عبق الحياة
القديمة في أضواء باهتة، وكانت طاولة بريدج قد وُضعت في إحدى
زوايا الغرفة قريباً من النافذة المفتوحة وجلس حولها أربعة أشخاص.
وحين دخلنا الغرفة نهض واحدٌ منهم وتقدم نحونا قائلاً: لقد حصل
لي شرف عظيم بلقائك يا سيد بوارو.

نظرت إلى السير مونتاغو كورنر ببعض الاهتمام. كانت له عينان

سوداوان صغيرتان متقدتان وخصلة من الشعر المستعار مثبتة بعناية، وكان رجلاً قصيراً بعض الشيء وأسلوبه متكلف إلى حد بعيد. قال: دعوني أعزقكم! السيد ويديرون وزوجته.

قالت السيدة ويديرون بسرعة: لقد التقينا من قبل.

- والسيد روس.

كان روس شاباً صغيراً في الثانية والعشرين من عمره تقريباً، ذا وجه مبسم وشعر أشقر.

قال بوارو: اعتذر لأنني عطلتكم عن اللعب.

- أبدأ؛ فنحن لم نبدأ بعد، كنا قد بدأنا بتوزيع الأوراق فقط.

أتشرب بعض القهوة يا سيد بوارو؟

وفيما نحن نشرب القهوة أخذ السيد مونتاغو بالحديث عن الصحف اليابانية والطلاء الصيني والسجاد الفارسي والانطباعيين الفرنسيين، وعن الموسيقى الحديثة ونظريات آينشتاين، ثم استند إلى كرسيه وابتسم لنا ابتسامة ودودة. كان واضحاً أنه قد استمتع بأدائه تماماً، وقد بدا - في الضوء الخافت - مثل جنّي من العصور الوسطى، وكل ما كان يحيط بالغرفة كان نماذج رائعة من الفن والثقافة.

- سوف أقتصد في وقتك يا سير مونتاغو، وسأدخل في موضوع الغرض من زيارتي هذه مباشرة.

لوح مونتاغو بيده قائلاً: لا داعي للتعجلة؛ فالوقت غير محدود.

تنهدت السيدة ويديرون وقالت: يشعر المرء - دائماً - بالأنس داخل هذا البيت.

قال السير مونتاغو: لا أرضى بالعيش في لندن ولو أعطيت مليون جنيه. هنا يعيش المرء في جو من العالم القديم المئسم بالهدوء، بعيداً عن ضجيج هذه الأيام الذي يحطم الأعصاب.

خطر لي تصور شيطاني مفاجئ وهو أنه لو عرض شخص على السير مونتاغو مليون جنيه فإنه سيضرب هدوء العالم القديم بعرض الحائط، لكني أبعدت هذه التخيلات وصرفت ذهني عن الموضوع.

همست السيدة ويديرون: وماذا تعني النقود؟

قال السيد ويديرون متأملاً: "آه!"، ثم خشخش وهو شارد الذهن ببعض القطع النقدية في جيب بنطاله.

قالت السيدة ويديرون تويحه: تشارلز!

قال السيد ويديرون: "آسف"، ثم توقف عن فعله.

بدأ بوارو بأسلوب اعتذاري: أشعر أن الحديث عن جريمة في مثل هذا الجو أمر مزعج لكم.

لوح السير مونتاغو بيده: أبدأ، على الإطلاق. الجريمة يمكن أن تكون عملاً فنياً، ورجل التحري يمكن أن يكون فناناً. لا أعني الشرطة بالطبع؛ فقد كان هنا اليوم مفتش، ولكنه كان شخصاً غريباً. إنه لم يسمع عن بينغوين توشيلياني على سبيل المثال.

قال السير مونتاغو: ألاحظُ استمتاعك الفني يا سيد بوارو.

قال بوارو: دعني الآن أدخل في الغرض من زيارتي. لقد نوديتُ الليدي إدجوير للرد على مكالمة هاتفية عندما كانت تتعشى هنا، وأنا أريد معلومات عن تلك المكالمة الهاتفية. هل تسمح لي بسؤال العاملين في هذا البيت عن هذا الموضوع؟

- بالتأكيد. بالتأكيد. اضغط ذلك الجرس يا روس.

جاء كبير الخدم على صوت الجرس. وشرح له السير مونتاغو المطلوب فالتفت الخادم إلى بوارو بانتباه وأدب. سأله بوارو: مَنْ الذي رَدَّ على الهاتف عندما رَدَّ الجرس؟

- أنا يا سيدي؛ إن الهاتف في موضع منعزل خارج الصالة.

- هل طُلب الشخص الذي اتصل الليدي إدجوير أم الآنسة جين ويلكنسون؟

- الليدي إدجوير يا سيدي.

- ما الذي قاله بالضبط؟

فكر الخادم لحظة قبل أن يقول: حسبما أتذكر يا سيدي قلت: "مرحباً"، فسألني صوتٌ إن كان رقم الهاتف هو ٤٣٤٣٤، وأجبتُه أن الرقم صحيح. ثم طُلب مني أن أبقي على الخط، ثم سألني صوتٌ آخر إن كان هذا هو ٤٣٤٣٤ تشيسويك، وعندما أجبتُه بنعم قال: "هل الليدي إدجوير تتعشى هنا؟"، وقلت له إن الليدي تتعشى هنا فعلاً،

قالت السيدة ويدبيرن بفضول فوري: أظن أنه جاء بخصوص جين ويلكنسون.

قال بوارو: كانت السيدة محظوظة لأنها كانت في بيتك الليلة الماضية.

قالت السيدة ويدبيرن: إن جين محظوظة، كانت متحمسة جداً للتخلص من إدجوير فجاء شخصٌ ما ووفر عليها مشقة هذا العمل. ستزوج دوق ميرتون الشاب الآن. الكل يقول هذا، وأمه غاضبة جداً بسبب ذلك.

قال السير مونتاغو بلطف: لقد ولدتُ عندني انطباعاً جميلاً، حيث أبدتُ كثيراً من الملاحظات الذكية عن الفن الإغريقي.

ابتسمتُ في سري وأنا أنخيل جين وهي تقول بصوتها الأجش: "نعم" و"لا" و"حفاً"، كم هو رائع! كان السير مونتاغو رجلاً من النوع الذي يتألف ذكاؤه من قدرته على الإصغاء لملاحظاتِه هو باهتمام كبير.

قال ويدبيرن: كان إدجوير رجلاً غريب الأطوار بكل المقاييس. أظن أنه اكتسب عداوة كثير من الأشخاص.

سألت السيدة ويدبيرن: أصحيح - يا سيد بوارو - أن شخصاً قد غرر في مؤخرة دماغه سكين جيب؟

- صحيح تماماً يا مدام. كان عملاً دقيقاً وبارعاً جداً... كان عملاً علمياً في الواقع.

فقال: "أريد أن أتكلّم معها من فضلك". وذهبت وأبلغت الليدي التي كانت تتناول العشاء، فنهضت وأخذتها إلى مكان الهاتف.

- وبعد ذلك؟

- رفعت الليدي سماعة الهاتف وقالت: "مرحباً، من المتحدث؟"، ثم قالت: "نعم، هذا صحيح. الليدي إدجوير تتكلم". وكنت على وشك تركها عندما نادتنى وقالت إنهم قطعوا المكالمة. قالت إن شخصاً قد ضحك وكان واضحاً أنه قد وضع السماعة، وسألتنى إن كان الذي اتصل قد ذكر اسمه فقلت إنه لم يذكر اسمه. هذا كل ما حدث يا سيدي.

قطب بوارو حاجبيه، وسألته السيدة ويدبيرن: هل تعتقد - يا سيد بوارو- أن لهذه المكالمة علاقة بجريمة القتل؟

- من الصعب معرفة ذلك يا مدام. إنه حادث غريب فقط.

- بعض الأشخاص يتصلون بالهاتف أحياناً من أجل المزاح. لقد حدث ذلك معي.

- هذا ممكن دائماً يا مدام.

تكلم مع الخادم ثانية: هل كان الذي اتصل رجلاً أم امرأة؟

- أظن أنها امرأة يا سيدي.

- هل كان الصوت مرتفعاً أم منخفضاً؟

قال: "كان منخفضاً يا سيدي. كان صوتاً حذراً ومميزاً". وسكت

قليلاً ثم قال: قد أكون توهمت يا سيدي، لكنه بدا مثل صوت أجنبي؛ كانت المتحدثة تنطق بحرف الراء بنبرة واضحة جداً.

- هل تعتقد أنك تستطيع تمييز ذلك الصوت إن سمعته مرة أخرى في أي وقت؟

تردد الخادم ثم قال: لست متأكداً من ذلك تماماً يا سيدي... قد أستطيع ذلك.

- أشكرك يا صديقي.

- شكراً لك يا سيدي.

أمال الخادم رأسه وخرج. وواصل السير مونتاغو كورنر أسلوبه الودي والقيام بدوره الذي يظهر سحر العالم القديم، وما لشنا أن نشكرنا مضيفنا وغادرنّا، وجاء روس معنا.

قال بوارو حين خرجنا إلى الظلام: رجل قصير غريب!

كان الليل جميلاً؛ ولذلك قرنا المشي إلى أن نعثر على سيارة أجرة بدلاً من استدعاء واحدة بالهاتف.

قال روس: يبدو أنني قد استحوذت على إعجابه. أرجو أن يدوم ذلك الإعجاب؛ فوجود رجل كهذا يدعمك يعني الكثير.

- هل أنت ممثل يا سيد روس؟

أجاب روس بالإيجاب، وبدأ عليه الحزن لأننا لم نعرف اسمه على الفور حسب قوله، وقال إنه حصل في الآونة الأخيرة على شعبية

رائعة في إحدى المسرحيات المترجمة عن الروسية. وسأله بوارو عرضاً: هل كنت تعرف كارلوتا آدمز؟

- لا. رأيت نعيّاً لها في الصحيفة هذه الليلة. ماتت نتيجة تناولها جرعة زائدة من مخدر أو ما شابه ذلك.

- أمر محزن، نعم. كانت ذكية أيضاً.

أظهر روس عدم اهتمام بأي ممثل آخر سواه. وسأله: هل رأيت عرضها؟

- لا؛ فعملها يختلف عن عملي.

قال بوارو: "أه! ها هي سيارة أجرة". ولوّح لها بعصاه.

قال روس: "أفضل أن أمشي". وفجأة ضحك ضحكة غريبة وقال: شيء غريب ذلك العشاء الليلة الماضية!

- لماذا؟

- كنت ثلاثة عشر شخصاً، شخص واحد لم يأت في آخر دقيقة، ولم نلاحظ ذلك أبداً إلا عند انتهاء العشاء.

سأله: ومن الذي غادر أولاً؟

ضحك ضحكة عصبية غريبة وقال: أنا.

* * *

الفصل السادس عشر

نقاش حاد

عندما وصلنا إلى البيت وجدنا جاب في انتظارنا. قال: فكرت في زيارتك والحديث معك قبل ذهابي للنوم يا سيد بوارو.

- حسناً، يا صديقي الطيب، كيف تسير الأمور؟

قال مكتئباً: لا تسير على ما يرام! هل لديك شيء يساعدني يا سيد بوارو؟

- عندي بعض الأفكار الصغيرة أريد تقديمها لك.

- يا لك ولافكارك! إنك تثير استغرابي أحياناً. لا أعني أنني لا أريد سماعها، بل أنا أحب ذلك؛ ففي رأسك غريب الشكل هذا بعض الأشياء الجيدة!

عبر بوارو عن شكره على هذا الإطار بأسلوب فاتر إلى حد ما.

- هل لديك معلومات عن مشكلة السيدة المزوجة؟ هذا

ما أريد معرفته. أجل يا سيد يوارو؛ ماذا عن هذا الأمر؟ من تكون هذه السيدة؟

قال يوارو: "هذا هو ما أرغب في الحديث معك عنه بالضبط". ثم سأله إن كان قد سمع عن كارلوتا آدمز من قبل فقال: سمعت بهذا الاسم، لكنني لا أستطيع تحديده في الوقت الحالي.

شرح يوارو له فقال: هذه! تقوم بأدوار التقليد؟ ما الذي جعلك تركز عليها؟ ما الذي تعرفه عنها؟

سرد له يوارو الخطوات التي قمتا بها والنتيجة التي توصلنا إليها، فقال مصعوقاً: يا إلهي! يبدو الأمر وكأنك كنت محقاً. ملابس وقبعة وقفازات وباروكة الشعر الأشقر! نعم، لا بد أنك على حق. إنك لبارع يا سيد يوارو... عملك هذا بارع جداً! ولكنني لا أعتقد بوجود أي شيء يدل على أنها قتلت عمداً... هذا يبدو مستبعداً جداً، وأنا لا أتفق معك تماماً في هذه النقطة، بل تبدو لي نظريتك خيالية قليلاً. إن خبرتي أكبر من خبرتك، وأنا لا أصدق هذا الدافع الخفي الساذج. كانت كارلوتا آدمز هي المرأة فعلاً، لكنني أفهم ما قامت به على أنه أحد أمرين: ربما ذهبت إلى هناك من أجل القيام بعمل ابتزازي (لأنها ألمحت إلى أنها ذاهبة للحصول على نقود)، وهناك ثار بينهما بعض الخلاف وانتهى الأمر بأن تقتله. وأظن أنها انهارت عندما عادت إلى بيتها (لأنها لم تكن تنوي قتله) فتناولت جرعة زائدة من الدواء لظننها أنها أسهل طريقة للموت.

- هل تظن أن هذا يفسر الحقائق جميعها؟

- يبقى الكثير من الأمور التي لا نعرفها حتى الآن بالتأكيد. إنها فرضية جيدة يمكننا التعامل معها. أما التفسير الآخر فهو أن الخدعة وجريمة القتل لا علاقة بينهما، وإنما مصادفة غريبة. أو أسباب أخرى...

كنت أعرف أن يوارو لن يتفق معي في هذا الرأي، لكنه قال على نحو غامض: أجل، هذا ممكن.

قال جاب: "وقد تكون الخدعة عملاً بريئاً علم بها شخص وقدّر أن ذلك يناسب هدفه كثيراً. أليست هذه فكرة شريرة؟". وسكت قليلاً ثم أكمل: لكنني -شخصياً- أفضل الفكرة الأولى، وسوف نعرف العلاقة التي كانت بين اللورد والفتاة بطريقة أو بأخرى.

أخبره يوارو عن الرسالة التي أرسلتها الخادمة إلى أمريكا بالبريد، ووافق جاب على أنها ربما تكون ذات عون كبير لهم في عملهم. قال وهو يسجلها في دفتره الصغير: سأتحري عن هذا الأمر على الفور.

ثم قال وهو يضع دفتره في جيبه: أنا أميل إلى أن الليدي هي القاتلة لأنني لا أستطيع أن أجده شخصاً غيرها يمكنه أن يفعل ذلك. يمكن أن يكون الكابتن مارش (الذي هو الآن اللورد الجديد) قاتلاً محتملاً؛ فلديه دافع واضح جداً، كما أن صفحته الجنائية ليست نظيفة أيضاً. إنه شخص معسر ومحتاج للنقود، وقد تشاجر مع عمه صباح أمس... الواقع أنه أخبرني ذلك بنفسه ممّا يجعل الخبر عديم النكهة. نعم، يمكن أن يكون قاتلاً محتملاً، ولكن لديه دليلاً على وجوده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة مساء أمس. كان موجوداً

مع عائلة دورثيمر ، وهي عائلة غنية تسكن في ساحة غروسفينور. لقد تأكدت من هذا الأمر وهو صحيح ، فهو قد تناول غداءه معهم وذهب إلى الأوبرا ثم ذهبوا للعشاء في مطعم سويرانيز. هذا كل ما كان.

- وماذا عن الأنسة؟

- تقصد الابنة؟ كانت خارج البيت هي الأخرى. تغذت مع شخص يدعى كارثو ويست؛ أخذها إلى الأوبرا ثم أعادها إلى البيت بعد ذلك، وقد دخلت البيت في الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً، وهذا يحسم الخلاف حولها. السكرتيرة تبدو على ما يرام أيضاً؛ امرأة قديرة ومهذبة. وأخيراً لدينا كبير الخدم. لا أقول إنني أحببته جداً، فمن غير الطبيعي للرجل أن يبدو وسيماً هكذا! إن فيه شيئاً يثير الشك، كما أن الطريقة التي جاء بها للعمل في خدمة اللورد إدجويز غريبة. نعم، إنني أدرس أمره، ومع ذلك لا أجد لديه أي دافع لارتكاب جريمة القتل.

- ألم تتضح أية حقائق جديدة؟

- بلى، واحدة أو اثنتان، ولكن يصعب القول إن كان لهما أي معنى أم لا. لقد ضاع مفتاح اللورد إدجويز.

- مفتاح الباب الأمامي؟

- نعم.

- هذا مثير للاهتمام بالتأكيد.

- كما قلت، قد يعني هذا الشيء الكثير وقد لا يعني أي شيء على الإطلاق. أما الأمر ذو الدلالة الأكبر فهو هذا: لقد قبض اللورد

إدجويز أمس شيئاً. لم تكن قيمته كبيرة... مئة جنيه فقط، وقد سحب المبلغ بالعملة الفرنسية لأنه كان يريد السفر إلى باريس اليوم، وقد اختفت هذه النقود.

- من أخبرك بهذا؟

- الأنسة كارول هي التي صرفت الشيك وقبضت المبلغ، وقد ذكرت ذلك لي ثم وجدت أن النقود اختفت.

- أين كانت النقود مساء أمس؟

- الأنسة كارول لا تعرف. سلمتها إلى اللورد إدجويز الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، وكانت موضوعة داخل مغلف مصرفي، وقد أخذ اللورد المغلف وضعه على طاولة إلى جانبه.

- هذا يجعل المرء يفكر بالتأكيد. إنها مسألة معقدة.

- أو أنها بسيطة. على فكرة... الجرح.

- نعم، ماذا به؟

- يقول الطبيب إنه لم يحدث بواسطة سكين جيب عادية بل شيء يشبهها، وقد كان حاداً لدرجة مذهلة.

- ألم تكن موسى حلاقة؟

- أبداً؛ بل أصغر من ذلك بكثير.

عيس بوارد متاملاً، وقال جاب: اللورد إدجويز الجديد يبدو محباً للمزاح كثيراً، وهو يعتقد أن اتهامه بارتكاب الجريمة أمر

مضحك، وقد كان واثقاً من أننا نشك فعلاً بارتكابه جريمة القتل.
إنه يبدو غريب الأطوار كثيراً.

- قد تكون فكرة بارعة من طرفه.

- الأكثر احتمالاً أنه الشعور بالذنب. لقد جاءت وفاة عمه
في الوقت المناسب بالنسبة له. على فكرة، لقد انتقل للسكن في
البيت.

- أين كان يعيش من قبل؟

- في شارع مارتن المتفرع عن طريق سينت جورج. لم تكن
المنطقة التي يسكن فيها مشهورة.

- أرجو أن تدوّن هذا يا هينستنز.

فعلت ذلك، رغم أنني استغربت منه بعض الشيء، فيما
أن رونالد قد انتقل إلى ريجينت غيت فما الحاجة لمعرفة عنوانه
السابق؟

قال جاب وهو ينهض: أظن أن كارلوتا آدمز هي التي ارتكبت
الجريمة. عمل رائع منك أن تدرك هذه الحقيقة يا سيد بوارو... وهذا
طبعاً - لأنك تذهب إلى المسارح وتسلّي نفسك، ولذا فالأمور التي
تخطر في بالك لا تراودني. أمر مؤسف أنه لا يوجد دافع واضح،
لكنني أعتقد أن قليلاً من العمل والجهد سيكشفه قريباً.

قال بوارو: يوجد شخص له دافع لكنك لم تلتفت إليه.

- من هو هذا يا عزيزي؟

- الرجل الذي أذيع أنه يريد الزواج بزوجة اللورد إدجوير.
أقصد دوق ميرتون.

ضحك جاب وقال: نعم، أظن أن لديه دافعاً، لكن من غير
المحتمل لرجل في مثل وضعه أن يرتكب جريمة قتل، وعلى أية
حال فهو موجود في باريس.

- إذن فأنت لا تعتبره متهماً خطيراً؟

- وهل تراه كذلك يا سيد بوارو؟

وضحك جاب - وهو يودّعنا - من سخافة هذه الفكرة.

* * *

www.eilias.com
Chassey

هذه المرة الأولى التي يهرب فيها من بيت مخدوميه، بل هو خبير في الهرب.

مسح جاب العرق عن جبينه وبدأ باثساً، وتعاطف بوارو معه ببعض كلمات التعزية. أما أنا فقد صبيت كوباً من القهوة ووضعت أمام المفتش العابس، وتهلل وجهه قليلاً وبدأ يتحدث بابتهاج أكثر: لست متأكداً - حتى الآن - إن كان هو القاتل، ولكن فراره بهذه الطريقة يبدو سيئاً بالطبع، وقد تكون لهروبته أسباب أخرى؛ إذ يبدو أنه متورط مع بعض الملاهي الليلية ذات السمعة السيئة. إنه شخص سيء في الواقع!

- ولكن هذا لا يعني أنه قاتل بالضرورة.

- بالضبط، ربما أراد القيام بعمل غريب ولكن ليس ضرورياً أن يكون قد ارتكب جريمة قتل. لقد عدتُ الآن مقتنعاً تماماً بأن القاتلة هي كارلونا آدمز، ولكن ليس عندي أي دليل على ذلك بعد. لقد أرسلت رجائي لتفتيش شقتها اليوم لكننا لم نجد أي شيء. يمكن أن يساعدنا. كانت فتاة حذرة، ولم تحتفظ بأية رسائل (ما عدا بعض الرسائل الرسمية حول عقود مالية، وقد ألصقت عليها - بطريقة أنيقة - بعض البطاقات التوضيحية). كما كانت هناك رسالتان من أختها في واشنطن، رسالتان صريحتان لا تثيران الشكوك. ووجدنا قطعة أو قطعتين من الجواهر القديمة. لم تكن ثمة جواهر جديدة أو ثمينة، كما أنها لم تكن تحتفظ بمذكرة يومية. ودفتر شيكاتها لا يُظهر أي شيء. يمكن أن يساعدنا. لا يبدو أن الفتاة عاشت بطريقة مختلفة عن سائر الناس.

الفصل السابع عشر

كبير الخدم

كان اليوم التالي يوم هدوء وراحة لنا ويوم نشاط وعمل لحجاب. جاء لرؤيتنا بعد العصر والغضبُ يادٍ على وجهه وقال: لقد أخفقت.

قال بوارو يهدئه: مستحيل يا صديقي.

- نعم، لقد فشلت. لقد تركت ذلك الخادم يفلت من قبضتي.

- هل اختفى؟

- نعم؛ لقد هرب. ما يجعلني ألوم نفسي على حماقتي هو أنني لم أشبه به منذ البداية.

- اهدأ يا صديقي، اهدأ.

- الكلام سهل! ما كنت لتهدأ لو كانت القيادة ستوبخك. ليست

قال بوارو متأملاً: كانت فتاة متحفظة، وهذا يعتبر مؤسفاً من وجهة نظرنا نحن.

- لقد تحدثت مع المرأة التي تعمل عندها، ولكن لم يكن في كلامها أي شيء. كما ذهبت ورأيت الفتاة صاحبة محل القبعات التي كانت صديقة لها كما يبدو.

- آه! وما رأيك بالآنسة درايفر؟

- وجدتها فتاة ذكية وواعية، ومع ذلك لم تستطع مساعدتي. إن ذلك لم يفاжنتني، فمعظم الفتيات المفقودات اللاتي كان عليّ اقتفاء آثارهن يقول معارفهنّ وأصدقاهنّ الأشياء ذاتها دائماً: "كانت ذكية ومحبوبة ولم يكن لها أصدقاء من الرجال"، وهذا غير صحيح على الإطلاق! إن إخلاص الأصدقاء والأقارب أصحاب العقول المشوشة هو ما يجعل حياة رجل التحري صعبة للغاية.

سكت ليأخذ نفساً قبل أن يستأنف قائلاً: كان عليّ أن أبحث وأبحث، فوجدت نحو عشرة من الشبان خرجت معهم لتناول العشاء في أيام مختلفة (منهم اللورد إدجوير الحالي والممثل بريان مارتن)، ولكن لا يوجد ما يوحي بأنها كانت تهتم بواحد منهم أكثر من الآخرين ولم يكن أي منهم صديقاً خاصاً لها. إن فكرتك عن وجود رجل وراء العمل خاطئة تماماً، وأظنك ستجدها قد قامت بذلك العمل وحدها يا سيد بوارو. إنني أبحث الآن عن علاقة تجمعها مع الرجل القليل... لا بد من وجود تلك العلاقة! أظن أن عليّ أن أذهب إلى باريس. لقد كانت كلمة باريس مكتوبة داخل العلبة الذهبية الصغيرة، كما أن اللورد إدجوير الراحل سافر إلى باريس مرات عدة

في الخريف الماضي (كما علمتُ من الآنسة كارول) لكي يحضر المزايدات ويشتري التحف. نعم، أعتقد أن عليّ الذهاب إلى باريس. التحقيق غداً سيتم تأجيله بالطبع، ويمكن أن أسافر بعد ذلك على الباخرة التي تتحرك بعد الظهر.

قال بوارو: أنت نشيط جداً يا جاب؛ هذا يدهشني.

- نعم، وأنت تردداد كسلأ؛ تجلس هنا وتفكر فقط، وتزعم أنك تستخدم خلاياك الرمادية الصغيرة! هذا لا يفيد، يجب أن تخرج لرؤية الأشياء على الطبيعة؛ فالأفكار لن تأتيك وأنت على هذه الحال.

فتحت الخادمة الباب وقالت: السيد بريان مارتن يا سيدي. هل أنت مشغول أم أسمح له بالدخول؟

نهض جاب عن مقعده قائلاً: أنا ذاهب يا سيد بوارو. يبدو أن جميع نجوم المسرح يأتون لاستشارتك.

هزّ بوارو كتفيه تواضعاً، وضحك جاب وهو يقول: يجب أن تكون الآن مليونيراً يا سيد بوارو. ماذا تفعل بالأموال؟ تدخرها؟

- إنني أميل إلى الاقتصاد بالطبع. وما دمتا نتحدث عن الأموال وتصريفها، ما هي وصية اللورد إدجوير الراحل في أمواله!

- ترك لابنته بعض الأملاك، وترك خمسمئة جنيه للآنسة كارول، ولم يوزع مخصصات أخرى. كانت وصية بسيطة جداً.

- ومتى كتبها؟

- بعد أن تركته زوجته، قبل أكثر من سنتين، وهو -بالمناسبة- قد استنابها من الإرث.

همس بوارو: "إنه رجل قاسٍ يحب الانتقام"، وغادر جاب بعد أن ودعنا مبتهجاً.

دخل بريان مارتن، وكان يلبس ملابس أنيقة وفاخرة بدا معها وسيماً إلى أبعد حد، ومع ذلك رأيت الحزن والإرهاق ظاهرين على وجهه. قال: لعلني قد انقطعت عنك مدة طويلة يا سيد بوارو، كما أنني ألوم نفسي إذ قد أخذت من وقتك في المرة الماضية بلا فائدة.

- حقاً؟

- نعم؛ لقد قابلت السيدة التي أشرتُ إليها في لقائي معك وجادلتها طويلاً محاولاً إقناعها باستشارتك، ولكنها أصرت على رفض إقحامك في الأمر، وأنا أخشى -لذلك- أن تضطر إلى التخلي عن البحث في هذا الموضوع. إني آسف جداً... آسف جداً لإزعاجك.

قال بوارو بلطف: أبدأ، أبدأ؛ لقد توقعت ذلك.

بدا الشاب مشدوهاً وقال: ماذا؟ توقعت ذلك؟!!

- أجل. عندما تكلمت عن استشارة صديقتك تبتأت بأن الأمور ستصل إلى ما وصلت إليه.

- لديك نظرية معينة إذن؟

- لرجل التحري نظريةً دائماً يا سيد مارتن... هذا مطلوب منه. أنا -شخصياً- لا أسميها نظرية، وإنما فكرة صغيرة. هذه هي المرحلة الأولى.

- وما هي المرحلة الثانية؟

- إذا ظهر أن هذه الفكرة صحيحة، فهذا يعني أنني عرفت! إنها بسيطة تماماً.

- أتمنى لو أنك تخبرني ما هي نظريتك، أو فكرتك الصغيرة؟

هز بوارو رأسه بلطف وقال: هذه قاعدة أخرى: رجل التحري لا يبوح بأفكاره أبداً.

- ألا يمكنك أن توحى لي بها؟

- سأقول -فقط- إنني شكلت نظريتي حالما ذكرت لي السن الذهبي.

حدق بريان مارتن فيه وقال: إنني في حيرة بالغة ولا أدرك إلام ترمي! لبتك تلمح لي فقط.

ابتسم بوارو وهز رأسه، ثم قال: دعنا نغير موضوع الحديث.

- نعم، ولكن قبل ذلك يجب أن تخبرني عن أتعابك.

لوح بوارو بيده بقوة: لا شيء، أنا لم أفعل شيئاً لمساعدتك.

- لقد أخذت من وقتك.

- عندما تثير قضية ما اهتمامي فإني لا آخذ نقوداً، وقضيتك أثارت اهتمامي كثيراً.

قال الممثل خائفاً: "هذا يسعدني"، ولكنه بدا حزيناً جداً.

قال بوارو بلطف: هيا، دعنا نتحدث عن شيء آخر.

- أألم يكن ذلك الرجل الذي رأيته على الدرج هو مفتش سكوتلاند يارد؟

- بلى؛ المفتش جاب.

- كان الضوء خافتاً جداً ولذلك لم أؤكد أنه هو. بالمناسبة، لقد جاء وسألني بعض الأسئلة عن تلك الفتاة المسكينة كارلوتا آدمز التي توفيت من جرعة فيرونال زائدة.

- هل كنت تعرف الأنسة آدمز معرفة جيدة؟

- ليس تماماً. كنت أعرفها عندما كانت طفلة في أمريكا، وقد التقيت بها هنا مصادفة مرة أو مرتين لكنني لم أرها كثيراً أبداً. لقد أسفت كثيراً على وفاتها.

- هل كنت معجباً بها؟

- نعم، وقد كان الحديث معها ممتعاً.

- إنها اجتماعية جداً. نعم، لقد لاحظت نفس الشيء.

- أظنهم يعتقدون أن الحادث ربما كان انتحاراً. لم أعرف أي شيء يمكن أن يساعد المفتش، فقد كانت كارلوتا متحفظة كثيراً في تصرفاتها.

قال بوارو: لا أعتقد أن الحادث كان انتحاراً.

- أوافقك على أن الاحتمال الأقوى أن يكون حادثاً عرضياً.

سكت الاثنان، ثم قال بوارو وهو يتسهم: إن وفاة اللورد إدجووير تثير الاهتمام، أليس كذلك؟

- هل تعرف أنت، أو هل لدى الشرطة أية فكرة عن القاتل؟
إن جين بعيدة عن الشك الآن، أليس كذلك؟

- بلى؛ يوجد شخص آخر مشتبّه به اشتباهاً قوياً.

بدا بريان مارتن دهشاً وقال: حقاً؟ من هو؟

- لقد اختفى كبير الخدم، والهرب - كما تعلم - يمكن أن يثير الشبهة.

- كبير الخدم! لقد فاجأني حقاً.

قال بوارو: "إنه وسيم بشكل غير عادي، وهو يشبهك قليلاً". وأوماً له برأسه وكأنه يمتدحه.

قلت: يا إلهي! طبعاً، لقد عرفت الآن لماذا بدا لي وجه الخادم مألوفاً بعض الشيء عندما رأيته أول مرة.

قال بريان مارتن ضاحكاً: "إنك تطريني!"، ثم نهض فجأة

الفصل الثامن عشر الرجل الآخر

لا أعترم وصف ما جرى في التحقيق، سواء ذلك الذي جرى لمقتل اللورد إدجووير أو لموت كارلوتا آدمز. فأما في قضية كارلوتا فقد كانت النتيجة أن الوفاة كانت قضاءً وقدرًا، وأما في قضية اللورد إدجووير فقد تأجل التحقيق بعد الإدلاء بشهادة إثبات هوية المُتوفَّى وسماع التقرير الطبي. وقد ظهر من هذا التقرير أنه -نتيجةً لتحليل المعدة- فقد حُدِّد موعد الوفاة بما لا يقل عن ساعة بعد انتهائه من تناول العشاء مع احتمال امتداده إلى ساعة أخرى، وهذا يعني أن الوفاة قد حدثت بين الساعة العاشرة والحادية عشرة، مع احتمال أكبر بأنها حدثت في نحو الساعة العاشرة.

لم يُسمح بسرب أي من الوقائع حول تقمص كارلوتا لشخصية جين ويلكنسون، وقد نُشرت أوصاف الخادم المطلوب في الصحف وساد الانطباع العام بأنه هو الرجل المطلوب، واعتُبرت روايته عن حضور جين ويلكنسون إلى البيت محض افتراء، ولم يذكر أحد شيئاً عن شهادة السكرتيرة التي تؤيد رواية الخادم. وقد ظهرت أعمدة

قائلاً: "حسنًا، أشكرك كثيراً يا سيد بوارو، وأعتذر إليك عن إزعاجي لك". وصافحتنا، ولاحظت -فجأة- أنه بدا أكبر سنًا بكثير مما كان عليه، وكان الإرهاق بادياً عليه أكثر.

وكان الفضول قد استبدَّ بي فانفجرت بالأسئلة في اللحظة التي أغلق مارتن فيها الباب وراءه: بوارو، هل كنت -حقاً- تتوقع منه أن يعود ويتخلَّى عن فكرة التحقيق في تلك الأشياء الغريبة التي حدثت له في أمريكا؟

- لقد سمعتني أقول ذلك يا هيستنغز.

- إذن...

فكرت في هذا الأمر تفكيراً منطقياً ثم قلت: إذن لا بد أنك تعرف هوية هذه الفتاة الغامضة التي كان عليه أن يستشيرها؟

ابتسم وقال: عندي فكرة صغيرة عنها يا صديقي. كما قلت، لقد بدأت الفكرة عندي من ذكر سن الذهب، وإذا كانت فكرتي الصغيرة صحيحة فإنني أعرف من هي هذه الفتاة وأعرف لماذا لن تسمح للسيد مارتن باستشارتي، أعرف حقيقة المسألة كلها. وكان يمكنك أن تعرف أنت ذلك لو أنك استخدمت العقل الذي منحه الله لك.

* * *

Chassey

كثيرة في جميع الصحف نتحدث عن الجريمة لكنها لم تكن تحتوي إلا على القليل من المعلومات الحقيقية.

وفي غضون ذلك عرفتُ أن جاب كان شعلة من النشاط. وقد غاظني قليلاً أن بوارو اتخذ موقفاً جامداً، وشككت في أن يكون ذلك بسبب تقدمه في السن، وقد تعذّر أمامي بأسباب لم تكن مقنعة. أوضح: على المرء أن يتجنب المتاعب وهو في مثل عمري.

قلت: ولكن -يا عزيزي بوارو- لا تفكر بأنك قد تقدمت بالسن.

أحسست بأنه كان بحاجة إلى منشط، وكنت أعرف أن العلاج عن طريق الإبراء هو أحدث أنواع العلاج. قلت متحمساً: أنت ممتلئ حيوية كما كنت دائماً، وما زلت في ربيع الحياة -يا بوارو- وفي أوج قوتك. تستطيع أن تخرج وتحل هذه القضية بشكل رائع. فقط ابذل شيئاً من الجهد.

أجابني بوارو بأنه يفضل حلّها وهو جالس في بيته، فقلت له: لكنك لا تستطيع ذلك يا بوارو.

- ليس حلاً كاملاً، هذا صحيح.

- ما أعنيه هو أننا لا نفعل شيئاً... جاب يقوم بكل شيء!

- وهو ما يشير إعجابي.

- إنه لا يعجبني أبداً. أريدك أن تفعل هذه الأشياء بنفسك.

- إنني أفعل ذلك.

- ما الذي تفعله؟

- أنتظر.

- تنتظر ماذا؟

رد بوارو وعيناه تظرفان: أنتظر الصيد، سيأتيني به كلب الصيد.

- ماذا تقصد؟

- أقصد جاب الطيب. سوف يأتينا جاب -ونحن هنا- بنتيجة نشاطه الجسدي الذي يعجبك كثيراً. لديه وسائل متعددة تحت تصرفه لا أملكها، ولا أشك بأنه سيحضر لنا بعض الأخبار قريباً جداً.

كان صحيحاً أن جاب كان يجمع المعلومات عن طريق التحقيق المستمر والطبيء. لقد عاد من باريس دون الحصول على معلومات مثيرة، ولكنه جاءنا مسروراً بعد ذلك يومين وقال: إنه عمل بطيء، لكننا توصلنا إلى شيء أخيراً.

- اهتكت يا صديقي. ما الذي حدث؟

- اكتشفتُ أن سيدة شراء الشعر قد أودعت حقيبة صغيرة في حجرة الملابس في محطة بوسطن الساعة التاسعة ليلاً، وقد تم عرض حقيبة الأنسة آدمز على عمال المحطة وأكدوا أنها نفس الحقيبة. إنها حقيبة أمريكية الصنع ولذلك فهي مختلفة قليلاً عن الحقائب العادية.

- آه، يوستون! نعم؛ إنها أقرب المحطات الكبيرة إلى ريجنب غيت. لا شك أنها ذهبت إلى هناك ووضعت المساحيق على وجهها في حمام المحطة ثم تركت الحقيبة. متى أخذتها ثانية؟

- في العاشرة والنصف. وقد قال الموظف إن السيدة التي أودعتها هي نفس السيدة التي عادت لأخذها.

أوما بوارو برأسه، وأكمل جاب: كما أنني توصلت إلى شيء آخر أيضاً: لدي سبب يدفعني إلى الاعتقاد بأن كارلوتا آدمز كانت في مطعم ليونز كورنر في ستراند في الساعة الحادية عشرة.

- آه، هذا جيد! كيف عرفت هذا؟

- الحق أن ذلك كان عن طريق الصدفة تقريباً. لقد ذكرت الصحف شيئاً عن اللعبة الذهبية الصغيرة التي تحمل حروفاً من الزمرد، وقد كتب أحد الصحفيين مقالاً عن نفسي تعاطي المخدرات بين الممثلات الشابات. كان ذلك في صحيفة يوم الأحد، وقد أشار إلى اللعبة الذهبية الصغيرة القائلة بمحتوياتها المهلكت، وذكر صاحبها الشابة المشيرة للشقيقة صاحبة المستقبل الواعد، كما تحدث عن المكان الذي قضت فيه ليلتها الأخيرة وكيف كانت تشعر... إلخ. ويبدو أن نادل في مطعم كورنر قرأت المقال وتذكرت أن إحدى السيدات اللاتي قدّمت لهن الطعام في تلك الليلة كانت تحمل بيدها مثل هذه اللعبة. تذكرت أنها قرأت عليها الحرفين «ك. أ.»، وبدأت تتحدث عن ذلك لجميع أصدقائها. وقد عرف صحفي شاب بهذا الخبر في الحال وسينشر مقالاً مثيراً في صحيفة «بريد المساء» هذه الليلة: «الساعات الأخيرة للممثلة الموهوبة...» انتظارها للرجل الذي

لم يأت أبداً... «حسد الممثلة بأن أختها لم تكن على ما يرام...» أنت تعرف مثل هذا النهار الذي يكتب في الصحف يا سيد بوارو.

- وكيف وصل هذا إلى سمعك بهذه السرعة؟

- آه! علاقتنا جيدة مع صحيفة «بريد المساء». لقد عرفت بالأمر عندما كان ذلك الصحافي الذكي الشاب عندهم يحاول الحصول مني على خبر عن شيء آخر، ولذلك ذهبت مباشرة إلى مطعم كورنر.

وفكرت: "نعم؛ هذه هي الطريقة التي يجدر أن تتبع"، وأحسست بالشفقة على بوارو. كان جاب يحصل على هذه الأخبار من مصادرها الأصلية، وربما على التفاصيل المهمة الخفية، بينما كان بوارو راضياً تماماً بالأخبار النافهة.

ومضى جاب قائلاً: لقد رأيت الفتاة، ولا أظن أن كثيراً من الشكوك تحيط بالأمر. لم تستطع التعرف إلى صورة كارلوتا آدمز، لكنها قالت -بعد ذلك- إنها لم تلحظ وجه المرأة. قالت إنها كانت شابة داكنة الشعر نحيلة وتلبس ملابس أنيقة جداً وقبعة جديدة. لبت النساء ينظرن إلى الوجوه أكثر من نظرن إلى القبعات!

قال بوارو: لم يكن من السهل ملاحظة وجه الأنسة آدمز؛ إنه سريع التقلب.

- أعتقد أنك مصيب. كانت المرأة تلبس الأسود -كما قالت الفتاة- وكانت تحمل معها حقيبة صغيرة. لقد لاحظت الفتاة ذلك على وجه خاص لأنها رأت أن من الغريب بالنسبة لسيدة أنيقة الملبس أن تحمل معها مثل تلك الحقيبة. وقد طلبت بيضاً مقلياً وبعض

القهوة، لكن الفتاة تعتقد أنها كانت تصرف الوقت بانتظار شخص ما. كانت معها ساعة يدوية وظلت تنظر إليها، وقد لاحظت الفتاة اللعبة عندما جاءت لتعطيها الفاتورة. أخرجتها السيدة من حقيبتها اليدوية ووضعتها على الطاولة وهي تنظر إليها، وفتح الغطاء ثم أغلقته ثانية، وكانت تبسم بسرور. وقد لاحظت الفتاة اللعبة بالذات لأنها كانت جميلة الشكل وقالت: "أحب أن تكون لي لعبة ذهبية مثلها عليها أحرف اسمي الأولى بالزمرّد".

كان واضحاً أن الأنسة آدمز جلست هناك بعض الوقت بعد أن دفعت الفاتورة، ثم نظرت إلى ساعتها من جديد في آخر الأمر، وبدت وكأنها قد تخلت عن انتظارها وخرجت.

رأيت بوارو عابساً وقال: كان موعداً مع شخص لم يأت. هل قابلت كارلوتا آدمز ذلك الشخص لاحقاً أم أنها فشلت في لقائه وذهبت إلى البيت محاولة الاتصال به بالهاتف؟ ليتني أعرف... آه، ليتني أعرف!

- هذه نظريتك يا سيد بوارو. أنت ترى وجود رجل غامض وراء الستار. إن ذلك الرجل المستتر أسطورة. لن أنفي احتمال انتظارها شخصاً ما؛ فهي ربما حددت موعداً للالتقاء بشخص هناك بعد انتهاء عملها مع اللورد على أحسن ما يرام. لقد غيرت مظهرها في المحطة وأخرجت الحقيبة وذهبت إلى مواعدها، ثم -بعد ذلك- يستولي عليها ما يسمونه «رد الفعل»... الرعب مما فعلته، وعندما لم يظهر صديقها فُضي على آمالها. ربما كان شخصاً يعرف أنها كانت ذاهبة إلى ريجنت غيت في تلك الليلة وأحست بأن اللعبة قد انتهت

ولذلك أخرجت لعبة المخدرات الصغيرة. جرة زائدة منها وكل شيء ينتهي. لن تُشقى على الأقل، لأن الأمر واضح جداً ووضوح أنفك في وجهك!

تحسس بوارو أنفه بيده مرتباً ثم نزلت أصابعه إلى شاربيه، تحسهما بلطف وبدت ملامح الاعتزاز على وجهه.

قال جاب وهو يواصل كلامه بعناد: لم يكن وراء هذا العمل أي دليل على وجود رجل غامض. لم أتوصل لأي دليل -بعد- على وجود صلة بينها وبين اللورد ولكني سأفعل... إنها مسألة وقت فقط. لا بد من القول بأن أملي قد خاب في مسألة باريس، لكن تسعة أشهر مضت تعتبر فترة طويلة. ومع ذلك أرسلت شخصاً ليقوم بالتحقيقات هناك. أنا واثق من أن شيئاً ما سيظهر، وإن كنت أعرف أنك لا تعتقد ذلك، فأنت عجوز عنيد قاسي الرأس.

- لقد أهنت أنفي أولاً ثم رأسي!

قال جاب مهدداً: إنه كلام مجازي فقط... لم تكن نيبي سيئة.

قلت: الإجابة على ذلك أنه لم يفهمها هكذا.

نظر بوارو إلينا متحيراً تماماً (فهو لم يكن يفهم هذه التعبيرات الإنكليزية المجازية). سأله جاب مازحاً وهو عند الباب: هل توجد أي أوامر؟

ابتسم بوارو وقال: أوامر؟ لا، ولكن لدي اقتراح.

- حسناً. ما هو؟

- اقترح بأن تستدعي سائقي سيارات الأجرة. ابحث عن واحد حمل ركاباً من دار الأوبرا في كوفنت غاردن إلى ريجنت غيت ليلة الجريمة. وبالنسبة للوقت، قد يكون في الساعة الحادية عشرة إلا ثلثاً.

حديق جاب فيه متيقظاً. بدا مثل كلب صيد ذكي وقال: هل هذا هو الاقتراح؟ حسناً، سأفكده... لا ضرر في الأمر، كما أنك تعرف ما تحدث عنه في العادة.

وحالما غادر جاب نهض بوارو وبدأ ينظف قبعته بنشاط، وقلت له: لأول مرة لا أجدني محتاجاً لأن أسألك. إن الأمر يبدو في منتهى الوضوح، ولكن هل تعتقد أن هذا صحيح؟

ولكنه قال بدل أن يجيبني: أنا ذاهب الآن إلى الحمام يا صديقي. أرجو أن تسمح لي بالقول إن ربطتك لا تسرني.

- إنها ربطة جيدة جداً.

- هذا ممكن، ولكنها قديمة الطراز. أرجوك أن تغيرها، واسمح الغبار عن كملك الأيمن.

سأنته ساخراً: وهل نعتزم زيارة الملك جورج؟

- لا؛ لكنني قرأت في الصحيفة هذا الصباح أن دوق ميرتون قد عاد إلى لندن، وقد عرفت أنه عضو مهم في الطبقة الأرستقراطية الإنكليزية، ولذلك يجب أن نظهر أمامه بمظهر لائق.

- لماذا تريد زيارة دوق ميرتون؟

- أرغب في رؤيته.

كان ذلك كل ما استطعت الحصول عليه، وعندما أعجبت أناقني بوارو ذهبت لزيارته.

وعندما وصلنا بيت ميرتون سأل الخادم بوارو إن كان لديه موعد، ورد عليه بوارو بالنفي، فأخذ الخادم البطاقة وعاد بعد وقت قصير قائلاً إن الدوق يعتذر عن عدم قدرته على استقبالنا لأنه كان مشغولاً ذلك الصباح لدرجة كبيرة. وعلى الفور جلس بوارو على كرسي وقال: جيد، سأنتظر... سأنتظر عدة ساعات إذا تطلب الأمر.

ولكن لم يكن الانتظار طويلاً، فما لبث الدوق أن استدعى بوارو لمقابلته، ولعله وجد أن تلك كانت أسرع طريقة للتخلص من هذا الزائر المزعج.

كان الدوق في السابعة والعشرين من العمر تقريباً. لم يكن جذاباً في مظهره حيث كان نحيفاً واهناً وكان شعره خفيفاً غريب الشكل وقد بدأ الصلع يغزوه عند الصدغين، وكان فمه صغيراً ساخراً وعيناه حالمتين. وقد بدا -في الجملة- مثل شاب ناحل يبيع الخردوات أكثر من كونه دوقاً. هذا هو الرجل الذي وقع فريسة لجبين ويلكنسون... وكان هذا مثيراً للسخرة إلى أبعد حد!

كان استقباله لنا رسمياً وفاتراً تنقصه الكياسة. وقدم بوارو نفسه: ربيما تعرف اسمي؟

- لم أتعرف إليه.

ردّد الدوق ويصوت أعلى قليلاً: طاب صباحك.

استسلم بوارو هذه المرة، فأشار بيده علامة تدل على يأسه وغادرنا للثو ونحن نحس أننا قد طردنا طرداً أرسقراطياً! وأحسست بالأسى والشفقة على بوارو؛ فكلامه المنطق المعتاد لم يؤدّ إلى نتيجة جيدة. من الواضح أن دوق ميرتون يعتبر رجل التحري أقل من حشرة صغيرة!

قلت متعاطفاً معه: لم تُسر الأمور على ما يرام. يا له من رجل فظ عنيد! ما الذي أردت رؤيته من أجله؟

- أردت أن أعرف إن كان ستزوج جين ويلكنسون حقاً؟

- لقد قالت هذا.

- آه، قالت هذا! لكنها -كما تعرف- يمكن أن تزعم أي شيء يوافق غرضها. ربما كانت قد قررت الزواج به ولكن من غير أن يدرك هذا المسكين تلك الحقيقة!

- لقد طردك بصورة سيئة.

قال بوارو: "أعطاني الرد الذي كان سيعطيه لأي صحفي، نعم". ثم ضحك وقال: لكنني عرفت... عرفت حقيقة القضية بالضغط.

- كيف عرفت؟ من طريقة تصرفه؟

- أبداً. ألم تلاحظ أنه كان يكتب رسالة؟

- بلى.

- إنني أدرس سيكولوجية الجريمة.

بقي الدوق صامتاً وهو يجلس وراء طاولة كتابة وأمامه رسالة لم يكن قد أنهى كتابتها، وبدأ يدي بقلمه على الطاولة بنقاد صبر. ثم سأله بيرود: ما سبب رغبتك في رؤيتي؟

كان بوارو يجلس مقابله وظهّره إلى النافذة التي كان الدوق مواجهاً لها. قال: إنني أقوم -في الوقت الراهن- بالتحقيق في الظروف المرتبطة بمقتل اللورد إدجووير.

لم تتحرك أية عضلة في جسده الضعيف غير وجهه العنيد: حقاً؟ لم أكن أعرفه.

- لكنني أعتقد أنك تعرف زوجته، السيدة جين ويلكنسون؟

- هذا صحيح.

- هل تدرك أنها كانت راغبة -بقوة- في وفاة زوجها؟

- الحق أنني لا أدرك شيئاً من هذا.

- أريد أن أسألك سؤالاً صريحاً يا حضرة الدوق: هل ستزوج

السيدة جين ويلكنسون قريباً؟

قال غاضباً: "عندما أعتزم الزواج بأية امرأة فسوف أعلن الخبر في الصحف. إن سؤالك هذا وقح". ونهض قائلاً: طاب صباحك.

وقف بوارو هو الآخر وقد بدا كالأخرق، ورفع رأسه وقال متلعثماً: لم أفصّد... إنني... أرجو منك المَعذرة...

- جيد. لقد علمت - عندما كنت أعمل في سلك الشرطة في بلجيكا أيام شبابي - أن من المفيد جداً قراءة الخط المقلوب. هل أذكر لك ما الذي كان يكتبه في تلك الرسالة؟ "عزيزتي جين، محبوبتي، ملاكي الجميل، كيف أصف لك ما أنت بالنسبة لي؟ أنت التي عانيت الكثير! طبيعتك الجميلة..."

صحت مستاء أريد أن أوقفه: بوارو!

- كان ذلك ما كتبه حتى تلك اللحظة: "طبيعتك الجميلة، أعرفها..."

أحسست بالضيق. أما هو فكان مسروراً بعمله ذاك بصورة ساذجة. صحت: بوارو، لا يمكنك أن تفعل شيئاً كهذا... تنظر إلى رسالة خاصة.

- إنك تقول كلاماً أحقق يا هيستنغز، من السخافة أن تقول: "لا يمكنك أن أفعل هذا" وهو ما قد فعلته!

- لقد... لقد كنت تلعب لعبة.

- أنا لا ألعب، وأنت تعرف هذا. جريمة القتل ليس لعباً؛ إنها عمل خطير!

لبثت صامتاً، واستأثت من ذلك العمل الذي عمله بوارو من غير وازع من ضمير. قلت: لم يكن ضرورياً أبداً. لو أنك أخبرته فقط - أنك ذهبت إلى اللورد إدجووير بناء على طلب جين ويلكنسون لكان عاملك معاملة مختلفة تماماً.

- آه! لكنني لم أستطع فعل ذلك؛ فجين ويلكنسون كانت موكلتي، ولا أستطيع أن أتكلم عن أمور موكلتي لشخص آخر. لقد توليت المهمة سرّاً، وليس من اللائق الحديث عنها علناً.

- من غير اللائق؟

- بالضبط.

- لكنها مستترة؟

- هذا لا ينفي أن تخفي عنه أسراراً. إن أفكارك عن الزواج قديمة جداً! لا، لم يكن بإمكانني أن أفعل ما تقول يا هيستنغز؛ فانا أحرص على سمعتي كرجل تحرر، والسمعة الطيبة شيء مهم جداً!

* * *

قال بوارو حالماً: وجدت - ذات مرة - دليلاً ولكنّ أحداً لم يصدق لأن طوله كان أربعة أقدام بدلاً من أن يكون أربعة ستمترات.

تذكرت الحادثة وضحكت، ثم تذكرت مهمتي فقلت: الأمر على ما يرام؛ راقبت جيداً، ولكن أحداً لم يكن يتجسس عليك حسبما رأيت.

قال بوارو بنوع من السخرية اللطيفة: إنهما عينا صديقي هيستنغز! قل لي يا صديقي: هل لاحظت الوردة التي كانت بين شفتي؟

سألته مدهوشاً: الوردة التي بين شفتيك؟

التفت جاب جانباً وهو يقهقه وقال: رأنت ستكون السبب في موتي يا سيد بوارو. وردة! وماذا بعد ذلك؟

قال بوارو دون أن يتزعج: تخيلت أنني كنت كارمن.

تساءلت - في نفسي - إن كان الرجلان مجنونين أم أنا المجنون.

- ألم نلاحظها يا هيستنغز؟

كانت نبرة التأنيب واضحة في صوت بوارو فقلت محدقاً إليه: في الواقع لم أفعل؛ لم أستطع رؤية وجهك في تلك اللحظة.

هز رأسه هزة خفيفة وقال: لا بهم.

تري هل كانا يسخران مني؟

قال جاب: حسناً، أظن أننا انتهينا من هنا. أريد رؤية الابنة مرة أخرى إن كان باستطاعتي هذا. لقد كانت متضايقه جداً عندما رأيتهما أول مرة ولم أتمكن من الحصول منها على أي شيء.

قرع الجرس ليطلب رئيس الخدم: أرجو أن تسأل الأنسة مارش إن كان بوسعي رؤيتها لبضع لحظات.

غادر الرجل الغرفة، ولم يكن هو الذي عاد بعد دقائق بل الأنسة كارول التي دخلت قائلة: جيرالدين نائمة؛ فلقد تلقت صدمة عنيفة هذه الطفلة المسكينة! بعد أن غادرت البيت أعطيتها دواء منوماً، وهي تغط الآن في نوم عميق، ربما تستيقظ بعد ساعة أو ساعتين.

وافق جاب، وقالت الأنسة كارول بتصميم: على أية حال فلا يوجد عندها ما تقوله زيادة عما قلته أنا.

سألها بوارو: ما رأيك في كبير الخدم؟

أجابت الأنسة كارول: لا أحبه كثيراً. وهذه حقيقة، لكنني لا أستطيع إخبارك بالسبب.

كنّا قد وصلنا إلى الباب الأمامي، وفجأة أشار بوارو إلى أعلى الدرج وهو يقول: كنت واقفة هناك الليلة الماضية يا آنسة، أليس كذلك؟

- بلى، لماذا؟

- ورأيتَ الليدي إدجويز وهي تسير في الصالة وتدخل
المكتب؟

- نعم.

- وهل رأيتَ وجهها بوضوح؟

- بالتأكيد.

- ولكن لم يكن بإمكانك رؤية وجهها يا آنسة. كنت تستطيعين
فقط رؤية مؤخرة رأسها من المكان الذي كنت تقفين فيه.

احمَرَّ وجه الأنسة كارول غضباً، وبدت ذاهلة وهي تقول:
مؤخرة رأسها، صوتها، مشيتها... إنه نفس الشيء. لم أخطئها
بالتأكيد! أعرف أنها جين ويلكنسون... امرأة سيئة لا مثيل لها.

ثم التفتت مبتعدة واندفعت إلى أعلى الدرج.

* * *

الفصل الثامن

احتمالات

كان على جاب أن يتركنا، وذهبت مع بوارو إلى حديقة ريچنت
حيث وجدنا مقعداً هادئاً. قلت ضاحكاً ونحن نجلس عليه: فهمت
الآن مغزى الوردة التي بين شفتيك؛ كدت أظن في تلك اللحظة
أنك قد جننت.

أوما دون أن يتسم وقال: كما ترى يا هيستنغر فإن السكربتيرة
شاهدة خطيرة... خطيرة بسبب عدم دقتها. هل لاحظت كيف كانت
متأكدة أنها رأت وجه الزائرة؟ عرفتُ -لاحظتها- أن ذلك كان
مستحيلاً، فلو كانت قادمة من غرفة المكتب لأمكن أن تراها ولكن
ليس وهي ذاهبة إلى المكتب، ولذلك قمت بتجربتي الصغيرة التي
نتج عنها ما كنت أعتقد، ثم فاجأتها بكلامي، وعلى الفور غيرت
رأيها.

جادلته قائلاً: إنها لم تغير رأيها، ومع ذلك لا يمكنها أن تخطئ
في معرفة الصوت والمشية.

- نعم، نعم.

- أظن أن الصوت والمشية من الخصائص المميزة للشخص.

- أوافقك على ذلك، ولكنهما يمكن تزييفهما بسهولة.

- أنت تعتقد...

- ارجع بذاكرتك إلى الوراء قبل بضعة أيام. هل تتذكر تلك الليلة عندما كنا جالسين في قاعة المسرح؟

- كارلوتا آدمز؟ آه، إنها عبقرية.

- ليس من الصعب تقليد شخصية معروفة، لكنني أوافقك على أنها ذات مواهب غير عادية. أظن أنها تستطيع العمل دون الاستعانة بأصواء المسرح.

خطرت في ذهني فكرة مفاتحة فصحت: بوارو، أنت لا تعتقد أن هذا محتمل! لا، هذا فيه كثير من المصادقة.

- يعتمد الأمر على الجهة التي تنظر منها يا هيستنغز، إذا نظرت إليها من زاوية ما فلن تكون مصادقة.

- ولكن لماذا تريد كارلوتا آدمز قتل اللورد إدجووير؟ إنها حتى لا تعرفه.

- كيف عرفت أنها لا تعرفه؟ لا تفترض أشياء يا هيستنغز. قد تكون بينهما علاقة لا نعرفها، وإن كانت هذه ليست نظريتي بالضغط.

- إذن فعندك نظرية؟

- نعم، إن احتمال كون كارلوتا آدمز متورطة قد خطر لي منذ البداية.

- ولكن، يا بوارو...

- انتظر يا هيستنغز، دعني أوضح لك بعض الحقائق. لقد ناقشت الليدي إدجووير علاقتها مع زوجها دون أي تحفظ، حتى إنها ذهبت أبعد من ذلك وتحدثت عن قتله. ليس أنا وأنت الوحيدين اللذين سمعنا هذا. لقد سمعه النادل وخادمتها التي قد تكون سمعته أكثر من مرة وبريان مارتين سمعه، و أظن أن كارلوتا آدمز نفسها سمعته، وقد يوجد أناس ربما كرر لهم هؤلاء الأشخاص كلامها، ثم في نفس تلك الليلة ظهرت براءة كارلوتا آدمز في تقليد جين إلى درجة تثير الإعجاب. من كان عنده دافع لقتل اللورد إدجووير؟ زوجته.

و الآن افترض أن شخصاً آخر يريد قتل اللورد إدجووير. يوجد هنا كبش فداء جاهز بين يديه، ففي اليوم الذي أعلنت فيه جين ويلكنسون أنها مصابة بالصداع وتريد أن ترتاح وضعت الخطة قيد التنفيذ. يجب أن تُشاهد الليدي إدجووير وهي تدخل البيت في ريجنت غيت. حسناً، لقد رأوها، إنها تذهب أبعد من ذلك وتكشف هن هويتها...

آه؛ هذا سيثير الشكوك! وتوجد نقطة أخرى، نقطة صغيرة. فالمرأة التي جاءت إلى البيت الليلة الماضية كانت تلبس الأسود، وجين ويلكنسون لم تلبس الأسود أبداً؛ لقد سمعناها وهي تقول هذا. إذن دعنا نفترض أن المرأة التي جاءت إلى البيت الليلة الماضية لم تكن جين ويلكنسون، بل امرأة تتحلل شخصيتها، فهل قتلت تلك المرأة اللورد إدجووير؟ كيف برزت حضورها؟ قد نخدع كبير الخدم الذي لم يكن يعرفها والسكرتيرة التي لم ترها من مكان قريب، لكنها لم

تكن تستطيع خداع زوجها. أم أنه كان في الغرفة جثة هامدة وقتها؟
هل قُتل اللورد إدجوير قبل دخولها البيت، في وقت ما بين التاسعة
والعاشرة؟ هل دخل شخص ثالث ذلك البيت وقتل اللورد إدجوير؟
إن كان كذلك فهل دخل هذا الشخص قبل الزيارة المفترضة لليدي
إدجوير أم بعدها؟

صرخت: اسكت يا بوارو... لقد جعلت رأسي يدور.

- لا، لا يا صديقي، إننا نفكر في الاحتمالات فقط. هذا
مثل تجربة الملابس: هل هذا مناسب؟ لا، هل يبدو متجعداً فوق
الكتفين؟ هذا الثوب؟ نعم، هذا أفضل، لكنه ليس كبيراً لدرجة
كافية، هذا الثوب الآخر صغير جداً. وهكذا وهكذا... إلى أن نصل
إلى الثوب المناسب: الحقيقة.

سألته: مَنْ تشكّ أنه ارتكب هذا العمل الشرير؟

- آه، إن هذا الاكتشاف مبكر جداً. يجب أن ندرس مسألة مَنْ
لديه الدافع لقتل اللورد إدجوير. يوجد -بالطبع- ابن أخيه الذي يرثه،
قد يكون هذا واضحاً قليلاً. ثم علينا أن نفكر بمسألة الأعداء، رغمًا
عن رأي الآسنة كارول الحازم. ألا تلاحظ أن اللورد كان شخصاً
يمكن وجود أعداء له بسهولة.

وافقته: بلى؛ هذا صحيح.

- آيّا كان ذلك الشخص فلا بد أنه توهم بأنه في مأمن. تذكر
-يا هيستنغز- أنه لو لم تغبر جين ويلكسون رأبها في الدقيقة الأخيرة
لما أمكنها الحصول على دليل يبرئها. ربما كانت في غرفتها في

فندق سافوي ولكن سيكون من الصعب إثبات ذلك، وربما اعتقلت
وحوكت. بل ربما انتهى بها الأمر إلى أن تُشنق.

ارتعشت أوصالي، وأكمل بوارو: ولكن شيئاً واحداً يحيرني،
إن الرغبة في إدانتها واضحة، ولكن ماذا -إذن- عن المكالمات
الهاتفية؟ لماذا اتصل بها شخص في تشيسويك وعندما اقتنع بوجودها
هناك أغلق السماع على الفور؟ يبدو الأمر وكأن شخصاً أراد التأكد
من وجودها هناك قبل أن يشرع في... ماذا؟ كان ذلك في الساعة
التاسعة والتصف، أي قبل وقوع الجريمة بالتأكيد. إذن يبدو أن النية
كانت طيبة... لا أجد كلمة أخرى لوصفها! لا يمكن أن يكون القاتل
هو الذي اتصل؛ فالمجرم قد وضع كل خططه لتجريم جين. إذن
فمن كان؟ يبدو الأمر كأن لدينا هنا مجموعتين من الظروف مختلفة
الواحدة منهما عن الأخرى كلياً.

هزئت رأسي متحيراً تماماً وقلت: قد تكون مصادفة لا غير.

- لا، لا؛ لا يمكن أن يكون كل ذلك مصادفة. قبل ستة أشهر
تم التكم على موضوع رسالة. لماذا؟ لدينا أشياء كثيرة جداً لا يمكن
تفسيرها، ولا بد من وجود سبب يربطها معاً.

تنهد، ثم أكمل فوراً: وتلك القصة التي جاءنا بها بريان
مارتن!

- ليس لمسألته علاقة بهذه القضية يا بوارو بالتأكيد.

- أنت جاهل يا هيستنغز، جاهل وأحمق! ألا ترى أن الأمر

كله مخطط؟ مخطط غير واضح في الوقت الراهن لكنه سيتضح تدريجياً فيما بعد.

أحسست بأن بوارو كان مفرطاً في التفاؤل. لم أشعر بأن شيئاً سوف يتضح، وأحسست بأن رأسي يدور. قلت فجأة: هذا لا يفيد؛ لا أصدق أنه من عمل كارلوتا آدمز. إنها تبدو فتاة دمثة الأخلاق تماماً.

ومع أنني تكلمت بهذه الكلمات إلا أنني تذكرت كلمات بوارو عن حب المال. هل كان ذلك كلاماً مبهماً؟ شعرت بأن بوارو كان مبهماً في تلك الليلة. لقد عرف أن جين في خطر نتيجة المزاج الغريب والأثافي، ورأى أن كارلوتا تصللنا بجشعها.

قال بوارو: لا أعتقد أنها ارتكبت جريمة القتل يا هيستنغز؛ إنها باردة المزاج ومتزنة العقل ولا تفعل ذلك. ربما لم يخبرها أحد بأن جريمة ستقع... ربما تم استخدامها ببراءة. ولكن...

سكت وهو يعيس: حتى لو كان هذا صحيحاً فإنها تستر على المجرم بعد حدوث الجريمة الآن. أقصد أنها ستقرأ الخير اليوم، وسوف تدرّك...

صاح بوارو بصوت أجش: أسرع يا هيستنغز، أسرع. لقد كنت أعمى... أحمق! سيارة أجرة، فوراً.

حدثت فيه، فلوح بيديه صائحاً: "سيارة أجرة... فوراً". وأشار إلى سيارة أجرة عابرة، فتوقفت وقفزنا فيها، ثم قال: هل تعرف عنوانها؟

- نقصد كارلوتا آدمز؟

- نعم، نعم. بسرعة يا هيستنغز، بسرعة. كل دقيقة لها قيمتها، ألا تفهم؟

قلت: في الواقع لا أفهم.

تلفظ بوارو بألفاظ السباب بصوت خافت ثم قال: دليل الهانف؟ لا، لا يوجد لها اسم فيه. المسرح؟

وفي المسرح حاولوا الممانعة في إعطائنا عنوان كارلوتا، لكن بوارو نجح في الحصول عليه. كانت تقيم في شقة في مجمع سكني قرب ساحة سلوني، وذهبنا إلى هناك بالسيارة، وكان بوارو في حالة اهتياج وقد نفد صبره.

- أرجو أن لا أكون قد تأخرت يا هيستنغز، أرجو أن لا أكون قد تأخرت.

- ما كل هذه العجلة؟ لا أفهم. ماذا يعني هذا؟

- هذا يعني بأنني كنت بطيئاً، بطيئاً جداً في فهم الحقيقة الواضحة. آه! ليتنا نصل في الوقت المناسب يا صديقي.

* * *

www.liilag.com
Chassey

المرأة حديثها وهي تهز رأسها: لقد ماتت. ماتت وهي نائمة... أمر رهيب!

استند بوارو بظهره إلى الباب وهو يهمس: تأخرنا كثيراً.

كان احتياجه واضحاً مما جعل المرأة تنظر إليه بإمعان. ثم قالت: اسمع لي يا سيد يسؤالك: هل أنت من أصدقائها؟ لا أتذكر أنني رأيتك هنا من قبل؟

لم يجبها بوارو مباشرة، وبدلاً من ذلك قال: هل استدعيت الطبيب؟ ماذا قال؟

- أخذت جرعة زائدة من الحبوب المنومة. آه، إنه أمر مؤسف! كانت امرأة لطيفة. هذه الأدوية خطيرة ومخيفة، وقد قال الطبيب إنها كانت من حبوب الفيرونال.

انتصب بوارو فجأة وتغير أسلوب حديثه. قال: يجب أن أدخل.

وظهر الارتباك في وجه المرأة وبادرت بالقول: لا أعتقد...

لكن بوارو كان عازماً على شق طريقة فاستخدم الأسلوب الوحيد الذي تمكن أن يؤدي إلى النتيجة المطلوبة. قال: يجب أن تدخليني؛ أنا رجل تحرُّ ويجب أن أحقق في ظروف وفاة سيدتك.

تهدت المرأة ووقفت جانباً، ودخلنا إلى الشقة، ومنذ تلك اللحظة سيطر بوارو على الموقف. قال بلغة الأمر: ما أخبرتك به سر للغاية ويجب أن لا يُذكر لأحد. يجب أن يظن الجميع معتقداً بأن

الفصل التاسع حادث الوفاة الثاني

برغم أنني لم أفهم سبب احتياج بوارو إلا أنني كنت أعرفه جيداً، ولذلك كنت واثقاً أن لديه سبباً قوياً. وصلنا إلى مجمع الشقق، وقفز بوارو من السيارة بعدما دفع الأجرة للسائق وأسرع إلى المبنى. كانت شقة الأنسة آدمز في الطابق الأول، وقد عرفنا ذلك من لوحة ملصقة عند مدخل البناية. وصعد بوارو الدرج مسرعاً ولم ينتظر المصعد الذي كان موجوداً في أحد الأدوار العلوية.

رَنَ الجرس وضرب الباب، وبعد تأخير قصير فتحت الباب امرأة متوسطة العمر أنيقة المظهر. كان شعرها مشدوداً إلى الوراء وعيناها محمرتين كأنها كانت تبكي. سألها بوارو بلهفة: أنسة آدمز.

نظرت المرأة إليه: ألم تسمع؟

- أسمع؟ أسمع ماذا؟

انقلب وجهه شاحباً، وأدركت أن ذلك ما كان يخشاه. واصلت

وفاتها كانت حادثاً عارضاً. أرجو أن تعطيني اسم وعنوان الطبيب الذي استدعيته يا مدام.

- إنه الدكتور هيث، منزل رقم ١٧ بشارع كارليسلي.

- وأنت ما اسمك؟

- إليس بينيت.

- أرى أنك كنت تلازمين الأنسة آدمز، آنسة بينيت.

- نعم يا سيدي. كانت امرأة شابة لطيفة. لقد عملت عندها منذ العام الماضي عندما جاءت إلى هنا. لم تكن تشبه واحدة من هؤلاء الممثلات، بل كانت سيدة شابة حقيقية يصعب إرضائها، فهي تريد كل شيء.

أصغى بوارو باهتمام وتعاطف، ولم تعد تظهر عليه أية علامة على نفاد الصبر، وبدلاً أن أفضل طريقة لانتزاع المعلومات هي في إلقاء الأسئلة بأسلوب رقيق. قال بلفظ: لا بد أن هذا كان صدمة كبيرة لك.

- صحيح يا سيدي. أخذت لها الشاي في الساعة التاسعة والنصف كالعادة، فرأيتها مستلقية هناك. ظننتها نائمة فوضعت الصينية على الطاولة وسحبت الستائر، وقد علقت إحدى الحلقات -يا سيدي- فاضطرت إلى جرها بقوة. لقد أحدثت صوتاً عالياً، وفوجئت عندما لاحظت أنها لم تكن تستيقظ، وأحسست بشيء غير طبيعي... طريقة استلقائها لم تكن طبيعية. ذهبت إلى جانب السرير ولمست يدها فوجدتها باردة كالثلج، وبدأت بالصياح.

سكتت والدموع تنهمر من عينيها، فقال بوارو متعاطفاً: نعم، نعم. لا بد أنه موقف مخيف بالنسبة لك. هل كانت الأنسة آدمز تتناول الحبوب المنومة في العادة؟

- كانت تأخذ حبوباً للصداق من وقت لآخر يا سيدي. بعض الحبوب الصغيرة في زجاجة، لكن الحبوب التي أخذتها الليلة الماضية كانت من نوع آخر، أو هكذا قال الطبيب.

- هل جاء أحد لزيارتها الليلة الماضية؟ زائر مثلاً؟

- لا يا سيدي؛ كانت خارج البيت مساء أمس.

- هل أخبرتك أين كانت ذاهبة؟

- لا يا سيدي، وقد خرجت في الساعة السابعة تقريباً.

- آه! ماذا تلبس؟

- كانت تلبس ثوباً أسود يا سيدي... ثوباً أسود وقبعة سوداء.

نظر بوارو إليّ، ثم سألتها: هل كانت تلبس أية جواهر؟

- فقط عقد اللؤلؤ الذي تلبسه دائماً يا سيدي.

- وقنازات... قنازات رمادية، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي؛ كان قفازاها رماديين.

- آه! والآن صفي لي -إن أمكن- كيف كان سلوكها. هل كانت مرحة؟ حزينة؟ عصبية؟

- بدا لي أنها كنت مسرورة من شيء ما يا سيدي، وقد ظننت
تبسم وحدها كأنها تتضحك مع شخص آخر.

- متى عادت إلى البيت؟

- بعد الثانية عشرة بقليل يا سيدي.

- وكيف كان سلوكها وقتها؟ نفس الشيء؟

- كانت متعبة جداً يا سيدي.

- لكنها لم تكن متضايقاً أو مكتئبة؟

- أبداً. أظن أنها كانت مسرورة من شيء ما، لكنها كانت مرهقة
فقط. بدأت الاتصال بشخص عن طريق الهاتف ثم قالت إنها غير
مهمة بالاتصال أكثر من ذلك، وقالت إنها ستصل غداً صباحاً.

لمعت عينا يوارو من الإثارة، ومال إلى الأمام وتكلم بصوت
ظاهره اللامبالاة: هل سمعت اسم الشخص الذي اتصلت به؟

- لا يا سيدي. لقد طلبت الرقم ففهمنا نظرت، ولا بد أن
عاملة البقالة قالت لها: "إنني أحاول الاتصال بالرقم" كما هي العادة،
وردت عليها: "لا بأس". ثم تهايت وقالت: "ألا أستطيع الانتظار
أكثر من ذلك؟ إنني متعبة جداً". ثم وضعت السماعة وبدأت تستعد
للنوم.

- والرقم الذي اتصلت به، هل تتذكره؟ أظن أن هذا مهم.

- آسفة لأني لا أتذكره يا سيدي. كان رقماً محلياً وهذا كل
ما يمكنني أن أتذكره؛ فلم أكن مُصغيةً لها.

- هل أكلت أو شربت أي شيء قبل أن تذهب للنوم؟

- كأساً من الحليب كما تفعل عادة.

- ومن جاء لها بالحليب؟

- أنا يا سيدي.

- ألم يأت أحدٌ إلى الشقة في تلك الليلة؟

- لا أحد يا سيدي.

- وقبل ذلك أثناء النهار؟

- لم يأت أحد حسبما أتذكر يا سيدي. كانت الأنسة آدمز
خارج البيت ساعة الغداء والعصر، وعادت إلى هنا الساعة السادسة
مساءً.

- متى جاء الحليب؟ الحليب الذي شربته الليلة الماضية؟

- كان الذي شربته هو الحليب الجديد يا سيدي، الحليب الذي
تسلمه بعد الظهر، حيث يتركه الولد خارج الباب الساعة الرابعة.
ولكن، أنا متأكدة - يا سيدي - أنه لم يكن في الحليب أي شيء غير
طبيعي؛ لقد شربت منه هذا الصباح مع الشاي، كما أن الطيب كان
متأكد أنها تناولت الحبوب السيئة تلك بنفسها.

- لعلي أكون مخطئاً، نعم، ربما كنت مخطئاً. سوف أرى الطبيب ولكن -كما تعرفين- فقد كان للآنسة آدمز أعداء. إن الأمور مختلفة تماماً في أمريكا.

وتردد قليلاً، لكن إليس الطيبة ابتلعت الطعام!

- آه، أعرف يا سيدي! لقد قرأت عن شيكاغو وعن القتل المحترفين. لا بد أنها بلاد شريرة، ولا أتصور ما الذي يستطيع الشرطة هناك فعله، فهم ليسوا مثل رجال شرطتنا.

لحسن الحظ ترك بوارو عبارتها هذه دون تعليق؛ حيث كان يدرك أن نزعات إليس بينيت المتعصبة سوف تنفذه من مشقة التوضيح. ثم وقعت عينه على حقيبة سفر صغيرة ملقاة على أحد الكراسي، فقال متسائلاً: هل أخذت الآنسة آدمز هذه معها عندما خرجت الليلة الماضية؟

- لقد أخذتها في الصباح يا سيدي. لم تكن معها عندما عادت عصرًا لكنها أحضرتها معها عندما عادت في الليل.

- آه! هل تأذنين لي بفتحها؟

كانت إليس بينيت ستأذن له بكل شيء؛ فهي كمعظم النساء الحذرات الميالات إلى الشك، عندما يتغلبن على شكوكهن يصبحن طيبات كلعب الأطفال.

لم تكن الحقيبة مقفلة بالمفتاح، ففتحتها بوارو ونظرت إليها من فوق كتفه، وهمس بوارو متعلاً: أترى يا هيستنغز، أترى؟

كانت محتويات الحقيبة توحى بشيء معين بالتأكيد. كانت فيها علبة لمساحيق التجميل، وقطعتان توضعان في الأحذية لكي تزيدا الطول بوصة واحدة أو قريباً من ذلك، وزوج من الفقايزات الرمادية، وباروكة شعر رائعة بشعر ذهبي (وهو لون شعر جين ويلكنسون بالضبط) قد رُتبت بنفس طريقة تسريحها حيث فُرق الشعر في المتصف وجعلت اللقائف في مؤخرة العنق.

- هل تشك الآن يا هيستنغز؟

أظن أنني كنت أشك حتى تلك اللحظة، ولكنني لم أعد أشك بعدها. أغلق بوارو الحقيبة ثانية والتفت إلى الخادمة: ألا تعرفين مع من تناولت الآنسة آدمز عشاءها مساء أمس؟

- لا أعرف يا سيدي.

- هل تعرفين مع من تناولت الغداء أو الشاي؟

- لا أعرف شيئاً عن الشاي يا سيدي، ولكن أظن أنها تغذت مع الآنسة درايفر.

- الآنسة درايفر؟

- نعم؛ صديقتها المقربة. عندها محل لبيع القبعات في شارع موفات (وهو شارع متفرع عن شارع بوند) يدعى محل جنيفيف.

كتب بوارو العنوان في دفتر ملاحظاته تحت عنوان الطبيب.

- شيء واحد آخر يا مدام، ألا تذكرين أي شيء.... أي شيء

- لا سيدي. إن مكتب البريد عند التقاطع المجاور.

- هل أغلقت باب الشقة وراءك؟

حدقت إليس: لا سيدي. لقد تركته... كما أفعل عادة عندما أخرج إلى البريد.

أحسست أن بوارو يريد أن يتكلم، ولكنه ضبط نفسه.

سألته الخادمة باكية: هل تود أن تراها يا سيدي؟ إنها تبدو جميلة.

تبعناها إلى غرفة النوم. بدت كارلوتا آدمز هادئة وأصغر سنًا مما كانت عليه في تلك الليلة في فندق ساقوي، وبدت نائمة مثل طفل متعب. ورأيت ملامح غريبة على وجه بوارو عندما وقف ينظر إليها، وعندما كنا نزل على الدرج قال: قسماً يا هيسنتغز...

ولم أسأله على ماذا يقسم، كنت أستطيع تخمين ذلك.

وبعد بضعة دقائق قال: على الأقل يمكنني أن أريح ضميري وأصرف عن ذهني شيئاً واحداً: ما كان يسعني أن أنقذها؟ ففي الوقت الذي علمت فيه بوفاة اللورد إدجوير كانت هي قد ماتت. هذا يريحني. نعم، هذا يريحني كثيراً.

مهما كان قائله أو فعلته الأنسة آدمز عندما جاءت بعد الساعة السادسة وقد تكونين أحسست أنه غير عادي أو له دلالة معينة؟

فكرت الخادمة بضعة لحظات، وأخيراً قالت: الحق أنني لا أستطيع تذكر شيء يا سيدي. سألناها إن كانت تريد شرب الشاي، وأجابنا بأنها شربته.

- آه! قالت إنها شربت شايًا، اعذريني يا مدام. أكملني.

- وبعد ذلك كانت تكتب رسائل حتى خروجها في الموعد المحدد.

- رسائل؟ إيه؟ ألا تعرفين لمن؟

- بلى يا سيدي. كانت رسالة واحدة فقط إلى أختها في واشنطن؛ فقد كانت تكتب لأختها مرتين في الأسبوع وبانتظام. وكانت تريد أخذ الرسالة معها لتضعها في صندوق البريد لكنها نسيته.

- وهل ما زالت موجودة هنا؟

- لا يا سيدي؛ لقد أرسلتها بالبريد. تذكرتها الليلة الماضية عندما كانت تريد النوم وقلت لها إنني سأخرج لأضعها على الفور، وقد وضعت عليها طابعاً إضافياً ووضعناها في صندوق البريد المستعجل.

- آه! وهل كان ذلك في مكان بعيد؟

منها. لا غرابة أن هذه المرأة كانت تسيطر دائماً على كل من تتعامل معه!

رفعت نظارتها وتفحصتني أولاً ثم صديقي، ثم تكلمت معه. كان صوتها واضحاً وقاهراً، صوتاً اعتاد على إعطاء الأوامر دون مناقشة. سألت: أأنت السيد هيركيول بوارو؟

انحنى صديقي لها: في خدمتك حضرة الدوقة.

نظرت إلي، فقال بوارو مقدماً: هذا صديقي الكابتن هيستنغز، وهو يساعدني في القضايا التي أحقق فيها.

أظهرت عيناها ارتياباً لبعض الوقت، ثم أومأت برأسها مذعنة وجلست على الكرسي الذي قدمه بوارو لها وقالت: لقد جئت لاستشارتك في مسألة حساسة للغاية يا سيد بوارو، وأريدك أن تفهم أن كل ما أقوله لك يجب أن يبقى سراً بيننا.

- لا ضرورة لهذا التنبيه يا مدام.

- اللذيذ ياردلي هي التي أخبرتني عنك، وقد أحسست من الطريقة التي تكلمت بها عنك والامتنان الذي عبرت عنه أنك الإنسان الوحيد الذي قد يستطيع مساعدتي.

- تأكدي أنني سأبذل قصارى جهدي يا مدام.

كانت ما تزال مترددة، ولكنها -في النهاية- دخلت في الموضوع متناقلة وتحدثت ببساطة ذكرتني بطريقة جين ويلكسون الغربية في تلك الليلة التي لا تنسى في فندق سافوي. قالت: أريدك

الفصل التاسع عشر

سيدة عظيمة

في صباح اليوم التالي وقعت إحدى المفاجآت المذهلة في القضية، فقد كنت في غرفة جلوسي عندما دخل بوارو وقال وعيناه تلمعان: لدينا زائرة يا صديقي.

- من هي؟

- دوقة ميرتون الأرملة.

- أمر غريب! ماذا تريد؟

- ستعرف ذلك إذا صحبتني إلى الطابق الأرضي.

أسرعت مستجيباً، ودخلنا الغرفة معاً. كانت الدوقة امرأة ضئيلة الحجم ذات أنف مرتفع وعينين استبداديتين. ودغم أنها كانت تلبس ثوباً أسود عادياً إلا أنها كانت سيدة جلييلة، كما أنها تركت لثني انطباعاً بأنها ذات شخصية فظة. كانت عكس ابنها تماماً: قوة الإرادة إلى حد بعيد، حتى لقد أحسست أن موجات من القوة كانت تنبعث

أن تضمن لي -يا سيد بوارو- أن ابني لن يتزوج الممثلة جين ويلكنسون.

إذا كان بوارو قد شعر بالمفاجأة فإنه لجم نفسه ولم يُبد شيئاً من الدهشة. نظر إليها بامعان وتفكير وانتظر لبعض الوقت قبل أن يجيب: هل يمكنك أن تكوني أكثر تحديداً -يا مدام- بالنسبة لما تريدني أن أفعله؟

- هذا ليس سهلاً. أشعر أن هذا الزواج سيتسبب في كارثة عظيمة... يمكن أن يدمر حياة ابني.

- أنظنين ذلك يا مدام؟

- بل أنا واثقة من ذلك. إن ابني صاحب مُثلي عليا ولا يعرف عن الدنيا إلا القليل. إنه لم يهتم أبداً بالفتيات من طبقته، وكان يراهن نوافهات غيبات. أما بالنسبة لهذه المرأة، فإنها جميلة جداً (وأنا أعترف بهذا) كما أن لها القدرة على استبعاد الرجال. لقد سحرت ابني، ولحسن الحظ لم تكن طليقة، أما وقد مات زوجها الآن...

سكنت. ثم أضافت: "إنهما يعترزمان الزواج بعد بضعة أشهر. إن سعادة ابني في خطر!، ثم قالت على نحو جازم: يجب وقف هذا يا سيد بوارو.

هز بوارو كتفيه استهجاناً وقال: لن أقول إنك مخبطة يا مدام. أوافقك الرأي بأن هذا الزواج غير مناسب، ولكن ماذا يمكن أن نفعل؟

- يجب أن تفعل شيئاً.

هز بوارو رأسه ببطء فقالت بالحاح: يجب أن تساعدني.

- أشك بوجود أي شيء يمكن أن يفيد يا مدام. أعتقد أن ابنتك سيرفض سماع أي شيء ضد السيدة، كما أنني لا أرى الكثير مما يمكن أن يقال عنها! إنني أشك بوجود أي حادث مخز يشين ماضيها؛ فلقد كانت حذرة في حياتها. أليس كذلك؟

قالت الدوقة عابسة: أعرف.

- آه! إذن فقد قمت بالتحقيق في هذا المجال.

احمرّ وجهها قليلاً وهو ينظر إليها نظرات إمعان ثم قالت: لم أدخر أي جهد ممكن -يا سيد بوارو- من أجل إنقاذ ابني من هذا الزواج.

ثم كررت الكلمة مؤكدة: "أي عمل!". وسكنت قليلاً ثم تابعت: المال لا شيء بالنسبة لي في هذه المسألة. حدد أي أجر تريده. يجب وقف الزواج، وأنت الرجل الذي يمكنه وقفه.

هز بوارو رأسه ببطء.

- إنها ليست مسألة مال. لا أستطيع فعل أي شيء، وذلك لسبب سأسرّحه لك على الفور، وأظن أن أياً غيري لن يستطيع فعل شيء كذلك. لا أستطيع مساعدتك يا حضرة الدوقة، ولكن يمكن أن أسدي إليك نصيحة إذا لم تجدي ذلك وقاحة مني.

- أية نصيحة؟

- لا تقفي في وجه ابنك! إنه في سن يؤهله لاختار ما يريد بنفسه، وإذا لم يوافق اختياره رأيك فلا تفترض أنك على حق. كوني مستعدة لمساعدته عندما يحتاج للمساعدة، ولكن لا تجعله ينقلب عليك.

نهضت وشفتاها ترتعشان، وقالت: إنك لا تفهم!

- بلى يا حضرة الدوقة، أفهم جيداً. أفهم قلب الأم، ومن يمكن أن يفهم ذلك أكثر مني، أنا هيركيول بوارو؟ ولكنني أقول لك: اصبري. اصبري وأخفي مشاعرك. ما زالت توجد - حتى الآن - فرصة لينتهي هذا الأمر بنفسه، أما المعارضة فلن تزيد ابنك إلا عناداً وتصميماً.

قالت ببرود: وداعاً يا سيد بوارو، لقد خيبت أمني.

- أنا أسف جداً لأنني لا أستطيع خدمتك يا مدام! أنا في موقف صعب؛ فالليدي إدجوير قد شرفتني من قبل عندما طلبت خدماتي.

- آه! فهمت.

كان صوتها - هذه المرة - حاداً كالسكين وهي تقول: أنت مع الطرف الآخر. هذا يوضح لِمَ لَمْ تُعتقل الليدي إدجوير بعدُ بتهمة قتل زوجها!

- ماذا نقولين حضرة الدوقة؟

- أظن أنك سمعت ما قلته. لماذا لم تُعتقل؟ كانت هناك في تلك الليلة. لقد شوهدت وهي تدخل البيت، وتدخل مكتبه. لم يقترب منه سواها، ثم وُجد مقتولاً. ومع ذلك لم تعتقل! لا بد أن الفساد ينخر جهاز شرطتنا تماماً.

عدلت الوشاح حول عنقها بيدين مرتعشتين، ثم خرجت من الغرفة بعد أن حيتنا بانحناء خفيفة من رأسها.

قلت: يا لها من امرأة فاسية! ومع ذلك تعجبني. ألا تعتقد ذلك؟

- ألا أنها تريد ترتيب الكون حسب طريقة تفكيرها؟

- إنها تريد السعادة لابنها.

أوما بوارو برأسه: هذا صحيح، ومع ذلك هل سيكون أمراً سيئاً - يا هيستغز - إذا تزوج ابنها جين ويلكنسون؟

- ألا تعتقد أنها تحبه حقاً؟

- أنا متأكد تقريباً أنها لا تحبه، لكنها تحب مركزه كثيراً. ستلعب دورها بعناية؛ فهي امرأة جميلة وطموحة. كان يمكن للدوق أن يتزوج - بسهولة - فتاة من طبقته، وكانت تلك الفتاة ستقبله لنفس الأسباب، ولكن دون أن يثير هذا الأمر أحداً.

- هذا صحيح، ولكن...

- وافترض أنه تزوج فتاة تحبه حباً أكيداً، فهل في هذا فائدة

رن جرس الهاتف رنيناً حاداً، وأخذت السماعه. كان علي فقط أن أرد كلمة «نعم» عند فترات فاصلة من الحديث، وفي النهاية وضعت السماعه والتفت صوب بوارو منعزلاً: كان ذلك جاب. أولاً: أنت الرائع كالعادة، ثانياً: لقد استلم بريقة من أمريكا. ثالثاً: وجد سائق سيارة الأجرة. رابعاً: هل تريد أن نذهب وتسمع ما يقوله سائق الأجرة؟ خامساً: أنت رجل رائع (مرة أخرى) لأنه اقنع بأنك كنت مصيباً عندما قلت إن وراء هذا العمل رجلاً! لقد تجنبت أن أخبره أن زائرة (كانت في بيتنا قبل دقائق) تقول إن جهاز الشرطة فاسد.

همس بوارو: إذن فقد اقنع جاب أخيراً. أمر غريب أن تثبت نظرتي عن وجود رجل وراء هذا العمل في اللحظة التي بدأت فيها بالتفكير في نظرية محتملة أخرى.

- أية نظرية؟

- نظرية تقول إن الدافع للقتل قد لا تكون له علاقة باللورد إدجوير نفسه. تخيل شخصاً كان يكره جين ويلكنسون، يكرهها كثيراً لدرجة أنه يريد شقتها بتهمة القتل، إنه أمر محير!

تهند ثم نهض وقال: هيا يا هيستنغز؛ لنسمع ما سيقوله جاب.

كبيرة؟ لقد لاحظت دائماً أنه من سوء حظ الرجل أن تحبه زوجته، فغيرتها ستزداد، وسوف تجعله يبدو سخيفاً وتصر على الاستحواذ على كل وقته واهتمامه. آه، إن الزواج ليس حفل ورود أبداً!

قلت: بوارو، أنت عجوز متشائم.

- لا، لا، إنها مجرد أفكار، بل إنني أقف - في الحقيقة - إلى جانب الأم الطيبة.

لم أنمالك نفسي من الضحك وأنا أسمعه يصف الدوقة المتفطرمة بهذه الوصف، ولكن بوارو ظل هادئاً.

- لا يجدر أن تضحك؛ فهذا مهم جداً. علي أن أفكر، أن أفكر كثيراً.

قلت: لا أفهم ما الذي يمكنك أن تفعله في هذا الأمر.

لم يلتفت بوارو لكلامي، بل قال: هل لاحظت - يا هيستنغز - المعلومات التي كانت الدوقة تمتلكها؟ وكم كانت حقودة؟ كانت تعرف أن جميع الأدلة تدين جين ويلكنسون.

قلت مبتسماً: القضية لصالح الادعاء وليس الدفاع.

- كيف عرفت ذلك؟

قلت: لقد أخبرت جين الدوق بذلك، وهو أخير أمه.

- نعم، هذا ممكن. ومع ذلك فقد...

- بعد الحادية عشرة بقليل.

- حسناً، وماذا بعد ذلك؟

- طلبا مني أن أذهب بهما إلى ريجنت غيت، وقالاً إنهما سيخبراني عن المنزل الذي سيتزلان عنده عندما يصلان إلى هناك، كما طلبا مني الإسراع أيضاً. الركاب يقولون ذلك دائماً وكأن السائق يحب التأخر، رغم أنه سيكون من الأفضل لك كلما أسرعت في الوصول إلى المكان المطلوب وأخذت راكباً آخر. إنهم لا يفكرون بذلك أبداً، ثم إذا حصل حادث فانت المعلوم بسبب قيادتك الخطيرة!

قال جاب وقد ظهر عليه نفاذ الصبر: كف عن هذا؛ فلم تقع حادثة هذه المرة، أليس كذلك؟

وافقه الرجل وقال: بلى؛ في الواقع لم تقع حادثة. حسناً، وصلت إلى ريجنت غيت، ولم يستغرق الطريق أكثر من سبع دقائق، ثم طلب الرجل إلي أن أتوقف فتوقفت. كان ذلك عند المنزل رقم ٨ تقريباً. خرج الاثنان، وتوقف الرجل مكانه وأخبرني أن أنتظر أنا الآخر، فيما قطعت السيدة الطريق وبدأت السير إلى الورا بمحاذاة البيوت في الجانب الآخر. بقي الرجل قرب السيارة واقفاً على الرصيف وظهري ناحيتي ينظر باتجاهها ويده في جيبه، وبعد خمس دقائق تقريباً سمعت منه صوتاً... صوتاً يشبه الصبحة المكبوتة، ثم ذهب هو الآخر. ونظرت إليه لأنني لا أرضى بأن يخدعني أحد، ولذلك بقيت أراقبه، وقد صعد عتبات أحد المنازل في الجانب الآخر ودخله.

الفصل العشرون

سائق سيارة الأجرة

وجدنا جاب يستجوب رجلاً عجوزاً يضع على عينيه نظارة. كان شاربهِ كئاشاً مهتلاً وصوته أجش يثير الشفقة. قال جاب: آه! ها قد جئت. حسناً، الأمور تجري - كما أظن - على أحسن ما يرام. هذا الرجل اسمه جويسون، وقد حمل بسيارته شخصين من لونغ إيكربللة التاسع والعشرين من حزيران.

وافقه جويسون بصوته الأجش قائلاً: هذا صحيح. كانت ليلة جميلة مقمرة، وقد وقفت الشابة ومعها رجل قرب محطة قطار الأنفاق وأشارا لي للتوقف.

- هل كانا بلبسان لباس السهرة؟

- نعم؛ ارتدى الرجل معطفاً أبيض، أما الفتاة فكانت ملبسها بلباس مطرزة عليها رسوم طيور. أظن أنهما كانا خارجين من دار الأوبرا الملكية.

- متى كان ذلك؟

- هل دفع الباب وفتحه؟

- لا؟ كان معه مفتاح.

- كم كان رقم المنزل؟

- أظن أنه كان رقم ١٧ أو ١٩. بدا لي غريباً طلبه أن أبقي حيث أنا، ولذلك ظللت أراقب، وبعد ذلك بخمس دقائق خرج هو والشابة من البيت معاً، وعادا وركبا السيارة وأخبراني بأن أعود إلى دار الأوبرا في كوفنت غاردن، وقبل الوصول إلى هناك أوقفاني ودفعوا لي الأجرة، وقد كان الذي دفعاه مبلغاً كبيراً. أخشى أن يسبب لي ذلك العمل المتاعب.

قال جاب: لا بأس عليك. انظر إلى هذه الصور فقط وأخبرني إن كانت السيدة الشابة من بيتهن.

كانت معه ست صور بدت كلها متشابهة كثيراً، ونظرت إليها من ورائه باهتمام.

قال جويسون: "ها هي"، وأشار بإصبع ثابت إلى إحدى صور جيرالدين مارش في لباس السهرة.

- هل أنت متأكد؟

- متأكد تماماً؛ كانت شاحبة وذات شعر أسود.

- والآن نريد معرفة الرجل.

وضعت أمامه مجموعة أخرى من الصور، ونظر إليها بإمعان

ثم هز رأسه وقال: لا أعرف على وجه التأكيد. قد يكون واحداً من هذين الاثنين.

كانت إحدى الصور لرونالد مارش لكن جويسون لم يخترها، وبدلاً من ذلك أشار إلى رجلين آخرين لا يشبهان مارش في الشكل.

وبعد ذلك غادر جويسون وألقى جاب الصور على الطاولة وقال: جيد. ليني حصلت على صورة أوضح لحضرة اللورد. هذه صورة قديمة أخذت له قبل سبع سنوات أو أكثر من ذلك، ولكنها الصورة الوحيدة التي استطعت الحصول عليها. نعم، كنت أفضل الحصول على صورة أكثر وضوحاً، رغم أن القضية واضحة بما فيه الكفاية. لقد نجحنا في الحصول على إثباتين على عدم وجودهما في البيت ساعة الحادث. كنت ذكياً يا سيد بوارو عندما فكرت بهذا!

بدا بوارو متواضعاً وقال: عندما اكتشفت أنها كانت مع ابن عمها في الأوبرا، بدا لي أن من الممكن أنهما كانا معاً أثناء إحدى الفقرات، ومن الطبيعي أن الأشخاص الذين كانوا معهما سيفترضون بأنهما لم يغادرا دار الأوبرا. لكن فقرة مدتها نصف ساعة تعتبر كافية للذهاب إلى ريجنت غيت والعودة. وعندما شدد اللورد إدجووير الجديد على دليل وجوده في الأوبرا تأكدت أن في الأمر شيئاً غير طبيعي.

قال جاب بانفعال: أنت رجل شكّك، ولكنك على حق تقريباً. اللورد هو رجلنا المطلوب دون شك.

بعد ذلك أخرج جاب ورقة وقال: انظر إلى هذه. إنها برقية من نيويورك. لقد اتصلوا بالأنسة لوسي آدمز، وكانت الرسالة في البريد الذي سلم إليها هذا الصباح، وقد أذنت لضابط الشرطة هناك بأن يأخذ نسخة عنها ويبرقها إلينا. ها هي، وهي مهمة كما كنت ترجو.

- أخذ بوارو البرقية باهتمام كبير، وقرأتها من ورائه.

فيما يلي نص رسالة مرسلة إلى لوسي آدمز مؤرخة في التاسع والعشرين من حزيران:

أختي العزيزة،

أنا آسفة لأنني كتبت لك رسالة صغيرة مستعجلة في الأسبوع الماضي؛ لكنني كنت مشغولة جداً وكان أمامي الكثير من الأعمال التي يتوجب علي القيام بها. حسناً يا عزيزتي، كان نجاحاً لم يكن له مثيل! الملاحظات رائعة والعرض ناجح والجميع كان لطفاء. لقد تعرفت إلى بعض الأصدقاء الطيبين هنا، وأعزمت العمل على المسرح مدة شهرين في العام القادم. لقد نجح عرض «الفلاحة الروسية» نجاحاً جيداً، وكذلك عرض «المرأة الأمريكية في باريس»، لكن عرض «الفندق الأجنبي» لا يزال هو المفضل لدى الجمهور حسب اعتقادي.

إنني متأثرة جداً لدرجة أنني لا أعرف ما أكتبه الآن، وسوف تعرفين السبب بعد قليل، ولكنني سأخبرك - قبل ذلك - بما قاله الناس. كان السيد هيرجشمير لطيفاً جداً وسوف يطلب مني تناول الغداء على مائدة السير مونتاغو كورنر الذي قد يقدم لي مساعدة عظيمة،

وقد التقيت - ليلة البارحة - جين ويلكسون، وكانت لطيفة جداً في موقفها من عرضي وتقليدي لها، وهو ما يدفعني إلى ما أريد إخبارك به.

إنني - في الحقيقة - لا أحبها كثيراً لأنني سمعت الكثير عنها مؤخراً من شخص أعرفه، وأظن أنها كانت تتصرف تصرفات فظة وبطريقة مأكرة جداً، لكنني لن أتطرق إلى هذا الآن. هل تعرفين أنها تكون الليدي إدجووير؟ لقد سمعت الكثير عن زوجها مؤخراً وهو رجل فظ. لقد عامل ابن أخيه الكاتب مارش (الذي ذكرته لك) بطريقة مخزية جداً، وقد طرده من البيت وقطع عنه الراتب. لقد أخبرني كل شيء عن ذلك وأحسست بالأسى الشديد لحاله. وقد قال إنه استمتع بعرضي كثيراً، وقد تناقشنا في ذلك ملياً وقال: «أعتقد أن تقليدك لزوجته سيغطي عليه هو شخصياً. هل تقبلين التحدي مقابل مبلغ؟»، فضحكت وقلت: «مقابل كم؟».

عزيزتي لوسي، لقد قطعت الإجابة أنفاسي تماماً؛ لقد كان المبلغ عشرة آلاف دولار... عشرة آلاف دولار! فكرك في هذا! فقط مقابل مساعدة شخص في كسب رهانه السخيف. قلت: يا إلهي! إنني مستعدة للقيام بهذه الدعاية مع الملك في قصر بكنغهام والمغامرة مع صاحب الجلالة مقابل هذا الرهان! حسناً، فكرنا سوياً ودخلنا في التفاصيل.

سأخبرك بكل شيء عن هذا الأمر في الأسبوع القادم، سواء تم اكتشاف أم لا. ولكن على أية حال يا عزيزتي

لوسي، سواء نجحت أو فشلت، فسوف أحصل على
العشرة آلاف دولار. آه يا لوسي، إن هذا سيعني لنا
الشيء الكثير. لا وقت لمزيد من التفاصيل فأنا ذاهبة
الآن للقيام بحياتي.

الكثير، الكثير، الكثير من الحب لك يا أختي العزيزة.
المخلصة: كارلوتا.

وضع بوارو الرسالة، وقد لاحظت أنها حركت مشاعره. أما رد
فعل جاب فقد كان مختلفاً تماماً؛ إذ قال بفرح: لقد كشفناه.
قال بوارو: نعم.

بدا صوته فاتراً على نحو غريب، فسأله جاب: ماذا في الأمر
يا سيد بوارو؟

- لا شيء. لم يكن ذلك كما كنت أعتقد... هذا كل ما في
الأمر.

بدا حزينا وقال كمن يخاطب نفسه: ولكن يجب أن يكون
اعتقادي - مع ذلك - صحيحاً. نعم، يجب أن يكون كذلك.

- إنه بالطبع كذلك؛ لقد قلت هذا من البداية.

- لا، لا، لقد أسأت فهمي.

- ألم تقل إن شخصاً يقف وراء ذلك وهو الذي دفع الفتاة
لتقوم بهذا العمل بصورة بريئة؟

- بلى، بلى.

- إذن ماذا تريد أكثر من ذلك؟

تنهد بوارو ولم يقل شيئاً.

- أنت غريب الأطوار؛ لا شيء يرضيك أبداً. لقد اعتقدت أن
كتابة الفتاة لهذه الرسالة ضربة من الحظ.

وافقه بوارو بحماسة زادت عن تلك التي أبداهما قبلاً: أجل،
وهذا الأمر لم يتوقعه القاتل. الأنسة آدمز وقعت - بقبولها رهان العشرة
آلاف دولار - على وثيقة وفاتها. وقد حسب القاتل أنه اتخذ كافة
الاحتياطات، ولكنها خدعته بكل براءة... حقاً إن الموتى ليتكلمون
في بعض الأحيان!

قال جاب: لم أظن أنها فعلت ذلك دون مساعدة من أحد
أبداً.

قال بوارو بذهن شارد: نعم، نعم.

- حسناً، يجب أن أقوم بالإجراءات المطلوبة.

- هل أنت ذاهب لاعتقال الكابتن مارش، أقصد اللورد
إدجوير؟

- ولم لا؟ يبدو أن إدانته ليست محل شك.

- صحيح.

- أنت لا تبدو مرتاحاً لهذا الأمر يا سيد بوارو. الحقيقة أنك

الفصل الحادي والعشرون

رواية رونالد

وجدت صعوبة في فهم موقف بوارو. ألم يكن ذلك ما توقعه منذ البداية؟ جلس طوال الطريق إلى ريجنت غيت متحيراً عابساً، ولم ينتبه لادعاءات جاب المغرورة المتبجح. وأخيراً أفاق من أفكاره السارحة وتنهّد بعمق ثم همس: على أية حال لنر ما سيقوله.

قال جاب: لم يكن حصيفاً؛ لم أزر جلاً غيره قاد نفسه إلى المشقة برجليه بتلفهه للحديث! لا يستطيع أحد الادّعاء بأننا لا نحذّره، ولكن العدالة الإلهية تأخذ مجراها... وكلما كانوا مذنبين أكثر ازدادوا تبحراً وكشفوا أكاذيبهم التي لفقوها لتغطية الجريمة. لا يعرفون أنك يجب أن تقدم أكاذيبك أولاً إلى المحامي!

ثم تنهّد ومضى قائلاً: المحامون والقضاة هم أسوأ أعداء الشرطة. فكثيراً ما تكون عندي قضية واضحة يفسدها غياب القاضي الذي يترك المجرم ليفلت من العقوبة، أما المحامون فلا يستطيع الوقوف في وجههم؛ فهم يدفعون لهم مقابل مكرمهم وقلبيهم للحقائق بطريقة أو بأخرى.

تحب أن تكون الأمور صعبة. ها هي نظريتك الخاصة قد أثبتت صحتها ومع ذلك فأنت غير راض. هل ترى نقصاً أو ضعفاً فيما لدينا من أدلة؟

هز بوارو رأسه نافياً، فقال جاب: لا أعرف إن كانت الأنسة مارش ساعدته أم لا، ولكن يبدو أنها كانت مطلّعة على الأمر لأنها رافقته إلى الأوبرا، وما الذي دفعه لاصطحابها معه لو لم تكن تعرف؟ سنسمع - على أية حال - ما سيقوله كلاهما بهذا الخصوص.

قال بوارو بتواضع: هل يمكنكني الحضور؟

- بالتأكيد. إنني مدين لك بالفكرة!

رفع البرقية عن الطاولة، وانحيت جانباً ببوارو حيث سألتها: ما الذي حدث يا بوارو؟

قال: إنني حزين جداً يا هيستنغز. تبدو الأمور في غاية الوضوح، ولكن يوجد شيء غير طبيعي... حقيقة ناقصة أنا عاجز عن إدراكها يا هيستنغز! نعم، تبدو الأمور منسجمة تماماً كما تصورتها، ومع ذلك - يا صديقي - يوجد خطأ ما.

نظر إلي نظرة إشفاق، واعترائني الدهول فلم أدر ما أقول!

Chassey

وصلنا إلى ريجنت غيت حيث وجدنا العائلة متحلقة حول مائدة الغذاء. وطلب جاب الحديث مع اللورد إدجوير على انفراد، وذهبنا جميعاً إلى المكتبة. وبعد بضع دقائق جاء الشاب إلينا، وكانت ترتسم على وجهه ابتسامة غير متكلفة تغيرت قليلاً عندما نظر إلينا نظرة سريعة. زم شفتيه وقال: مرحباً أيها المفتش. ما سبب كل هذا؟

أبلغه جاب بالانتهام بطريقة بسيطة، فقال رونالد: "إذن هكذا؟". وسحب كرسيّاً وجلس عليه، ثم قال: عندي كلام أريد الإدلاء به يا حضرة المفتش.

- كما تشاء يا حضرة اللورد.

- هذا يعني أن أسلوبك كان أحقق للغاية. ومع ذلك سأتكلم، فكما يقول الأبطال في الروايات دائماً: "ليس عندي سبب للخوف من الحقيقة!"

لم يقل جاب شيئاً وبقي وجهه خالياً من أي تعبير. أكمل الشاب: توجد هنا طاولة قريبة جميلة مع كرسي. يستطيع موظفك الجلوس عليها حيث يمكن أن يكتب كل شيء.

لا أظن أن جاب كان معتاداً على أن يربّ له الآخرون إجراءاته بمثل هذه الطريقة، ولكنه وافق على اقتراح اللورد إدجوير.

قال الشاب: بما أنني أملك شيئاً من الذكاء فإنني أحسب أن دليل براءتي الجميل قد أخفق أو أنه تلاشى كالدخان. لا بد أن ذلك حصل بسبب سائق سيارة الأجرة، أليس كذلك؟

قال جاب بقوة: إننا نعرف كل شيء عن تحركاتك في تلك الليلة.

- أنا معجب جداً بسكوتلانديارد. ومع ذلك، لو كنت أخطئ لعمل جريمة لما استأجرت سيارة أجرة وذهبت بها إلى المكان مباشرة تاركاً السائق ينتظر. هل فكرت في هذا؟ لا بد أن السيد بوروار قد فكر في ذلك.

قال بوروار: نعم؛ لقد خطر ذلك ببالي.

قال رونالد: ليس هذا هو أسلوب الجريمة المدبرة. كنت سأضع شارباً أحمر ونظارة كبيرة الإطار وأطلب من السائق أن يذهب إلى الشارع التالي حيث أدفع له حسابه ليرحل ثم آخذ قطار الأنفاق... حسناً، حسناً، لا أريد ذكر هذا كله، إن محامي سيفعل ذلك أفضل مني مقابل الأجر الذي سيحصل عليه. لعلكم ستقولون الآن إن الجريمة تمت بدافع نزوة مفاجئة، وكنت هناك أنتظر في السيارة... إلخ، إلخ.

حسناً، سأخبركم بالحقيقة. كنت محتاجاً إلى النفود. أظن أن ذلك كان واضحاً تماماً، كنت يائساً... كان عليّ الحصول على المال في اليوم التالي أو التوقف عن العمل الذي كنت أقوم به، فحاولت الحصول عليه من عمي. وكنت أعلم أنه لا يجني، ولكنني راهنت على حرصه على الحفاظ على سمعته؛ فالكيار يهتمون بسمعتهم أحياناً، غير أن عمي أثبت -للاسف- أنه رجل عصري وخالف هذه القاعدة!

حسناً، لقد وقعت تحت وطأة المعاناة... وفكرت في الاقتراض

من دورثيمر لكنني عرفت أنه لم يكن ثمة أمل. ثم التقيت بابنة عمي في الأوبرا مصادفة. لم أكن أتقيها كثيراً لكنها كانت فتاة دمة عندما كنت أعيش معها في البيت، وفاتحتها بالأمر الذي كانت قد سمعت طرفاً عنه من والدها، فأظهرت حماسها واقتربت عليّ أخذ عقد اللؤلؤ الذي تملكه والذي كان يعود إلى أمها قبل تملكها له.

سكت، وخبئت أن في صوته نبرة انفعال حقيقية، أو ربما نجح في إظهاره لي كذلك. ثم قال: لقد قبلت عرض الفتاة، وفكرت أن بوسعي الحصول على المال الذي أريده مقابل رهن العقد، وكنت واثقاً من أن بإمكانني رد المبلغ واسترجاع العقد من جديد. لكن العقد كان في البيت في ريجنت غيت فقررنا أن أفضل شيء نفعله هو الذهاب إلى هناك وإحضاره على الفور. وهكذا أخذنا سيارة أجرة وانطلقنا. طلبنا من السائق الوقوف عند الجانب المقابل في الشارع حتى لا يخرج أحد من أهل البيت إن سمع صوت السيارة، وخرجت جبرالدين فقبرت الشارع. كان معها مفتاحها، ودخلت البيت بهدوء وأحضرت العقد. لم تكن تتوقع أن تصادف أي شخص سوى بعض الخدم؛ فقد كانت الأنسة كارول تذهب للنوم في الساعة التاسعة والنصف كعادتها، أما هو فربما كان في المكتبة. وهكذا ذهب هي ووقفت أنا على الرصيف أنظرها، وكنت أنظر -من وقت لآخر- باتجاه البيت لأرى إن كانت هي القادمة.

وتوقف قليلاً ثم قال: والآن، القصة قد تصدقها وقد لا تصدقها. لقد مرّ من جانبي رجل فالتفت لأنظر إليه، ولشدة دهشتي ذهب وصعد درجات المنزل رقم ١٧. أظن أنه كان البيت رقم ١٧ فقد كنت بعيداً عنه، وقد أدهشني ذلك كثيراً لسببين: أحدهما أن الرجل فتح

الباب بالمفتاح ودخل، والسبب الثاني أنه غلب على ظني أن ذلك الرجل كان ممثلاً معروفاً مشهوراً. لقد دهشت كثيراً؛ ولذلك قررت معاينة الأمور. وكنت أحمل -ذات مرة- مفتاحي الخاص بالبيت في جيبتي، لكنني فقدته (أو ظننت أنني فقدته) قبل ثلاث سنوات، ثم وجدته قبل يوم أو يومين بطريقة غير متوقعة، وكنت أعترم إعادته لعمي ذلك الصباح، ولكنني نسيت حين احتدم النقاش بيننا حول موضوع النقود. وهكذا طلبت من سائق السيارة أن ينتظر ومشيت مسرعاً فوق الرصيف وقطعت الطريق وصعدت عتبات المنزل رقم ١٧ وفتحت الباب بمفتاحي. كانت القاعة فارغة ولم تكن هناك أية إشارة على وجود أي زائر دخل لنوه. وقفت دقيقة أنظر حولي، ثم ذهبت باتجاه باب المكتبة. ظننت أنه، إن كان الرجل داخل المكتبة مع عمي، فسوف أسمع همسهما. وقفت خارج باب المكتبة لكنني لم أسمع شيئاً. وفجأة أحسست أنني ارتكبت خطأ أحمق، فلعل الرجل لم يدخل إلى ريجنت غيت وإنما إلى بيت آخر... لقد كانت الإضاءة في الشارع ضعيفة ويصعب عليّ العزيم. وأحسست أنني كنت غيباً. سوف أبدو أحمق للغاية لو خرج عمي من المكتبة فجأة ووجدني أمامه، كما أنني سأسبب المتاعب لجبرالدين. ولم أعرف السبب الذي دفعني لكي أتبع ذلك الرجل... لقد كان إحساساً غريباً انتابني بسبب شيء في سلوكه جعلني أتخيل أنه كان بفعل شيئاً لم يكن يريد لأحد أن يعرفه. ولحسن الحظ لم يمسك بي أحد، وكان يجب أن أخرج من البيت بأسرع ما يمكن؛ فعدت أدراجي خلسة صوب الباب الأمامي، وفي نفس اللحظة نزلت جبرالدين عن الدرج وبيدها عقد اللؤلؤ. لقد دُعرت عندما رأته بالضلع، ولكنني أخرجتها من البيت شارحاً الأمر لها بالتفصيل. وقد أسرعتا عائدين إلى الأوبرا،

فوصلناها أثناء رفع الستارة ولم يشك أحد بأننا غادونا المبنى؛ لقد كانت ليلة حارة وقد خرج كثير من المتفرجين إلى الخارج لننشق الهواء المنعش.

توقف عن الحديث، ثم نظر إلى المفتش جاب وهو يقول: أعرف ما ستقوله: لِمَ لَمْ أخبرك بهذا من قبل؟ وأريد أن أوضح لك الأمر الآن: لو كنت مكاني، هل كنت ستعترف بسهولة بأنك كنت موجوداً في مكان الجريمة في تلك الليلة، وأنت -كما يعلم الجميع- تملك دافعاً للقتل؟ لقد خفت من الاعتراف بذلك! وحتى لو صدقتمونا فسوف يكون ذلك مصدر إزعاج لي ولجيري الدين. لم تكن لدينا علاقة بجريمة القتل، ولم نر شيئاً، ولم نسمع شيئاً. لقد اعتقدت حقاً... اعتقدت أن جين زوجة عمي هي التي ارتكبتها دون شك. إذن لماذا أقحم نفسي في هذا الأمر؟ لقد أخبرتك عن المشاجرة وعن حاجتي للمال لأنني كنت واثقاً أنك ستعرف ذلك لا محالة، ولو حاولت إخفاء كل هذا فسوف تزداد شكوكك في. لقد فكرت أنني إذا تبجحت بهذا الأمر فسوف يدفعك ذلك إلى الاعتقاد بأن الأمر على ما يرام. أعرف أن عائلة دورثيم كانوا واثقين من وجودي في دار الأوبرا طوال الوقت، وكانوا يعرفون أنني أمضيت إحدى فترات الاستراحة مع ابنة عمي ولذلك لم يشكوا في الأمر. كان بوسعهم الشهادة بأنني كنت معهم هناك وأنا لم ترك المكان.

- وهل وافقت الأنسة مارش على إخفاء هذا الأمر؟

- نعم. حالما سمعتُ بالخبر ذهبتُ إليها وحذرتها -حمايةً لنفسها- بأن لا تقول أي شيء عن مجيئها إلى هنا الليلة الماضية.

قلت لها أن تقول إننا كنا معاً خلال فترة الاستراحة في الأوبرا وإننا تحدثنا في الشارع قليلاً، وهذا كل ما في الأمر. لقد تفهمتُ الموقف ووافقت تماماً.

سكت ثم أضاف: أعرف أن هذا يبدو سيئاً... أقصد أن أبوح بهذا فيما بعد، لكنها الحقيقة. يمكنني إعطاؤك اسم وعنوان الرجل الذي أقرضني مبلغاً من المال مقابل رهن عقد جيرالدين هذا الصباح، وإذا سألتها فسوف تؤكد كل كلمة قلتها.

جلس مستنداً إلى ظهر كرسيه ونظر إلى جاب، فيما بقي جاب جالساً دون أن يبدو عليه أي انفعال. قال: هل قلت أنك تعتقد بأن جين ويلكينسون هي التي ارتكبت جريمة القتل يا لورد إدجوير؟

- ألم تكن ستعتقد هذا أنت أيضاً بعد أن سمعت رواية كبير الخدم؟

- وماذا عن رهائك مع الأنسة آدمز؟

- رهاني مع الأنسة آدمز؟ هل تقصد مع كارلوتا آدمز؟ وما علاقتها بهذا كله؟

- أنتكر أنك عرضت عليها مبلغ عشرة آلاف دولار لكي تنقص شخصية جين ويلكنسون في البيت تلك الليلة؟

حذق رونالد إليه وقال: عرضت عليها عشرة آلاف دولار؟ هراء! لا بد أن أهدمهم يستدرجك. لم أكن أملك عشرة آلاف دولار

حتى أعرضها عليها... إنك متوهم. هل قالت هي هذا؟ آه! نسيت،
لقد ماتت. أليس كذلك؟

قال بوارو بهدوء: بلى، لقد ماتت.

كان رونالد يتنقل ببصره -طوال الوقت- من واحد لآخر
فيما، ولم يكن في البداية مبالياً، أما الآن فقد شحِب وجهه وبدأ
مذعوراً. قال: لا أفهم كل هذا. إن ما قلته صحيح... أعتقد أنكم
لا تصدقونني... لا أحد منكم يصدقني!

ولكن، لدهشتي الشديدة، تقدم بوارو نحوه وقال: نعم؛ إنني
أصدقك.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

سلوك غريب من هيركيول بوارو

كنت مع بوارو في شقتنا عندما سألته فجأة: ما الذي...

لكن بوارو أسكنني بإشارة متعجرفة من يده لم يفعلها بي
من قبل أبداً: "أتوسل إليك يا هيستنغر! ليس الآن... ليس الآن".
والأغرب من ذلك أنه أمسك بقبعته وألقاها على رأسه دون ترتيب
وخرج مسرعاً.

ولم يكن بوارو قد رجع إلى البيت حينما وصل جاب بعد ذلك
بساعة وسأل: هل خرج الرجل العجوز؟

أومأت برأسي بالإيجاب، فارتدى جاب على مقعد وهو يمسح
جبينه بمنديل (إذ كان الجو حاراً) وسأل: ما الذي أخرجه؟ أصابحك
-يا كاتين هيستنغر- بأني ذهلت عندما تقدم نحو الرجل قائلاً له:
"إنني أصدقك". لقد بدا وكأنه يمثل مسرحية مثيرة... لقد أصابني
بالحيرة والذهول.

- كما أنه حيرني أنا أيضاً، ولقد قلت له ذلك.

المشكلة التي يواجهها معقدة، وإذا ما بدا أنها غير ذلك فإنه يجتهد غاية الاجتهاد لجعلها كذلك، وما أراه الآن إلا ممارساً لهذا الطبع الغريب!

- ما الذي قاله لك عن هذا الأمر؟

- لا شيء.

- لاشيء على الإطلاق؟

وجدت صعوبة في الإجابة، فسلوك بوارو - كما بدا لي - غير قابل للتبرير، وحيث أنني على علاقة حميمة مع صديقي الغريب فقد أحسست بالضيق أكثر مما رغبت بالرد على انتقادات جاب المبررة.

- لاشيء أبداً. بل هو قد أشار إلي لأبتعد عنه عندما أردت التحدث معه في الموضوع، فראيت أن أفضل شيء هو تركه وحيداً، وعندما عدنا إلى هنا وسألته لوح لي بذراعيه ووضع قبعة ثم خرج من البيت ثانية.

دخل بوارو إلى الشقة وسط هذا الصمت الكئيب، وأحسست بالسرور لأنه كان يبدو الآن هادئاً تماماً. خلع قبعة بحذر شديد ووضعها مع عصاه على الطاولة وجلس على كرسية المعتاد قائلاً: أنت هنا يا جاب؟ يسعدني ذلك، فقد كنت أفكر بضرورة رؤيتك بأسرع وقت ممكن.

نظر كل منا إلى الآخر، ثم ضرب جاب على جبينه بإشارة ذات دلالة قائلاً: لا بد من وجود شيء.

نظر جاب إليه دون أن يجيب، فقد عرف أن تلك كانت مجرد البداية وانتظر بوارو حتى يشرح له ما يريد. وهكذا تكلم صديقي ببطء وحذر قائلاً: اسمع يا جاب، إننا مخطئون... كلنا مخطئون. أمر محزن أن نعترف بهذا، لكننا أخطأنا.

للمرة الأولى كنت أميل إلى الموافقة، فقد كان جاب يزعم دائماً أن بوارو غير طبيعي، ولكنه - في الحقيقة - لم يكن يفهم ما كان بوارو يري إليه. أما الآن فقد وجدته مرغماً على الاعتراف بأنني لم أستطع فهم موقف بوارو. وحتى لو كان طبيعياً فإنه يبدو الآن متقلباً على نحو يبعث على الارتياح. لقد تأكدت هنا نظريته الخاصة ولكنه تراجع عنها مباشرة.

قال جاب دون تردد: الأمر على ما يرام.

- لكنه ليس على ما يرام. إن الحال يبعث على الأسى... إنه يحزنني كثيراً.

- لا داعي لأن تحزن على ذلك الشاب؛ إنه يستحق العقاب.

كان ذلك كافياً لإثارة حزن ودهشة أقرب مؤيديه، فهززت رأسي يائساً فيما قال جاب: إنه غريب الأطوار دائماً؛ فهو ينظر إلى الأمور من زاوية معينة خاصة به، وهي تبدو غريبة جداً. أعترف بأنه عبقري، لكنهم يقولون - دائماً - إن شعرة واحدة فقط تفصل بين العبقرية والجنون! إنه يعشق مواجهة القضايا الصعبة المعقدة، أما تلك البسيطة الواضحة فلا تثير لديه أدنى اهتمام. يجب أن تكون

- أنا لست حزينا عليه، بل عليك يا جاب!

- أنا؟ لا حاجة لأن تقلق علي.

- لكنني قلق فعلاً. من الذي أرشدك إلى هذا التفكير؟ إنه هيركيول بوارو. أجل؛ لقد أرشدتك إلى الطريق، لقد وجهت انتباهك إلى كارلوتا آدمز وذكرت لك موضوع الرسالة التي بعثت بها إلى أمريكا. أنا الذي أشرت إليك باتخاذ كل الإجراءات التي قمت بها!

قال جاب بيروود: كنت سأفعل ذلك بنفسني على أية حال، كل ما في الأمر أنك سبقتي قليلاً.

- قد يكون هذا صحيحاً، لكنه لا يواسيني. سوف ألوم نفسي بمرارة إذا ما فقدت سمعتك ومكانتك بسبب الإصغاء إلى أفكار الصغيرة.

ظهر السرور على جاب، وحيث أنه كان يدين لبوارو بكشف دوافع الجريمة التي لم تكن واضحة لديه تماماً، فلعنه ظن أن بوارو حسده على السمعة الطيبة التي ستلحق به لنجاحه في حل هذه القضية. ولذلك قال وهو يغمزني: لا بأس، لن أنسى أن أعلن للجميع بأنني آدين لك ببعض الفضل في حل هذه القضية.

قال بوارو وقد نفذ صبره: لم أقصد شيئاً من هذا أبداً! أنا لا أريد أي سمعة؛ بل، وهو الأسوأ، لن تكون في المسألة سمعة جيدة أصلاً. إنك مقبل على فشل عظيم وهيركيول بوارو هو السبب.

وفيما بدا بوارو غارقاً في الكتابة أطلق جاب ضحكة شديدة، وتخيلت أن بوارو قد أحسن بالإهانة.

سمح جاب عينيه وقال: آسف يا سيد بوارو، لكنك تبدو مثل بطة تموت في عاصفة رعدية! لننسى هذا كله. أنا على استعداد لتحمل التوبيخ أو أي نتيجة تترتب على حل هذه المسألة. سوف نحدث ضجة كبيرة... أنت على حق في هذا، وقد يستطيع محام ذكي تيرة اللورد؛ فهؤلاء المحفلون أمرهم غريب. ولكن حتى لو حدث ذلك فهو لن يضرني بأي شيء. سيعلم الجميع أننا أمسكنا بالرجل المطلوب حتى لو لم نستطع إدانته، وحتى لو حدث أن أي خادمة في البيت اتبعتها الهستيريا وانهارت زاعمة أنها هي التي قتلته فسوف أنزع هذه الغصة ولن أشتكي من أنك ضللتني. هذا عدل بما فيه الكفاية.

حذر إلى بوارو حزناً هادئاً فقال جاب: إنك واثق من نفسك... دائماً تكون واثقاً من نفسك! لم تقف أبداً لتقول لنفسك: أيمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟ لم تشك أبداً أو تتساءل، وأيقنت دائماً أن الأمر لا يمكن أن يكون سهلاً؛ وهذا هو السبب الذي يجعل أمورك دائماً غير منظمة، ومعدرة لهذه الكلمة. لِمَ لا يكون الأمر سهلاً؟ ما هو الضرر في كون الشيء سهلاً؟

نظر بوارو إليه، وتنهى ذراعيه ثم هز رأسه وقال: لقد انتهى الأمر! لن أقول أكثر من ذلك.

قال جاب متحمساً: هذا رائع. دعنا ندخل الآن في التفاصيل. هل تريد معرفة ما كنت أفعله؟

- بالتأكيد.

- لقد رأيت جبر الدين، وقد تطابقت روايتها مع رواية اللورد تماماً. ربما كانا مشتركين بهذا العمل معاً، لكنني لا أميل لترجيح ذلك، بل أظن أنه خدعها؛ فهي -على أية حال- تحبه كثيراً. لقد تغير شكلها تماماً عندما عرفت نبأ اعتقاله.

- حقاً؟ وماذا عن السكرتيرة، الأنسة كارول؟

- أظن أنها لم تُفاجأ كثيراً، ومع ذلك فهذا رأيي فقط.

سأنته: وماذا عن عقد اللؤلؤ؟ هل كان ذلك الجزء من الحكاية صحيحاً؟

- لا شك. لقد حصل على المال مقابل رهنه صباح اليوم التالي. لكنني أستبعد أن يؤثر هذا في الفكرة الأساسية؛ فالذي أتصوره أن الفكرة خطرت له لدى لقائه بابنة عمه صدقة في الأوبرا. لقد كان بانساً، وقد وجد -عند ذلك- مخرجاً من أزيمته. أظن أنه خطط لشيء من ذلك القليل، ولهذا حمل معه المفتاح. إن روايته في العثور على المفتاح صدقة لا تقتعني، ولا بد أنه وجد -بينما كان يتحدث مع ابنة عمه- أنه إذا وُظفها في عمله فإنه يحصل على حماية إضافية لنفسه. لقد لعب بمشاعرها ولَمَحَ إلى عقد اللؤلؤ، وأرادت أن ترضيه فانطلقا إلى البيت، وعندما وصلت إلى البيت تبعها وذهب إلى المكتبة مباشرة. ربما كان اللورد يغط في نوم عميق على كرسية... وعلى أية حال فقد قام بعمله خلال ثانيين ثم خرج مرة أخرى. لا أظن أنه كان يريد للفنانة أن تراه وهو في البيت، ولا أعتقد أنه تعمد أن

يجعل سائق سيارة الأجرة يراه وهو يدخل البيت، بل لعله كان يريد أن يترك انطباعاً بأنه كان يتمشى ذهاباً وإياباً منتظراً عودة الفنانة. تذكر أن السيارة كانت واقفة في الاتجاه المقابل. وكان عليه أن يرهن عقد اللؤلؤ صباح اليوم التالي بالطبع، إذ يجب أن يبدو أنه لا زال بحاجة إلى النقود. وعندما سمع بالجريمة أخاف الفنانة وجعلها تخفي أمر ذهابهما إلى البيت، واتفقا على الإصرار على أنها أمضيا تلك الاستراحة معاً في دار الأوبرا.

سأله بوارو بحدة: إذن لمَ لمَ يفعل ذلك؟

هز جاب كتفيه: ربما غير رأيه، أو أنه رأى أنها لا تستطيع الإصرار على الإنكار، فهي عصبية المزاج.

قال بوارو متأملاً: "نعم؛ إنها عصبية المزاج". ثم قال بعد قليل: أتم يخطر ببالك أنه كان من الأسهل للكابتن مارش أن يترك دار الأوبرا أثناء الاستراحة ويذهب إلى مكان الجريمة يهدوء ومعه مفتاحه ليقفل عنه ثم يعود إلى الأوبرا، بدلاً من وجود سيارة أجرة في الخارج وفنانة عصبية يمكن أن تنزل عن الدرج في أية لحظة وقد تنفذ عقلها وتفوضه.

ابسم جاب وقال: هذا ما ستفعله أنا وأنت لو كنا مكانه، لكننا أكثر ذكاءً من الكابتن رونالد مارش.

- لست متأكداً تماماً من ذلك؛ إنني أجده ذكياً.

قال جاب ضاحكاً: لكنه ليس بمستوى ذكاء السيد هيركيول بوارو... أنا واثق من هذا!

وضحك وهو يذكر ذلك فيما نظر بوارو إليه ببرود، ثم أكمل:
إذا لم يكن مذنباً فلماذا أقنع كارلوتا آدمز بأن تقوم بذلك العمل؟ قد
يكون لذلك سبب واحد: حماية المجرم الحقيقي.

- أنا متفق معك في هذا تماماً.

- إنني مسرور لأننا اتفقا على شيء!

قال بوارو: ربما كان هو الذي تكلم مع الآنسة آدمز، بينما في
الحقيقة... لا، هذا غباء.

ثم ألقى سؤالاً سريعاً بعد أن نظر إلى جاب فجأة: ما هي
نظريتك عن وفاتها؟

ابتلع جاب ريقه وقال: أميلُ إلى الاعتقاد بأنها حادث عَرَضي.
أعترفُ بأنه حادث متوافق مع تلك الجريمة، لكنني لا أرى وجود
علاقة للكاتبين مارش بهذا الحادث. إن دليل وجوده بعد انتهاء الأوبرا
صريح للغاية؛ فقد كان في مطعم سويرانيس مع عائلة دورثيهر حتى
الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكانت هي نائمة قبل ذلك الوقت
بمدة طويلة. أظن أن هذا مثال على الحظ الجهنمي الذي يلاقيه
المجرمون أحياناً. وإلا، لو لم يحدث ذلك الحادث، لكانت لديه
- حسب ظني - خططة للتعامل معها. سوف يزرع في نفسها الخوف
من كونه لوردًا ويخبرها بأنها يمكن أن تُعتقل بتهمة القتل إذا اعترفت
بالحقيقة، وربما كان سيرشوها بمبلغ كبير من المال.

- هل خطر لك أن الآنسة آدمز كانت ستدع امرأة أخرى تُشتق
وهي تملك دليلاً يمكن أن يبرئها؟

- لم تكن جين لثقاد إلى المشقة، فدليل حفلة مونتاغو كورنر
كان قوياً جداً لتبرئتها.

- لكن القاتل لم يكن يعرف هذا. كان سيعتمد على إعدام جين
ويلكنسون وعلى سكوت كارلوتا آدمز.

- أنت تحب الكلام باسيد بوارو، أليس كذلك؟ كما أنك مقتنع
تماماً بأن رونالد مارش ولد ذكي لا يمكن أن يخطئ. هل تصدق
روايته تلك عندما قال إنه رأى رجلاً ينسل إلى البيت خلسة؟

أوماً بوارو بالموافقة فسأله جاب: هل تعرف من كان يظنه؟
- ربما أستطيع تخمين ذلك.

- قال إنه يظن أنه الممثل السينمائي بريان مارتين. ما رأيك بهذا؟
رجل لم يلتقِ اللورد إدنجوير أبداً.

- إذن سيكون أمراً مستغرباً بالتأكيد إذا شوهد مثل هذا الرجل
يدخل البيت ومعه مفتاح.

قال جاب بازدراء: ولكنك ستفاجأ عندما تعلم أن السيد بريان
مارتن لم يكن في لندن تلك الليلة. لقد كان في حفل عشاء مع فتاة
في مولسي، ولم يُعدْ إلى لندن إلا بعد منتصف الليل.

قال بوارو بهدوء: آه، لا، لم أُفاجأ. هل كانت الفتاة ممثلة
هي الأخرى؟

- لا، بل فتاة تملك محلاً نبيع القبعات. في الواقع كانت هي

الآنسة درايفر صديقة كارلوتا آدمز. أظن أنك ستوافقني على أن شهادتها لا يعتربها شك.

- لا أجادلك في هذا يا صديقي.

قال جاب ضاحكاً: الواقع أنك تُخدعت، وأنت تعرف هذا! كانت رواية ملفقة... لم يدخل أحد المنزل رقم ١٧، كما أن أحداً لم يدخل أبداً من البيوت المجاورة له، إذن على ماذا يدل هذا؟ هذا يعني أن اللورد كاذب.

هز بوارو رأسه حزيناً، ونهض جاب وقد استعاد نشاطه وهو يقول: لا عليك، إننا مصيبيون.

سأل بوارو: من هو «د» من باريس، تشرين الثاني؟

هز جاب كتفيه وقال: أظن أنه تاريخ قديم، ألا يمكن لفتاة أن تحصل على هدية تذكارية قبل ستة أشهر دون أن يكون لها علاقة بجريمة قتل؟ يجب أن يكون لدينا فهم لمعنى الانسجام.

فجأة صاح بوارو وقد لمعت عيناه: قبل ستة أشهر... يا إلهي! كم كنت أحمق!

انفتحت جاب إليّ سائلاً: ما الذي يقوله؟

نهض بوارو وأمسك بكتف جاب قائلاً: لماذا لم تتعرف خادمة كارلوتا آدمز على تلك العلبة؟ لماذا لم تتعرف الآنسة درايفر عليها؟

- ما الذي تعنيه؟

- لأن العلبة كان جديدة... كانت قد حصلت عليها لنوها!

باريس، تشرين الثاني. هذا كله جيد، لا شك أن هذا هو التاريخ الذي يُفترض أنه مناسبة تذكارية، لكن العلبة لم تُقدّم لها في ذلك الوقت، بل الآن فقط. لقد اشترت العلبة لنوها... اشترت لنوها فقط! أرجوك أن تحقق في ذلك يا جاب. إنها فرصة. العلبة لم تُشتر من هنا ولكن من الخارج، ربما من باريس. لو أنها اشترت من هنا لتقدم إلينا تاجر جواهر وأبلغنا عنها، فقد نُشرت صورة العلبة وأوصافها في الصحف. نعم، نعم، باريس. ربما من بلد أجنبي آخر، لكنني أعتقد أنها من باريس. أرجوك أن تحقق في هذا الأمر؛ أريد أن أعرف من يكون «د» الغامض هذا؟

قال جاب مبتهجاً: ليس في هذا ضرر. لست متحمساً جداً لهذا الأمر لكنني سأبذل ما بوسعي؛ فكلما عرفنا أكثر كلما كان هذا أفضل.

قال ذلك، ثم تركنا وهو يومئ لنا برأسه مبتهجاً.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

الرسالة

قال بوارو: "والآن سنخرج للغداء". ثم وضع يده على ذراعي وقال وهو يتسم في وجهي: عندي أمل.

أحسست بالسروور لأنه عاد إلى عاداته القديمة رغم أنني ما زلت على قناعتي بأن رونالد هو القاتل، بل تصورت أن بوارو نفسه ربما اقتنع بذلك بعدما استمع إلى نقاش جاب. ربما كان البحث عن مشتري تلك العلبة هو المحاولة الأخيرة لحفظ ماء وجهه.

ذهبنا لتناول الغداء معاً بهذوء. ولشدة فرحتي وجدت بريان مارتن وجيني درايفر يأكلان على طاولة في الجانب الآخر من المطعم، وعندما تذكرت ما قاله جاب اشتبهت بوجود علاقة حب بين الاثنين.

شاهدنا، ولوحت جيني بيدها، وعندما كنا نشرب القهوة تركت مرافقها وجاءت إلى طاولتنا، وكانت تبدو -كعادتها- حيوية ونشيطة. قالت: هل يمكنني الجلوس والحديث معك قليلاً يا سيد بوارو؟

- بالتأكيد يا آنسة، سأكون مسروراً بذلك.

- كنت ترجو أن تعثر على صديق لها. أليس هذا صحيحاً؟

- بلى، بلى.

- لقد فكرت وفكرت. أحياناً لا تستطيع تذكر هذه الأشياء مباشرة، فعندما تريد معرفتها عليك أن تعود بذاكرتك إلى الوراء... تتذكر الكثير من الكلمات الصغيرة والعبارات التي ربما لم تنتسب إليها عندما قبلت. وهذا ما كنت أفعله: أفكر وأفكر. وأتذكر ما قالته. وقد توصلت إلى نتيجة معينة.

- نعم يا آنسة؟

- أظن أن الرجل الذي كانت تهتم به (أو بدأت تهتم به...) كان رونالد مارش، الرجل الذي ورث لقب اللورد.

- ما الذي يجعلك تعتقدين أنه هو يا آنسة؟

- سبب واحد؛ وهو أن كارلوتا كانت تتكلم كلاماً عاماً ذات يوم عن رجل عاثر الحظ وكيف أن ذلك يؤثر في شخصيته. إن أول شيء تخدع المرأة فيه نفسها هو أن تضعف أمام رجل، لقد سمعت هذا المثل القديم كثيراً. كانت كارلوتا فتاة واعية، ومع ذلك كانت تخرج مع هذا الرجل كأنها فتاة مغفلة تماماً لا تعرف شيئاً عن الحياة. هي لم تذكر اسمه، بل كان كلامها عاماً، لكنني تحدثت بعد ذلك عن رونالد مارش وقالت إنها تعتقد أنه عومل معاملة سيئة. ولم أربط بين

هذين الموضوعين في ذلك الوقت، لكنني بدأت أنساءل الآن... يبدو لي أن رونالد هو الذي كانت تعنيه. ما رأيك يا سيد بوارو؟

نظرت إليه باهتمام فقال: أظن - يا آنسة - أنك قدمت لي بعض المعلومات القيمة.

أطبقت جيني يديها قائلة: رائع!

نظر بوارو بهدوء قائلاً: لعلك لا تعرفين أن الرجل الذي نتحدثين عنه قد اعتُقل لنوه.

فغرت فاهاً من الدهشة: آه! إذن فقد جاء تفكيري متأخراً قليلاً.

- لم يكن متأخراً أبداً، أشكرك يا آنسة.

تركنا لتعود إلى باريان مارتن. وقلت: هذا سيغير فكرتك بالتأكيد يا بوارو.

- لا يا هيستنغز؛ على العكس... إنه يؤكدنا.

ورغم هذا التأكيد الشجاع فقد اعتقدت أنه ضعف في داخله.

لم يذكر قضية إدجووير في الأيام التي تلت ذلك أبداً، وكان يجب باقتضاب ودون اهتمام إذا تحدثت أنا عنها، وبمعنى آخر ظهر كأنه غسل يديه من القضية! ومهما كان الذي أبواه في ذهنه الرائع، فقد أجبر الآن على الاعتراف بأن اعتقاده الأول عن القضية كان صحيحاً لأن رونالد مارش كان متهماً حقيقة بارتكاب الجريمة،

ولم يستطع الإقرار علناً بأن هذا صحيح لكونه بوارو فقط، ولذلك تظاهر بأنه فقد اهتمامه بالقضية!

هذا - حسب اعتقادي - هو تفسيري لموقفه. لم يهتم أدنى اهتمام بإجراءات محكمة الشرطة التي كانت أقرب إلى الإجراء الشكلي، وقد شغل نفسه بقضايا أخرى. وكما قلت: لم يظهر أي اهتمام عندما كان الموضوع يُذكر أمامه.

ولكن بعد أسبوعين تقريباً من أحداث الفصل الأخير الذي كتبه بدأت أدرك أن تفسيري لموقفه كان خاطئاً. كان ذلك ساعة الإفطار، وكان يقلب بأصابعه كومة كبيرة من الرسائل كانت مكدسة أمامه كالعادة عندما صاح - فجأة - صيحة استمناح سريعة والنقطة رسالة عليها طابع أمريكي.

فتحها بسكين الرسائل الصغيرة، ونظرت إليه بارتياح وهو يبدو سعيداً جداً برؤيته لها. قرأ الرسالة مرتين ثم رفع بصره قائلاً: هل تحب أن ترى هذه يا هيستنغز؟

أخذتها منه، وقرأت ما يلي:

عزيزي السيد بوارو،

لقد تأثرت كثيراً برسالتك اللطيفة وشعرت بالحيرة من كل شيء. وبعداً عن حزني الكبير، كنت أشعر بالإهانة بسبب الأشياء التي أشارت إلى كارلونا تلميحاتاً... أختي كارلونا العزيزة الأثيرة على قلبي. لا يا سيد بوارو، لم تكن تتعاطى المخدرات؛ أنا متأكد من هذا. كانت تخاف كثيراً من هذا الشيء، وقد سمعتها تقول ذلك

كثيراً. إن كانت قد لعبت دوراً في وفاة ذلك الرجل المسكين فإنه دور بريء تماماً، ورسالتها لي تثبت هذا. أرفق لك الرسالة ذاتها بناء على طلبك. أكره التخلي عن آخر رسالة كتبتها إليّ، لكنني أعرف أنك ستعني بها وتعيدها إلي. وبما أنها قد تساعدك في كشف شيء من اللغز الذي يكثف وفاتها - كما نقول - فيجب أن أرسلها إليك بالطبع.

لقد سألتني إن كانت كارلوتا قد تحدثت في رسالتها إلي عن أصدقاء خاصين لها. لقد ذكرت لي أسماء أشخاص عديدين بالطبع، لكنها لم تذكر لي أحداً باهتمام خاص. لقد ذكرت لي اسم بريان مارتن الذي نعرفه منذ سنوات، وفناة تدعى جيني درايفر، والكابتن رونالد مارش، حيث اعتقد أنها كانت تراهم أكثر من أي أحد آخر.

أتمنى لو أن باستطاعتي عمل شيء لمساعدتك. لقد كتبت رسالتك بلطف كبير، ويبدو أنك تدرك ماذا كنا (أنا وكارلوتا) كل بالنسبة للآخر.

المخلصة: لوسي آدمز

"ملاحظة: لقد جاء -للتو- ضابطٌ يسأل عن الرسالة فأخبرته أنني أرسلتها لك بالبريد؛ فقد شعرت (بطريقة أو بأخرى) بأن من الأفضل أن تراها أنت أولاً. يبدو أن الشرطة عندكم يريدونها دليلاً ضد القاتل. يمكنك أن تأخذها إليهم ولكن أرجو أن تأكد من أنهم لن يحتفظوا

بها وأن تعيدها إليّ يوماً ما؛ فهي -كما ترى- آخر كلمات كتبتها لي كارلوتا."

قلت وأنا أضع الرسالة على الطاولة: إذن فقد كتبتَ لها رسالة. لِمَ فعلت هذا يا بوارو؟ ولماذا طلبت رسالة كارلوتا الأصلية؟

- الحقيقة أنني لا أعرف السبب يا هينستغز، غير أنني رجوت -يائساً- أن توضح الرسالة الأصلية ما لم توضحه البرقية التي تضمنت نصها.

- وما الذي يمكن أن نستخلصه من هذه الرسالة؟ لقد أعطتها كارلوتا نفسها للخادمة لكي ترسلها بالبريد، ولم يكن في الأمر أي خداع... إنها تبدو رسالة حقيقية عادية تماماً.

تنهد بوارو وقال: أعرف، أعرف. وهذا ما يجعل الأمر صعباً جداً؛ لأن هذه الرسالة لا تتسجم مع الحقائق يا هينستغز.

- هراء.

- أجل، أجل، الأمر كذلك. فكما كشفتُ هذا بالمنطق، فلا بد أن تكون أمور معينة كما ظننت، لأنها منسجمة في الأسلوب والترتيب بأسلوب مفهوم. أما هذه الرسالة فإنها لا تتسجم مع الحقائق التي ذكرت، من يكون المخطئ إذن: هيركيول بوارو أم الرسالة؟

قلت بلطف قدر استطاعتي: ألا تعتقد أن من الممكن أن يكون المخطئ هو هيركيول بوارو؟

نظر بوارو إليّ نظرة توبيخ وقال: أحياناً أخطئ، ولكن ليس هذه

المرّة! من الواضح أن الرسالة تبدو مستحيلة، لا بد أننا قد غفلنا عن حقيقة فيها، وأنا أحاول أن أكشف هذه الحقيقة الآن.

وما لبث أن استأنف فحص الرسالة باستخدام عدسة جيب كبيرة، وعندما انتهى من فحص كل ورقة أعطاني إياها. لم أستطع معرفة أي شيء غريب فيها، فقد كانت مكتوبة بخط يد ثابت مقروء، كما كانت مكتوبة كلمة كلمة وكأنها برقية.

تنهد يوارو بعمق وهو يقول: ليس فيها أي تزوير... أبداً؛ كلها مكتوبة بنفس اليد. ومع ذلك، وبما أنني أعتقد أنها مستحيلة...

سكت، وأشار إلي بيده أن أعطيه الأوراق، فسلمته إياها، ثم بدأ يتفحصها ثانية... وفجأة صاح! كنت قد تركت -في تلك اللحظة- طاولة الإفطار ووقفت أنظر من النافذة، ولكنني التفت بحدة لدى سماع صرخته.

بدأ يوارو مشدوهاً وقد بدت عيناه خضراوين كعيني قط، وارترش أصبعه الذي كان يشير به وهو يقول: أترى هنا يا هيستنغز؟ انظر هنا... بسرعة... تعال وانظر.

أسرعت إلى جانبه. كان يضع أمامه إحدى الصفحات الوسطى من الرسالة، ولم أرَ أي شيء غير عادي فيها.

- ألا ترى؟ كل الأوراق الأخرى ذات حواف مستوية ونظيفة لأنها أوراق مستقلة، أما هذه... انظر، فأحد طرفيها ممزق. لقد قُطعت وفصلت من ورقة مزدوجة. هل تفهم ما أعنيه؟ كانت هذه

الرسالة مكتوبة على ورقة مزدوجة، وهكذا فإن إحدى صفحات الرسالة مفقودة!

حدّثت فيه ببلاهة: ولكن كيف يحدث هذا؟ هل هذا معقول؟

- نعم، نعم؛ هذا معقول. يكمن الذكاء في هذه الفكرة. اقرأ، وسوف ترى. إنها تتحدث عن الكابتن مارش وتقول إنه قد استمتع بعرضها كثيراً... وهنا تنتهي الورقة، وفي أول الورقة الجديدة تكمل قائلة: "وقد تناقشنا في ذلك ملياً وقال: أعتقد أن تقليدك لزوجته سينطلي عليه هو شخصياً. هل تقبلين التحدي مقابل مبلغ؟" ... هنا صفحة مفقودة يا صديقي. إن الضمير الغائب في الصفحة الثانية قد لا يعود على نفس الشخص الذي ذُكر في الصفحة الأولى، وهو في الواقع ليس كذلك! إنه رجل آخر تماماً وهو الذي نفّذ هذه الخدعة. لاحظ أن الاسم لم يُذكر في أي مكان بعد ذلك. آه! هذا رائع! لقد أسك مجرمنا بالرسالة بطريقة أو بأخرى، ولما كانت تكشفه فقد فكر في إخفائها تماماً، ولكنه ما لبث أن وجد أسلوباً أفضل للتعامل معها: يحذف صفحة واحدة فتتحول الرسالة إلى اتهام خطير لرجل آخر... رجل له دافع، هو الآخر، لقتل اللورد إدنجوير. كانت فرصة لا تُعوّض! وهكذا مَرّق الورقة ثم أعاد الرسالة مكانها.

نظرت إلى يوارو نظرة إعجاب، رغم أنني لم أكن مقتنعاً تماماً بحقيقة نظريته. رأيت الاحتمال الأرجح أن كارلوتا استخدمت نصف ورقة مفردة كانت ممزقة من طرفها من قبل، لكن يوارو كان يشرق

بهجة ولذلك لم أجرو على طرح هذا الاحتمال العادي، كما أنه قد يكون مصيباً.

ومع ذلك فقد غامرت وأشرت إلى وجود بعض الصعوبات التي تعترض تحقيق نظريته. قلت: ولكن كيف وقعت يد هذا الرجل على الرسالة؟ لقد أخذتها كارلوتا آدمز من حقيبتها وأعطتها بنفسها للخادمة لترسلها بالبريد... الخادمة أخبرتنا بهذا.

- ولها السبب يجب أن نفترض أحد احتمالين: إما أن الخادمة كذبت أو أن كارلوتا آدمز قابلت المجرم في تلك الليلة.

أومأت برأسي، فقال مستطرداً: يبدو لي أن الاحتمال الثاني هو الأرجح، فنحن ما زلنا نجهل أين كانت كارلوتا آدمز بين الساعة التي تركت فيها الشقة والساعة التاسعة عندما تركت حقيبتها في محطة يوستون. أنا أميل إلى الظن بأنها التقت المجرم خلال هذه الفترة في مكان محدد، وربما تناولوا الطعام معاً حيث أعطاهما تعليماته الأخيرة. لا نعرف ما الذي حدث بالضبط بخصوص الرسالة، ولكن قد نستطيع التخمين. ربما كانت تحملها معها لتضعها في البريد، وقد تكون وضعتها على الطاولة في المطعم فلاحظ القاتل العنوان واشتم منها رائحة خطر محتمل، وقد يكون التقطها بدهاء وتعذر بعدد ما لمغادرة الطاولة حيث فتحها وقرأها ومزق الورقة، ثم ربما أعادها بعد ذلك إلى مكانها على الطاولة أو ربما أعطاهما لها عندما غادرت متعللاً بأنها أسقطتها من يدها دون أن تلاحظ. ليس مهماً معرفة الطريقة التي حدثت بالضبط، ولكن لدينا شيان اثنان يبدوان واضحين: الأول أن كارلوتا آدمز التقت المجرم في تلك الليلة إما قبل أو بعد قتله للورد إدجووير (لا نَسَّ أنه كان ثمة وقت يمكنه فيه

أن تلقي القاتل لقاء قصيراً بعد خروجها من مطعم كورنر). والأمر الثاني (ورغم أنني قد لا أكون مصيباً) أن القاتل هو الذي أعطاهما العلبة الذهبية، وربما كانت تذكراً عاطفياً عن لقاءهما الأول، وإذا كان هذا صحيحاً فإن القاتل هو «د».

- لا أفهم مغزى العلبة الذهبية.

- اسمع يا هيستغز، لم تكن كارلوتا آدمز مدمنة على الفيرونال. إن لوسي آدمز تقول هذا وأنا أعتقد أنه صحيح. كان واضحاً أنها فتاة تتمتع بصحة جيدة ولم يكن عندها ميل لمثل هذه الأشياء، كما أن خادماتها لم تتعرف على العلبة، ولا أي واحد من أصدقائها ومعارفها، فمن أين جاءت وسط أغراضها - بعد وفاتها - إذن؟ لكي ينشأ انطباع أنها أخذت الفيرونال فعلاً وأنها كانت تأخذه منذ وقت طويل، منذ ستة أشهر على الأقل! دعنا نفترض أنها التقت بالقاتل بعد ارتكابه الجريمة، ولو لبضع دقائق. ولعلهما تناولاً معاً شرباً ما، وهناك وضع في كأسها الفيرونال اللازم لضمان أنها لن تستيقظ من نومها صباح اليوم التالي.

قلت وأنا أرتجف: هذا رهيب!

قال بوارو بجدية: نعم؛ لم يكن الأمر شاعرياً أبداً.

سألته بعد وقت قصير: هل ستخبر جاب بكل هذا؟

- ليس الآن. ماذا عندي حتى أخبره به؟ سيقول جاب الرائع: "هذا وهم آخر... الفتاة كتبت على ورقة مفردة!"

نظرت إلى الأرض شاعراً بالذنب. وسكت بوارو، وكانت

الفصل الرابع والعشرون

خبر من باريس

في اليوم التالي جاءتنا زائرة غير متوقعة: جبر الدين مارش. شعرت بالأسى لحالتها وأنا أنظر إليها، وحياها بوارو وقدم لها كرسيًا.

بدت عيناها الواسعتان السوداوان أوسع وأكثر سواداً من قبل. وقد ظهرت حولهما هالة سوداء وكأنها لم تذق طعاماً للنوم منذ ليال. وبدا وجهها منهكاً خائفاً خوف طفل صغير! قالت: لقد جئت لزيارتك - يا سيد بوارو - لأنني لا أعرف كيف أتصرف؟ إنني في أشد حالات الضيق والازعاج.

قال بوارو متعاطفاً: ما الأمر يا آتة؟

- أخبرني رونالد بما قلته له ذلك اليوم... أقصد في ذلك اليوم الرهيب الذي اعتقل فيه.

وانتابتها رعدة، ثم أضافت: أخبرني أنك تقدمت نحوه فجأة

تعبيرات حالمة ما زالت مرتسمة على وجهه، ثم قال متأملاً: تخيل - يا هيسنغز - لو أن ذلك الرجل كان ذا أسلوب منهجي في التخطيط والتفكير، لكان قد قطع تلك الورقة بسكين مثلاً ولم يمزقها، وما كنا لنلاحظ أي شيء عند ذلك... أي شيء أبداً!

قلت مبتسماً: إذن نستنتج من ذلك أنه رجل غير مرتب وأنه كان يفتقر إلى الحذر.

- لا، لا. ربما كان مستعجلاً. لاحظ أنها كانت ممزقة بطريقة مهملة للغاية. آه! لا شك أنه كان يسابق الزمن.

سكت ثم قال: أرجو أن تلاحظ شيئاً واحداً، هذا الرجل لا بد أن يملك دليلاً قوياً على وجوده في مكان غير مكان الجريمة تلك الليلة.

- لا أفهم كيف يمكن أن يملك مثل هذا الدليل إن كان قد أمضى أولاً وقتاً في ريجنت غيت، حيث ارتكب جريمة القتل، ثم أمضى بقية الوقت في تلك الليلة مع كارلوتا آدمز.

قال بوارو: بالضبط، هذا ما أقصده. إنه بحاجة ماسة لدليل يثبت مكان وجوده في تلك الليلة، وما من شك في أنه قد أعدّه واحداً. نقطة أخرى: هل يبدأ اسمه - حقاً - بحرف د؟ أم أن «د» بداية للقب كانت كارلوتا تعرفه به؟

سكت ثم قال بهدوء: يجب أن نعر على رجل يبدأ اسمه الأول أو لقبه بالحرف «د» يا هيسنغز. نعم، يجب أن نعر عليه.

عندما قال إنه يعتقد بعدم وجود أي واحد يصدق، وأنت قلت له:
"أنا أصدقك". هل هذا صحيح يا سيد بوارو؟

- نعم؛ صحيح يا آنسة، هذا ما قلته له.

- أعرف، لكنني قصدت: هل صحيح ما عنيت بكلامك هذا؟
أقصد: هل صدقت أقواله؟

بدت قلقة جداً وهي تميل بجسدها إلى الأمام ويدأها متشابكتان
بقوة. وقال بوارو يهدو: كان كلامي صادقاً يا آنسة. لا أعتقد أن ابن
عمك قتل اللورد إدجويز.

احمرّ وجهها واتسعت حدقتها وهي تقول: آه! إذن لا بد أنك
تعتقد أن شخصاً آخر فعلها!

ابتسم وقال: بالطبع يا آنسة.

- إنني غبية وأقول أشياء غير مناسبة، ما أعنيه هو... هل تظن
أنت تعرف من هو ذلك الشخص؟

مالت إلى الأمام متلهفة فقال: من الطبيعي أن تكون لدي أفكار
صغيرة أو ما نسميه شكوكاً.

- أئن تخبرني؟ أرجوك... أرجوك.

هز بوارو رأسه قائلاً: ليس من العدل أن أخبرك يا آنسة.

- إذن فلديك شك واضح بشخص معين؟

هز بوارو رأسه على نحو غامض، فتوسلت الفتاة: لو عرفت

شيئاً قليلاً لصار الأمر أسهل بالنسبة لي وقد أستطيع مساعدتك،
نعم، قد أستطيع مساعدتك.

كان توسلها لطيفاً لكن بوارو استمر في هز رأسه رافضاً.

قالت الفتاة متأملة: "دوقة ميرتون ما زالت مقتنعة بأن القاتل هو
زوجة أبي". ولاحث منها التفاتة متسائلة إلى بوارو، ولكن أي رد فعل
لم يظهر عليه، فأضافت قائلة: لكني لا أعرف كيف يمكن ذلك؟

- ما رأيك فيها؟ أقصد زوجة أبيك؟

- أنا لا أكاد أعرفها. كنت في مدرسة في باريس عندما تزوجها
أبي، وعندما جئت إلى البيت كانت لطيفة... أقصد أنها لم تكن تلحظ
وجودي هناك. ولكنني كنت أرى أنها غبية وجشعة.

أوماً بوارو برأسه وقال: لقد تكلمت عن دوقة ميرتون، فهل
كنت تربتها كثيراً؟

- نعم، وقد كانت لطيفة جداً معي. لقد عاشتها كثيراً خلال
الأسبوعين الأخيرين، فقد كانت ظروفي صعبة للغاية بسبب
الأحاديث والصحافيين ووجود روثالد في السجن.

ارتعشت، ثم قالت: أشعر أنه لا يوجد لي أصدقاء حقيقيون.
لكن الدوقة كانت رائعة، وكان رائعاً هو الآخر... أعني ابنها.

- هل يعجبك؟

- إنه خجل، وهو كذلك فظ صعب التفاهم، لكن أمه تتحدث
عنه كثيراً ولذلك أشعر أنني أعرفه بعض الشيء.

- فهمت. أخبريني يا آنسة، هل تحبين ابن عمك كثيراً؟

- رونا لد؟ بالطبع، إنه... لم أره كثيراً في السنتين الأخيرتين، لكنه كان يعيش في البيت قبل ذلك، وكنت... كنت أعتقد أنه شخص رائع. كان يمزح دائماً ويفكر بعمل أشياء جنونية. آه، لقد كان يضيي على بيتنا الكتيب جواً من المرح.

أوماً بوارو برأسه متعاطفاً، لكنه أكمل كلامه بعبارة قاسية صدمتني: إذن فأنت لا تريدين رؤيته مشوقاً؟

ارتجفت الفتاة رجفة عنيفة: لا، لا، ليس ذلك. آه! كنت أتمنى أن تكون هي... زوجة أبي. لا بد أنها هي؛ الدوقة تقول هذا.

قال بوارو: لو أن الكابتن مارش بقي في سيارة الأجرة!

طرفت عيناها وقالت باستغراب: نعم... ما الذي تقصده؟

- لو لم يتبع ذلك الرجل إلى داخل البيت. على فكرة، هل سمعت صوتاً يدل على دخول أي واحد البيت؟

- لا، لم أسمع أي شيء.

- ماذا فعلت عندما دخلت البيت؟

- صعدت إلى الطابق العلوي بسرعة لأحضر العقد كما

تعرف.

- ولكن يبدو أن ذلك استغرق منك وقتاً طويلاً؟

- نعم؛ فلم أعثر على مفنح حقيبة جواهري بسرعة.

- هذا يحدث كثيراً؛ كلما كان المرء في عجلة من أمره كانت سرعته أقل. لم تنزلي من غرفتك إلا بعد وقت طويل، ثم وجدت ابن عمك في الصالة، أليس كذلك؟

- بلى، كان قادماً من المكتبة.

- فهمت، وكان ذلك صدمة بالنسبة لك؟

- نعم، كان كذلك. لقد أجفني.

- تماماً، تماماً.

- لقد قال روني فقط: مرحباً ديناً، هل أحضرته؟ قالها من ورائي، مما جعلني أتب من الذعر. وقد كان دائماً يناديني تلعفاً بهذا الاسم «ديناً».

قال بوارو بهدوء: نعم. كما قلتُ من قبل؛ فإنه أمر مؤسف ألا يكون قد انتظرلك في الخارج، لأن سائق سيارة الأجرة كان سيشهد على أنه لم يدخل البيت أبداً.

أومأت موافقة، وبدأت دموعها تنهمر بغزارة، ثم نهضت ووافقة فأمسك بوارو بيدها قائلاً: تريدين أن أنقذه من أجلك، أهذا صحيح؟

- نعم، نعم، أرجوك. نعم، أنت لا تعرف...

سكنت وهي تحاول جاهدة ضبط نفسها مطيقة يديها واحدة على الأخرى، فقال بوارو بلطف: لم تكن حياتك سهلة يا آنسة... أنا أقدر هذا. هيستغز، هلا أحضرت سيارة أجرة للآنسة؟

وأخيراً وضع بوارو السماعة. فسألته وقد نفذ صبري:
حسناً؟

- أرجو أن يكون الأمر حسناً. لقد اشتريت تلك اللعبة النذبية
من باريس يا هيسنغز، وهي قد طُليت بالبريد وجاءت من محل
مشهور في باريس متخصص في مثل هذه الأشياء. يُفترض أن
الذي أرسل الرسالة سيده تدعى الليدي أكرلي، فقد وقعت باسم
«المخلصة أكرلي»، ولكن من الطبيعي الافتراض أنه لا توجد واحدة
بهذا الاسم. لقد استلم المحل الطلب برسالة وصلت بالبريد قبل
يومين من وقوع الجريمة، وكانت تطلب كتابة الحروف الأولى تلك
باليافوت، وأن يكون النقش من الداخل، وكان طلباً مستعجلاً لأن
الرسالة أصرت على أن يكون الاستلام في اليوم التالي، أي اليوم
الذي سبق الجريمة.

- وهل ذهب أحد لاستلامها؟

- نعم، ذهب شخص ودفع ثمنها نقداً واستلمها.

سألته متفعلاً: ومن الذي ذهب لاستلامها؟

أحسست بأننا كنا نقرب من الحقيقة، وأجابني قائلاً: امرأة
ذهبت لاستلامها يا صديقي.

قلت مدهوشاً: امرأة؟

- أجل: امرأة... قصيرة، ومتوسطة العمر، وتلبس نظارة!

نظر كل منا إلى الآخر متحيراً.

نزلت مع الفتاة ورافقتهما حتى ركبت سيارة الأجرة، وكانت
قد تماكنت نفسها وشكرتني كثيراً. ثم رجعت فوجدت بوارو يذرع
الغرفة جيتةً وذهاباً مستغرقاً في التفكير. ثم رن جرس الهاتف فسررت
لأنه قد قطع عليه تفكيره.

- من المتكلم؟ أه، إنه جاب. صباح الخير يا صديقي.

سألته وأنا أقرب من الهاتف: ماذا يقول؟

ولكنه كان يصغي بانتباه ويصدر صيحات دهشة بن حين وآخر،
وأخيراً تكلم قائلاً: نعم، ومن زاره؟ هل يعرف؟

أيًا كانت الإجابة فإنها لم تكن ما توقعه؛ فقد انقلب وجهه
انقلاباً غريباً وهو يسأل: هل أنت متأكد؟

بعد ذلك لم أسمع سوى تعليقات بوارو المتقطعة: لا، إنه
مزعج قليلاً؟ هذا كل ما في الأمر... نعم، يجب أن أعيد ترتيب
أفكاري... حقاً؟... ومع ذلك كنت مصيباً في هذا الأمر. نعم، معلومة
صغيرة كما تقول... كلا، ولا زلت أصرّ على نفس الرأي. أرجوك
أن تواصل التحقيق والاستعلام عن المطاعم في المنطقة القريبة من
ريجنز غيت ومن محطة يوستون، وشارع توتنهام كورت وربما
شارع أكسفورد أيضاً... نعم، امرأة مع رجل. وأيضاً في المنطقة
القريبة من ستراند، قبل منتصف الليل بقليل. كيف ذلك؟... نعم،
أعرف أن الكابتن مارش كان مع عائلة دورثيمر. ولكن يوجد أناس
آخرون في العالم غير الكابتن مارش... ليس جميلاً أن تصفني
بالعناد، أرجوك أن تخدمني في هذه المسألة...

رأيت دونالد روس الشاب في حفل الغداء، وقد جاء إليّ وحياني بحرارة وجلس بجانبني على الطاولة. وكانت جين ويلكنسون تجلس مقابلتنا تقريباً، وإلى جانبها جلس دوق ميرتون الشاب متوسطاً بينها وبين السيدة ويديرن.

وقد بدا لي (وربما كان ذلك مجرد خيال من ناحيتي بالطبع) أنه كان يبدو منزعجاً. لم ينسجم مع الجماعة التي وجد نفسه وسطها، فقد كانت شاباً متحفلاً كأنه قادم من العصور الوسطى، وكان افتتنانه بجين ويلكنسون العصرية جداً إحدى المفارقات العجيبة!

ومضى الحديث في موضوعات شتى، ثم تحدث شخص (لم أعد أذكر من هو الآن) عن أذواق باريس فارتفع -فوراً- صوت جين ويلكنسون المرح وهي تقول بطريقة بدت خرقاء إلى حد ما: باريس؟ ليس لها أي تأثير هذه الأيام. لندن ونيويورك هما المعتبرتان الآن.

وكما يحدث أحياناً، أدت هذه الكلمات إلى الخوض في حديث ممل لبعض الوقت، وسمعتُ دونالد روس على يميني يسحب أنفاسه بحدة، ثم بدأت السيدة ويديرن تتحدث عن أوبرا روسية بحماسة. كل واحد قال شيئاً لواحد آخر باستعجال. جين وحدها التي رفعت بصرها إلى أعلى بهدوء ثم أنزلته إلى الطاولة دون أن تدرك أنها ثارت بكلمات غير لائقة.

في تلك اللحظة لاحظت الدوق. كان يزم شففيه وقد احمرت وجنتاه، وبدا لي وكأنه ابتعد عن جين قليلاً. لا بد أنه سيدرك أن رجلاً سيتزوج جين ويلكنسون قد يواجه بعض الأحداث الخرقاء المؤسفة.

الفصل الخامس والعشرون

حفل غداء

ذهبنا في اليوم التالي إلى حفل غداء أقامته عائلة ويديرن في كلاريدج. لم يكن أي منا مهتماً بحضور ذلك الحفل، ولكن السيدة ويديرن وجهت لنا الدعوة لحضوره ست مرات. كانت امرأة لحوحة مغرمة بالأشخاص المشهورين، ولم تستجب لرفضنا المتكرر، بل عرضت علينا -في النهاية- عدة مواعيد يتعذر معها الاستمرار بالرفض، وبناء على ذلك لم يكن لدينا خيار آخر غير الاستجابة للدعوة.

كان يوارو ما يزال متحفلاً منذ سماعه تلك التفاصيل بخصوص علية الجواهر التي اشترت من باريس، وكلما علقتُ على الموضوع كان يكرر الإجابة ذاتها تقريباً قائلاً: "في هذه المسألة شيء لا أفهمه". وكان يهمس لنفسه أحياناً مردداً: "نظارة... نظارة في باريس... نظارة في حقبة كارلوتا آدمز..."، ولذلك أعترف أنني أحسست ببعض الرضا لأن حفل الغداء كان وسيلة لصرف انتباهه إلى شيء آخر.

وقد بدا شاحباً متوتراً وكنت أرى نظرة غريبة غير واضحة في عينيه.
سألته: هل أردت رؤيته لأمر خاص؟

أجاب ببطء: إنني... لا أعرف.

كانت إجابة غريبة مما جعلني أحدق إليه ذهشاً، فقال وقد احمر وجهه: أعرف أن هذا يبدو غريباً. الحقيقة هي أن شيئاً غريباً قد حدث، شيئاً لا أستطيع فهمه. أحب... أحب أخذ نصيحة السيد بوارو في الأمر لأنني لا أعرف ماذا أفعل. لا أريد إزعاجه، ولكن...

بدا مرتبكاً جداً وحزيناً فأسرعت إلى طمأنته قائلاً: لقد ذهب بوارو إلى موعد، لكنني أعرف أنه يعزم العودة في الساعة الخامسة، لِمَ لا تتصل به تلقوياً في تلك الساعة أو تأتي لتراه؟

- أشكرك، سأفعل... الساعة الخامسة.

قلت: من الأفضل أن تتصل أولاً لتأكد من وجوده قبل حضورك.

- حسناً، سأفعل. شكراً يا هينغز، فالأمر مهم جداً كما أظن.

أومأت له والثفت ثانية حيث كانت السيدة ويدبيرن توزع الكلمات المعسولة بمسافح الزوار مودعة. قمت بأداء واجبي، وكنت على وشك الرحيل عندما أمسكت يد بذرعي، وسمعت صوتاً مرحباً يقول: لا ته فاه ني.

كانت جيني دزيفر. وقد بدت أنيقة لأبعد حد. قلت: مرحباً، من أين قفزت؟

بعد قليل لاحظت وجود بريان مارتين في الحفل، ولا بد أنه قد وصل متأخراً لأنني لم أراه من قبل. كان يجلس على نفس الجانب الذي أجلس فيه على الطاولة ولكن بعيداً عني بعض الشيء، وكان يميل بجسمه فوق الطاولة ويتبادل الحديث بحماسة مع الضيف الجالس إلى جواره. لقد مضى وقت طويل لم أراه فيه عن قرب، وقد لاحظت -على الفور- وجود تحسن كبير في مظهره؛ فقد اختفت ملامح الإنهاك التي كانت واضحة عليه، وبدا أصغر عمراً وأكثر قوة، وقد بدت معنوياته مرتفعة.

لم يكن عندي الوقت الكافي لكي أراقبه أكثر من ذلك، ففي تلك اللحظة استأذنتني جارتني البدينة الجالسة إلى جوارني لكي أصغي إلى حديث طويل منها عن جمال حفلات الأطفال التي كانت تنظمها لصالح الأعمال الخيرية.

وكان على بوارو أن يغادر مبكراً حيث كان ملتزماً بموعد، فقد كان يحقق في حادث الاختفاء الغريب لخدام أحد السقراء وكان مرتبطاً بموعد لأجل ذلك في الساعة الثانية والنصف، وقد كلفني بشكر السيدة ويدبيرن نيابة عنه. وبينما كنت أنتحين الفرصة المناسبة لذلك (حيث لم يكن الأمر سهلاً لأنها كانت في تلك اللحظة محاطة بأصدقائها الذين كانوا يودعونها مغادرين) إذا بواحد يرت على كتفي. كان ذلك هو الشاب روس، وقال متسائلاً: أليس السيد بوارو موجوداً هنا؟ كنت أريد التحدث معه.

أوضحت له أن بوارو قد غادر لثوه فبدت عليه خيبة الأمل. وعندما نظرت إليه عن قرب أكثر رأيت على وجهه علامات الانزعاج،

- كنت أتناول غدائي على الطاولة المجاورة لطاولتك.

- لم أرك. كيف عملك؟

- في ازدهار، أشكرك.

- هل بيع أطباق الشربة جيد؟

- بيع أطباق الشربة - كما تسميها بوقاحة - يسير جيداً، ولو أن الناس شعروا بالملل من قبعاتي فسوف يكون الوضع سيئاً بالنسبة لي.

ثم ضحكت وابتعدت وهي تقول: وداعاً. سأخذ راحة من العمل هذا المساء وأذهب في رحلة إلى الريف.

قلت مستحسنًا: فكرة جميلة؛ فالجو خائق في لندن اليوم.

أما أنا فقد قضيت الوقت أتمشى في الحديقة، ثم وصلت البيت في الرابعة تقريباً، ولم يكن بوارو قد عاد بعد. وعندما رجع في الساعة الخامسة إلا ثلثاً كان يتحرك بنشاط وبهجة.

قلت: أرى يا شيرلوك هولمز وكأنك كشفت مكان خادم السفير.

- كانت قضية تهريب كوكايين. يا له من عمل بارع! وقد كنت خلال الساعة الأخيرة في صالون لتجميل السيدات، وكانت هناك فتاة حمراء الشعر لو رأيتهما لأسرت فؤادك الحساس على الفور.

كان بوارو يعتقد دائماً أنني سريع التأثر بالشعر الأحمر، ولم

أكلف نفسي عناء مجادلته في هذا الأمر. بعد ذلك رن جرس الهاتف، وقلت وأنا أتجه للرد عليه: ربما كان هذا دونالد روس.

- دونالد روس؟

- نعم، الشاب الصغير الذي التقيناه في تشيسويك. إنه يريد أن يراك في أمر معين.

رفعت السماعة قائلاً: مرحباً، معك الكابتن هيستنغر.

كان روس هو المتكلم، وسمعته يقول: أهذا أنت يا هيستنغر؟ هل جاء السيد بوارو؟

- نعم؛ إنه هنا الآن. هل تود الحديث معه أم أنك ستأتي بنفسك؟

- ليس عندي الكثير؛ يمكنني أن أخبره عن الأمر بالهاتف.

- حسناً، انتظر.

جاء بوارو وأخذ السماعة، وكنت قريباً منه بحيث كنت أسمع صوت روس ضعيفاً، وسمعت صوته المتلهف: هل هذا السيد بوارو؟

- نعم، أنا هو.

- لا أريد أن أزعجك، ولكن يوجد شيء يبدو لي غريباً بعض الشيء وهو يتعلق بمقتل اللورد إدجووير.

رأيت التوتر على وجه بوارو وهو يقول: نعم، نعم، أكمل...

- قد يبدو هذا لك هراء...

- لا، لا. أخبرني.

- كلمة «باريس» هي التي جعلتني أفكر على هذا النحو...

وفي تلك اللحظة سمعتُ من خلال السماعة صوت جرس خافت، وقال روس: لحظة من فضلك، لقد رن جرس الباب.

سمعت صوت السماعة توضع على الهاتف. وانتظرنا، وكان بوارو يحمل السماعة وأنا واقف إلى جانبه.

مرت دقيقتان... ثلاث دقائق... أربع دقائق... خمس دقائق.

حرك بوارو قدميه خائفاً، ورفع بصره إلى ساعة الحائط، ثم ضغط على زر الهاتف وتكلم مع البدلة. التفت إلي قائلاً: لا زالت السماعة على الطرف الآخر معلقة ولكن أحداً لا يرد... لا يستطيعون الحصول على إجابة. أسرع يا هيستغز، ابحث عن عنوان روس في دليل الهاتف. يجب أن نذهب إلى هناك على الفور.

الفصل السادس والعشرون

باريس؟

بعد دقائق قليلة كنا نقفز في سيارة أجرة، وكان بوارو متجههم الوجه. قال: إنني خائف يا هيستغز... إنني خائف.

قلت: هل تعني...

- إننا نواجه شخصاً ارتكب جريمتين من قبل، ولن يتردد في الضرب مرة أخرى. إنه يدور ويتقلب كالجرذ بصارع من أجل البقاء. إن روس في خطر!

قلت مرتاباً: هل كان الذي سيقوله بهذه الأهمية؟ إنه لم يكن يعتقد ذلك.

- إذن فقد كان مخطئاً. لا شك أن ما كان يريد. قوله لنا في غاية الأهمية.

- ولكن كيف نستطيع أن نعرف؟

- قلت إنه تكلم معك، هناك في كلارينج، وكان هناك

أشخاص حولكما؟ جنون! جنون تام! أه، لِمَ لَمْ تحضره معك إلى هنا... تحرسه... إلى أن أسمع ما يريد قوله؟

قلت متلعثماً: لم أفكر بذلك أبداً. لم...

أشار بوارو بيده إشارة سريعة: لا تَلُم نفسك. كيف كان لك أن تعرف؟ أنا كنت سأعرف. إن القاتل - يا هيستغز - مكر كالنمر وعديم الشفقة... أه! أَلن نصل أبداً؟

وصلنا إلى هناك في النهاية. كان روس يعيش في بيت صغير في ساحة كبيرة في كنتنغتون، وكانت بطاقة مَلصقة بجانب جرس الباب تدل على اسم صاحب البيت، وكان باب الصالة مفتوحاً وفي الداخل درج كبير. قال بوارو وهو يصعد الدرج مسرعاً: الدخول سهل جداً؛ لا أحد موجود.

وجدنا على باب الشقة في الطابق الأول بطاقة باسم دونالد روس. توقفنا هناك، وكان كل شيء حولنا صامتاً تماماً. ودقعت الباب، ولشدة دهشتي فُتح على الفور!

دخلنا، ووجدنا أماناً باباً مفتوحاً يقود إلى غرفة الجلوس، وكانت غرفة متواضعة الأثاث، وعلى طاولة صغيرة رأينا الهاتف وقد وضعت السماعة بجانبه، ولم يكن روس هناك. تقدم بوارو خطوة سريعة إلى الأمام ونظر حوله ثم هز رأسه: ليس هنا، هيا يا هيستغز.

تراجعتا إلى الوراء وعبرنا الباب الآخر إلى الصالة. كانت الغرفة غرفة طعام ضيقة، وكان روس منكباً على الطاولة وهو جالس على

أحد الكراسي. انحنى بوارو عليه، ثم انتصب واقفاً وقد شحِب وجهه وقال: إنه ميت؛ لقد طُعِن في أسفل الجمجمة!

بقيت أحداث ذلك المساء في ذهني كالكابوس لفترة طويلة، ولم أستطع أن أتخلص من الشعور بالمسؤولية عن هذا الحادث.

في تلك الليلة، بعد الحادث بساعات، كنت جالساً وحدي مع بوارو فحدثته بما يجول في نفسي من تأنيب للضمير، وكان رده سريعاً: لا، لا، لا تلم نفسك. كيف كنت ستشك في الأمر؟ إن الله لم يمنحك طبيعة الشك.

- هل كنت أنت سترتاب؟

- هذا أمر مختلف. إنني أتعقب المجرمين طوال حياتي وأعرف كيف يصيح الدافع إلى القتل أقوى في كل مرة إلى أن يصيح سهلاً لأبسط سبب.

منذ أن كشفنا ذلك الحادث الرهيب، وطوال وجود الشرطة الذين كانوا يستجوبون الناس الآخرين في البيت ويحصلون على عشرات المعلومات التقليدية المتعلقة بالجريمة، بقي بوارو هادئاً، هادئاً جداً... ومغرقاً في التأمل.

قال بهدوء: لا وقت لدينا لنضعه في الأسف يا هيستغز، لا وقت لدينا لنقول: «لو...» كان لدى ذلك الشاب المسكين الميت شيء يريد قوله لنا، وقد عرفنا الآن أن ذلك الشيء لا بد أن يكون عظيم الأهمية، وإلا لما كان قُتل. وحيث أنه لا يستطيع إخبارنا فيجب

أن نخمن. يجب علينا أن نخمن مع وجود مفتاح واحد صغير فقط
نسترشد به.

قلت: باريس؟

قال: نعم، باريس.

نهض وبدأ يمشي في الغرفة جيتة وذهاباً، ثم قال: لقد ذكرت
كلمة «باريس» مرات عدة في هذه القضية، ولكن لا توجد أية رابطة
بينها لسوء الحظ. كلمة باريس محفورة على العلبة الذهبية: «باريس
في تشرين الثاني الماضي». إذن فقد كانت الأنسة آدمز هناك، وربما
كان روس هناك أيضاً. هل كان هناك شخص آخر يعرف روس؟ من
هو الذي يمكن أن يكون قد رآه مع الأنسة آدمز في ظروف غريبة؟

قلت: لا نستطيع أن نعرف ذلك أبداً.

- بل يمكننا أن نعرف... سوف نعرف! إن قدرة العقل الإنساني
غير محدودة تقريباً يا هينغز. ما علاقة باريس بالقضية؟ ومن هي
المرأة القصيرة التي تضع النظارة الأنفية والتي جاءت لاستلام العلبة
الذهبية من محل الجواهر هناك. هل كان روس يعرفها؟ كان دوق
ميرتون في باريس عندما ارتكبت الجريمة. باريس، باريس، باريس.
كان اللورد إدجووير ذاهباً إلى باريس... آه! ربما لدينا شيء هناك. هل
قتل حتى يُمنع من الذهاب إلى باريس؟

جلس ثانية وقطب حاجبيه، وكنت أشعر بتركيزه الشديد في
التفكير.

همس قاتلاً: ما الذي حدث في حفل الغداء؟ لا بد أن دونالد
روس قد سمع كلمة أو عبارة عرضية تشير إلى شيء كان يعرفه من
قبل دون أن يكون له دلالة معينة. هل ذكر اسم باريس في الحفلة؟
أعني على الطاولة التي كنت تجلس عليها؟

قلت: "لقد ذكر اسم باريس فعلاً". وحدثته عما جرى وعن
تعليق جين ويلكسون الذي بدا مستهجنًا ودلَّ على سطحية تفكيرها
عندما أوحى لها باريس بالموضوعة أو الأزياء فحسب.

قال متأملاً: ربما يوضح هذا الأمر. كانت كلمة «باريس»
كافية لو تم ربطها مع شيء آخر، ولكن ما هو ذلك الشيء الآخر؟
ما الذي كان روس ينظر إليه؟ أو عن أي شيء كان يتحدث عندما
قيلت تلك الكلمة؟

- كان يتكلم عن الخرافات الإسكتلندية.

- وأين كان ينظر؟

- لست متأكد. أظن أنه كان يرفع بصره باتجاه رأس الطاولة
حيث كانت السيدة ويدبيرن تجلس.

- من كان يجلس بجانبها؟

- دوق ميرتون، ثم جين ويلكسون، ثم شخص لم أكن
أعرفه.

- السيد اندوق؟ ربما كان ينظر إلى السيد الدوق عندما قيلت
كلمة باريس. تذكر بأن اندوق كان موجوداً في باريس أو كان يُفترض

- الجميع تقريباً كانوا يودعون السيدة ويدبرن، ولم ألحظ أحداً على وجه الخصوص.

نهض بوارو ثانية، وهمس عندما بدأ يذرع المكان مشياً مرة أخرى: هل كنت مخطئاً من البداية؟ هل كنت مخطئاً طوال الوقت؟

نظرت إليه متعاطفاً ولم أعرف الأفكار التي كانت تجول في خاطره بالضبط. لقد وصفه جاب بأنه متوقع على نفسه كالمحاربة، وكان ذلك وصفاً دقيقاً وصادقاً تماماً، وأدركت أنه كان في صراع مع نفسه في تلك اللحظة. قلت: على أية حال لا يمكن تسجيل هذه الجريمة على رونالد مارش.

قال صديقي بذهن شارد: إنها نقطة في صالحه، لكن هذا لا يعطينا في الوقت الحالي.

جلس فجأة كما كان من قبل وقال: لا يمكن أن أكون مخطئاً تماماً. هل تتذكر - يا هيستغز - أنني طرحت على نفسي خمسة أسئلة.

- يبدو أنني أتذكر شيئاً كهذا.

- كانت على الوجه التالي: لماذا غير الملوود إدجوير رأيه في موضوع الطلاق؟ ما هو تفسير الرسالة التي قال إنه كتبها لزوجته والتي قالت إنها لم تتلقها أبداً؟ لماذا كانت ملامح الاحتياج بادية على وجهه عندما غادرنا بيته ذلك اليوم؟ لماذا كانت النظارة في

أن يكون في باريس وقت الجريمة. افترض أن روس تذكر فجأة شيئاً دلت على أن ميرتون لم يكن في باريس.

- يا عزيزي بوارو!

- نعم، أنت تعبير أن هذه الفكرة سخيفة، والكل يرونها كذلك. هل كان لدى السيد الدوق دافع لارتكاب الجريمة؟ نعم، دافع قوي جداً. لنفترض أنه ارتكبها! إنه غني جداً وصاحب مركز مرموق ورجل ذو شخصية نبيلة ومعروفة. لا أحد سيدقق في مكان وجوده ساعة الجريمة، كما أن تلفيق دليل وجوده في فندق كبير ليس أمراً بالغ الصعوبة. أخبرني يا هيستغز: ألم يقل روس شيئاً عندما ذكر اسم باريس؟ ألم يظهر عليه أي انفعال؟

- أذكر أنه سحب نفساً عميقاً.

- وماذا عن سلوكه عندما تحدثت معك بعدها؟ هل كان مرتبكاً؟ مشوشاً؟
- نعم، كان مرتبكاً بالتأكيد.

أجاب بوارو متأملاً: لقد خطرت له فكرة اعتقد أنها منافية للعقل... سخيفة... وتردد في البوح بها. كان يريد أن يتحدث إليّ أولاً، ولكن للأسف! عندما قرر ذلك كنت قد غادرت المكان.

قلت متأسفاً: نعم، ليته قال لي شيئاً آخر ولو قليلاً!

- نعم؛ ليته... من كان يقف قريباً منك في ذلك الوقت؟

حقيبة يد كارلوتا آدمز؟ لماذا اتصل شخص باليدي إدجووير هانفيا
في تشيسويك ووضع الساعة على الفور؟

قلت: نعم، تلك هي الأسئلة؛ أتذكرها الآن.

قال بوارو: كانت في ذهني فكرة صغيرة معينة منذ البداية
يا هيستغز. فكرة عن هوية الرجل، الرجل الذي يقف وراء هذا
العمل. لقد أجبت عن ثلاثة من هذه الأسئلة، وكانت الإجابة تتوافق
مع فكري الصغيرة، ولكن بقي سؤالان لا أستطيع الإجابة عنهما.
أعرف ما يعنيه هذا؟ إما أنني مخطئ في هذا الشخص، وبالتالي
لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أشك فيه، أو أن الإجابة عن
السؤالين اللذين لا أستطيع الإجابة عنهما موجودة هناك منذ البداية.
أيهما يا هيستغز؟ أيهما؟

نهض وذهب إلى مكتبه وفتح درجه ثم أخرج الرسالة التي
كانت قد وصلته من لوسي آدمز من أمريكا، وكان قد طلب من جاب
أن يتركها معه يوماً أو يومين ووافق جاب على ذلك. وضعها بوارو
على الطاولة أمامه واثكب عليها.

مرت الدقائق. وتناوبت وحملت كتاباً، ولم أعتقد أن بوارو
سيحصل على نتيجة كبيرة من دراسته تلك، فقد قرأنا الرسالة معاً
المرة تلو الأخرى. ومع أننا سلمنا -جداً- بأنها لم تكن تشير إلى
رونالد مارش إلا أنه لم يكن فيها ما يدل على أنها تشير إلى أي
شخص آخر.

قلبت صفحات كتابي، وربما غلبني النعاس... وفجأة صاح

بوارو صيحة مكبوتة فانتصبت في جلستي بخفة. كان ينظر إلي نظرات
غير معبرة وعباء الخضروان تلمعان؛ هيستغز، هيستغز...

- نعم، ما الأمر؟

- هل تتذكر عندما قلت لك إن القاتل لو كان مرتباً منهجي
الأسلوب لكان سيقطع هذه الصفحة ولن يمزقها؟

- نعم.

- لقد كنت مخطئاً؛ في هذا العمل تخطيط وترتيب... كان
يجب تمزيق الصفحة وليس قطعها! انظر بنفسك.

نظرت، فسألني قائلاً: حسناً، هل ترى؟

هزئت رأسي متسائلاً: أعني أنه كان في عجلة من أمره؟

- عجلة أو غيرها، نفس الشيء. ألا ترى يا صديقي؟ كان
يجب تمزيق الصفحة!

هزئت رأسي، وقال بوارو بصوت منخفض: كنت أحمق،
أعني. ولكن الآن... الآن... سوف نتجح!

فتح لنا باب البيت في ريجنت غيت خادم جديد ، وطلب بوارو رؤية الأنسة كارول. وبينما كنا نتبع الخادم على الدرج تساءلت للمرة الخمسين: أين يمكن أن يكون الخادم الوسيم السابق؟ فحتى تلك اللحظة فشلت الشرطة في العثور على أي أثر له. وارتعشت أوصالي فجأة وأنا أفكر في أنه ربما قُتل هو الآخر.

أنقذتني رؤية الأنسة كارول الرشيدة الأنيقة العاقلة من تأملاتي الغريبة هذه، وكان واضحاً أنها فوجئت كثيراً برؤيتنا.

قال بوارو باحترام: أنا مسرور لأنك ما زلت هنا يا آنسة؛ كنت أخشى أن تكوني قد غادرت المنزل.

قالت الأنسة كارول: لم تكن جيرالدين لتقبل أن أترك البيت. لقد توسلت إلي للبقاء هنا، والحقيقة أن الطفلة المسكينة تحتاج شخصاً يبقى معها في وقت كهذا. إذا كانت لا تحتاج لأي شيء آخر فإنها تحتاج لشخص يخفف عنها مصابها، ويمكنني أن أؤكد لك - يا سيد بوارو - أنني مواسية قديرة عند الضرورة.

- أنت تبدين لي دائماً نموذجاً للكفاءة يا آنسة، وأنا معجب كثيراً بكفاءتك النادرة. أما الأنسة مارش فإنها تفتقر إلى الكفاءة اللازمة.

قالت الأنسة كارول: إنها فتاة حاملة غير واقعية، وهي هكذا دائماً. إنها محظوظة لأنه لا يتوجب عليها كسب عيشها بجهدا.

- نعم، هذا صحيح.

الفصل السابع والعشرون النظارة

بعد دقيقة تغير مزاجه. فقد قفز واقفاً، وقفزت أنا الآخر واقفاً غير مدرك لما يجري تماماً، لكنه كان عملاً تلقائياً. قال: سنأخذ سيارة أجرة. الساعة الآن التاسعة فقط؛ الوقت ليس متأخراً كثيراً للقيام بزيارة.

أسرعت نازلاً الدرج ورائه وأنا أسأل: تزور من؟

- سنذهب إلى ريجنت غيت.

رأيت أن من الحكمة الحفاظ على هدوئي، ولاحظت أن بوارو لم يكن في مزاج يتقبل معه السؤال؛ فقد كان متفعلاً إلى حد ما، وعندما جلسنا في سيارة الأجرة جنباً إلى جنب كان يضرب بأصابعه على ركبتيه بعصبية مخالفاً طبيعته الهادئة المعهودة. قلبت تفكيري في كل كلمة قالتها كارولونا آدمز في رسالتها إلى أختها، فقد كنت أحفظها الآن عن ظهر قلب. كررت كلمات بوارو عن الصفحة الممزقة المرة تلو الأخرى، ولكن بلا فائدة، فبالنسبة لي لم تكن كلمات بوارو ذات معنى. لماذا كان يجب تمزيق صفحة؟ لا، لم أستطع فهم هذا.

- لكنني لا أظن أنك جئت إلى هنا للمحديث عن كون الناس واقعيين أم لا. ما الذي أستطيع عمله لك يا سيد بوارو؟

لا أعتقد أن بوارو كان يحب أن يطلب أحد منه الدخول في الموضوع بهذه الطريقة؛ فقد كان يحب الدخول المتنوي وغير المباشر، ومع ذلك لم يكن هذا الممسلك ممكناً مع الأنسة كارول.

طرفت عيناها وهي تنظر إليه بارتياح من وراء نظارتها، فقال: ثمة نقاط أريد معلومات محددة عنها، وأعرف إن بإمكانني الاعتماد على ذاكرتك يا آنسة كارول.

قالت الأنسة كارول متجهمة: لو لم تكن تستطيع الاعتماد علي لما كنت سكرتيرة مفيدة.

- هل كان اللورد إدجووير في باريس في تشرين الثاني الماضي؟

- نعم.

- هل يمكنك أن تحدد لي تاريخ زيارته لها؟

- يجب أن أبحث عن ذلك.

نهضت وفتحت أحد الأدراج وأخرجت منه دفترًا صغيراً وقلبت صفحاته، ثم قالت أخيراً: ذهب اللورد إدجووير إلى باريس في الثالث من تشرين الثاني وعاد في السابع منه، كما أنه ذهب إلى هناك أيضاً في العشرين من تشرين الثاني وعاد في الرابع من كانون الأول. هل تريد شيئاً آخر؟

- نعم. ما الغرض من ذهابه إلى هناك؟

- في المرة الأولى ذهب لرؤية بعض التحف التي كان يفكر بشرائها والتي كانت ستعرض في المتزاد العلني هناك، ولم يكن لديه غرض محدد في زيارته الثانية حسب علمي.

- هل رافقت الأنسة مارش أباهاً في أي من الزيارتين؟

- لم تكن ترافق أباهاً في أي زيارة أبداً يا سيد بوارو، ولم يكن اللورد إدجووير يفكر في مثل هذا الشيء على الإطلاق. كانت تعيش في ذلك الوقت في إحدى المدارس الخاصة في باريس، لكنني لا أظن أن والدها ذهب لرؤيتها، بل كنت سأستغرب كثيراً لو فعل ذلك.

- ألم تصحبيه أنت؟

- لم أفعل.

نظرت إليه بفضول ثم قالت فجأة: لماذا تسألني هذه الأسئلة يا سيد بوارو؟ ما الغرض منها؟

لم يجيبها بوارو عن هذا السؤال، وبدلاً من ذلك قال: الأنسة مارش تحب ابن عمها كثيراً، أليس كذلك؟

- الحق يا سيد بوارو أنني لا أفهم ما علاقتك بهذا الأمر.

- لقد جاءت لرؤيتي أمس. هل عرفت بهذا؟

- لا، لم أعرف.

بدت عليها الدهشة وسألت: وما الذي قالته؟

- قالت لي إنها تحب ابن عمها كثيراً، رغم أنني لم أنقل كلماتها الحرفية بالضبط الآن.

- حسناً، إذن لماذا تسألني؟

- لأنني أريد رأيك.

قررت الأنسة كارول أن تجيب عن سؤاله هذه المرة: نعم، أعتقد أنها تحبه كثيراً. لقد أحبه دائماً.

- ألا تحبين اللورد إدجووير الجديد؟

- لا أقول هذا. إنني غير مفيدة له وهذا كل ما في الأمر؛ فهو إنسان غير جاد. لا أنكر أنه دمث ومرح ويستطيع أن يفتنك بوجهة نظره، لكنني كنت أفضل رؤية جيرالدين مهتمة بشخص أكثر نضجاً وجدية.

- مثل دوق ميرتون؟

- أنا لا أعرف الدوق، ولكن الظاهر أنه أهل للمركز الاجتماعي الذي يعيشه، باستثناء ركضه خلف تلك المرأة... جين وبلكنسون!

- إن أمه...

- أعتقد أن أمه كانت تفضل أن يتزوج جيرالدين، ولكن ماذا تستطيع الأمهات أن يفعلن؟ فالأولاد لا يقبلون أبداً الزواج بالفتيات اللاتي ترشحن الأمهات هذه الأيام.

- هل تعتقدين أن ابن عم الأنسة مارش يهتم بها؟

- وما الفرق إن كان يهتم أو لا يهتم وهو في مثل هذه الحالة؟

- إذن، أنت تعتقدين أنه سوف يُدان؟

- لا، لا أعتقد أنه القاتل.

- لكنه مع ذلك قد يُدان؟

لم تردّ الأنسة كارول على سؤاله، فنهض بوارو قائلاً: لا أريد أن أؤخرك. على فكرة، هل كنت تعرفين كارلوتا آدمز؟

- رأيتها وهي تمثل، وقد كانت بارعة جداً.

قال: "نعم، كانت بارعة". وما لبث أن أضاف وقد بدا عليه الاستغراق في التفكير: آه! لقد خلعت قفازاتي.

وعندما تقدم لكي يأخذها عن الطاولة التي كان قد وضعها عليها أمسك طرف كتمه بسلسلة نظارة الأنسة كارول وسحبها معه، ولكنه أعادها مكانها مقدماً اعتذاره الشديد كما رفع القفازات التي أسقطها عن الأرض، وأنهى ذلك قائلاً: أريد أن أعذر لك مرة أخرى عن إزعاجي، لكنني كنت أنصور إمكانية وجود مفتاح للغز النزاع الذي دار بين اللورد إدجووير مع أحد الأشخاص في السنة الماضية، ولهذا السبب كانت أسئلتني عن باريس. أخشى أنها مهمة يائسة، لكن الأنسة كانت تبدو واثقة تماماً من أن القاتل لم يكن ابن عمها...

- هذا ما تؤكد هـى .

- إنك عجزت شكك .

- أبدأ . ربما كانت تقول الحقيقة ، بل أعتقد أنها كانت صادقة فعلاً ، وإلا فإني أشك أنها كانت ستلاحظ استبدال النظارة . لقد فعلت ذلك بطريقة بارعة يا صديقى .

كنا نتمشى فى الشوارع دون وجهة محددة ، واقتربت على يوارو أن نأخذ سيارة أجرة لكنه هز رأسه بالنفى قائلاً : أحتاج إلى التفكير يا صديقى ، والمشى يساعدنى على ذلك .

ثم أقل شيئاً . كان الليل يقترب ولم أكن مستعجلاً للعودة إلى البيت . وسألته بفضول : هل كانت أسئلتك عن باريس لمجرد التمشية ؟

- ليس تماماً .

قلت متأملاً : نحن لم نحل لغز الحرف «د» حتى الآن . الغريب أنه لا يوجد أحد له علاقة بالقضية يبدأ اسمه بهذا الحرف ، سواء اسمه الأول أو اسم العائلة ، ما عدا... آه ! نعم ، هذا غريب... ما عدا دونالد روس نفسه ، وهو ميت .

قال يوارو بصوت هادئ : نعم ، إنه ميت .

تذكرت تلك الأمسية عندما كنا ثلاثتنا نسير فى الليل ، وتذكرت شيئاً آخر أيضاً وسحبت نفساً عميقاً ، قلت : يوارو ، هل تتذكر ؟

كانت واقفة لدرجة ملفنة للنظر . حسناً ، طابت ليلتك - يا آنسة - وألف معذرة على إزعاجي لك .

كنا قد وصلنا إلى الباب عندما نادتنا الأنسة كارول : سيد يوارو ، هذه ليست نظارتي ، لا أستطيع أن أرى من خلالها .

- حقاً ؟

حدق يوارو فيها مذهولاً ، ثم عادت الابتسامة إلى وجهه وقال : يا لي من مغفل ! لقد وقعت نظارتي من جيبى عندما انحنيت لأخذ القفازات ورفعت نظارتك ، ويبدو أنني قد خلطت بين النظارتين... فهما تبدوان متشابهتين .

تبادلنا النظارتين وهما يتسلمان ثم غادرنا . وبعد أن خرجنا مبتعدتين قلت ليوارو بدهشة : يوارو ، إنك لا تلبس نظارة أبداً !

نظرت إليّ مبتسماً ، فهيمت وقلت على الفور : إنك خارق ! لقد فهمت المغزى بسرعة ، هل هذه النظارة هي التي وجدتها في حقيبة كارولنا آدمز ؟

- صحيح .

- لماذا ظننت أنها ربما تكون نظارة الأنسة كارول ؟

هز يوارو كتفيه قائلاً : إنها الوحيدة ذات الصلة بالقضية والتي تلبس نظارة .

قلت متأملاً : ومع ذلك فهي ليست نظارتها .

- أتذكر ماذا يا صديقي؟

- ما قاله روس عن الثلاثة عشر حول الطاولة، وأنه كان أول المغادرين.

لم يرد بوارو، وأحسست ببعض الانزعاج كما يشعر المرء دائماً عندما يتحقق توقعه المتشائم. قلت بصوت منخفض: هذا غريب، يجب أن تعترف بأن هذا غريب.

- ماذا تقول؟

- قلت إن هذا غريب... أقصد عن روس والثلاثة عشر. ما الذي تفكر فيه يا بوارو؟

ولشدة دهشتي، بل ومما أثار حفيظتي، بدأ بوارو يضحك فجأة ضحكات عالية ويهتز من الضحك. كان واضحاً أن شيئاً قد سبب له المرح. قلت مغتاضاً: ما الذي يضحكك؟

- آه، آه! لا شيء. لقد فكرت في لغز سمعته أمس. سأخبرك به: ما هو الشيء الذي له ساقان وریش وينبح كالكلب؟

قلت محاذراً: الدجاجة بالطبع، لقد عرفت ذلك وأنا في الحضانة.

- أنت واسع الاطلاع يا هينتنغز. ولكن كان يجب أن تقول: "لا أعرف"، ثم أقول أنا بعد ذلك: "دجاجة"، ثم تقول أنت: "لكن الدجاجة لا تنبح كالكلب"، فأقول لك: "آه، لقد قلت ذلك حتى

أجعل اللغز أكثر صعوبة!". افترض أن لدينا تفسيراً للحرف «د» يا هينتنغز.

- أي هراء هذا!

- نعم، هذا هراء لمعظم الناس ما عدا صاحب نوع معين من التفكير. آه! لو أستطيع سؤال أحد...

مررنا من أمام دار سينما كبيرة، وكان الناس يخرجون منها وهم يناقشون شؤونهم الخاصة وأمور خدمهم وأصدقائهم يناقشون الفلم الذي شاهدوه لتوهم مناقشة عريضة.

عبرنا مع مجموعة منهم شارع يوستون، وإلى جوارنا فتاة تقول لرجل يرافقها: لقد أحببت الفلم. أعتقد أن بريان مارتين رائع جداً، ولقد شاهدت أفلامه كلها. أعجبتني الطريقة التي كان ينزل فيها المنحدر الصخري ويصل إلى هناك في الوقت المحدد ومعه الأوراق.

كان مرافقها أقل حماسة منها، وقال يرذ عليها: قصة سخيفة. لو كان عندهم ذرة من عقل لسألوا ليس مباشرة، وهو ما كان سيفعله أي شخص له عقل...

لم نسمع بقية الكلام، وعندما وصلت إلى الرصيف التفتُ ورائي فرأيت بوارو يقف وسط الطريق والحافلات تندفع نحوه من كل جانب، وبطريقة غريزية وضعت يدي على عيني. كنت أسمع أصوات الكوايح وشتمات سائق إحدى الحافلات، ثم مشى بوارو إلى حافة الطريق شيئاً وقوراً، وكان يبدو مثل رجل يمشي في نومه.

قلت: هل فقدت عقلك يا بوارو؟

- لا يا صديقي؛ كل ما في الأمر أن شيئاً خطراً يبالي هناك في تلك اللحظة.

قلت: كانت على وشك أن تكون لحظتك الأخيرة.

- لا يهم. آه... كنتُ يا صديقي أعمى وأصمّ ولا أدرك ما حولي! لقد عرفت -الآن- الإجابات عن جميع تلك الأسئلة. نعم، الأسئلة الخمسة جميعها! نعم، عرفتُها جميعاً. إنها بسيطة جداً... بسيطة لدرجة السخافة!

الفصل الثامن والعشرون بوارو يوجه بعض الأسئلة

عدنا إلى البيت مشياً.

كان واضحاً أن بوارو يتبع قطاراً من الأفكار يجري في عقله، وكان يهمس -من وقت لآخر- ببعض الكلمات. لم أسمع كل ما قاله، ولكنني سمعته يهمس وسمعت بعضاً من تلك الكلمات. ذات مرة قال: «شموع»، ومرة أخرى قال شيئاً بدا مثل: «الثنا عشر». لو كنت ذكياً حقاً لكنت قد عرفت مجرى تفكيره، فقد كان واضحاً، ومع ذلك بدت لي كلماته غامضة في تلك اللحظة.

وحالما دخلنا إلى البيت أمسك الهاتف واتصل بفندق السافوي وطلب أن يتحدث مع الليدي إدجووير. قلت ضاحكاً: لا أمل لك أيها العجوز.

كان بوارو -كما كنت أقول له غالباً- من أكثر الناس جهلاً بحقيقة الأمور في العالم. وأكملت حديثي: ألا تعرف؟ إنها تمثل مسرحية جديدة. ستجدها في المسرح، فالساعة الآن العاشرة والنصف.

لم يلتفت بوارو إليّ وهو يتحدث مع موظف الفندق حيث كان واضحاً أنه يقول له نفس الكلام الذي قلته أنا للتو. وردّ عليه قائلاً: آه، حقاً؟ إذن أريد الحديث مع خادمة الليدي إدجوير.

وبعد بضع دقائق كانت الخادمة تتحدث، وسمعت الجزء الذي كان يتفوه به من الحديث المتبادل: هل أنت خادمة الليدي إدجوير؟ مملك بوارو، هيركيول بوارو. هل تتذكريني؟... عظيم، لقد ظهر شيء على درجة من الأهمية وأريدك أن تأتي لرؤيتي على الفور... نعم، مهم جداً. سأعطيك العنوان؛ اسمعي بانتباه...

كرر العنوان لها مرتين، ثم وضع السماعة وهو يتأمل. وسألته بفضول: ما الغرض من ذلك؟ هل حصلت على معلومات حقاً؟

- لا يا هيستنغز، هي التي سوف تعطيني المعلومات.

- أي معلومات؟

- معلومات عن شخص معين.

- جين ويلكنسون؟

- بالنسبة لها فعندي كل المعلومات التي أحتاجها عنها. أعرف عنها الوجه الآخر من قبل.

- من إذن؟

نظر إليّ بانسامة أغاظتني كثيراً وطلب مني الانتظار والصبر، ثم أشغل نفسه بترتيب الغرفة بكثير من التأنّي والدقة. وبعد ذلك بعشر دقائق وصلت الخادمة، وكانت تبدو عصبية المزاج ومتشككة بعض

الشيء. كانت امرأة ضئيلة الحجم وبدت أنيقة في الثوب الأسود الذي ترتديه. نظرت حولها نظرات ارتياب، وأسرع بوارو إليها قائلاً: ها قد وصلت. منتهى اللطف منك. تفضلي بالجلوس هنا يا آنسة إليس.

جلست على الكرسي الذي قدمه إليها بوارو ويداها متشابكتان في حجرها تُنقل بصرها بيننا. كان وجهها الصغير الشاحب هادئاً وقد زمت شفتيها الرقيعتين.

قال بوارو: في البداية يا آنسة إليس، منذ متى وأنت تعملين مع الليدي إدجوير؟

- منذ ثلاث سنوات يا سيدي.

- ظننت ذلك. إذن فأنت تعرفين عن علاقتها جيداً.

لم تردّ عليه إليس وبدت مستاءة، فكرر السؤال بشكل آخر: ما أعنيه هو أنك -لا بد- تعرفين جيداً من هم أعداؤها المحتملون.

زمت إليس شفتيها أكثر وهي تقول: لقد حاولت معظم النساء الإساءة إليها بحقد يا سيدي. كلهن كنّ يكرهنها بسبب الغيرة البغيضة؛ فهي امرأة جميلة تحصل دائماً على ما تريد، والكثير من الغيرة توجد في أوساط التمثيل المسرحي.

قال بوارو مبتسماً: "أوافقك الرأي". ثم قال بنية صوت مختلفة: هل تعرفين السيد بريان مارتن، الممثل السينمائي؟

- نعم يا سيدي.

- معرفة جيدة؟

- معرفة جيدة تماماً.

- أعتقد أنني لست مخبطاً عندما أقول إن السيد بريان مارتن كان غارقاً في حبه لسيدتك قبل أقل من سنة.

- غارقاً حتى الأذنين يا سيدي، ولو أردت رأيي فسوف أقول لك إنه لا زال كذلك.

- هل كان يعتقد -في ذلك الوقت- أنها سوف تتزوجه؟

- نعم يا سيدي.

- وهل فكرت هي في الزواج به تفكيراً جاداً؟

- لقد فكرت في هذا يا سيدي، وأحسب أنها كانت ستفعل ذلك لو أنها استطاعت الحصول على حريتها من اللورد.

- ثم بعد ذلك ظهر دوق ميرتون على مسرح الأحداث.

- نعم يا سيدي. كان يقوم بجولة في الولايات المتحدة، ووقعت في حبه من النظرة الأولى.

- وهكذا قالت وداعاً لحب بريان مارتن!

أومات إليس موافقة ثم أوضحت: لقد جمع السيد مارتن ثروة كبيرة بالطبع، لكن دوق ميرتون كان يملك اللقب كذلك. إن السيدة حريصة جداً على اللقب، وهي ستكون واحدة من سيدات إنكلترا الأوائل عندما تتزوج من الدوق.

كان في صوت الخادمة شيء من الرضا، وقد أسعدني ذلك.

- إذن يمكننا القول إنها طوت صفحة السيد بريان مارتن. أليس كذلك؟ وهل تقبل هو هذا الأمر؟

- لقد تصرف تصرفاً أحق يا سيدي.

- آه... حقاً؟

- هدهدها ذات مرة بمسدس. وقد أخافني كثيراً بحركاته التي قام بها. وكان يشرب كثيراً أيضاً، وقد انهار تماماً.

- لكنه هدأ في نهاية الأمر.

- هذا هو الظاهر، لكنه لا زال يلف ويدور، كما أنني لا أحب نظرات عينيه. لقد حذرت الليدي من ذلك، لكنها ضحكت فقط... إنها من النساء اللاتي يستمتعن بالإحساس بقوتهم.

قال بوارو متأملاً: نعم، فهمت ما تقصدينه.

- لم نره كثيراً في الآونة الأخيرة يا سيدي، وأعتقد أن هذا شيء جيد. أرجو أن يكون قد بدأ بالتغلب على مشكلته.

- ربما.

بدا أن طريقة لفظ بوارو لهذه الكلمة قد لفتت انتباهها، فقالت بقلق: هل تعتقد أنها في خطر يا سيدي؟

قال بوارو بهدوء: نعم. أعتقد أنها في خطر شديد. لكنني هي التي سببت ذلك الخطر نفسها.

وأخيراً غادرت إليس. وكان الفضول قد بلغ مداه عندي
فابتدرته قائلاً: حسناً يا بوارو؟

ابتسم وهو يرقب لفتتي. لا شيء أكثر مما سمعت يا صديقي.
غداً صباحاً وفي وقت مبكر لنصل بجواب. وسنطلب منه أن يأتي
إلينا. وسوف نخاير السيد برايان مارتن أيضاً. أعتقد أنه سيتمكن من
إخبارنا بشيء مهم. كما أرجو أن أرد له شيئاً عني.

- حقاً؟

نظرت إلى بوارو بعطف عيني، فإذا به يشتم نفسه بطريقة
غريبة.

قلت: على أية حال، لا يمكنك أن تشك في أنه هو الذي قتل
النورد إدجويز، وخصوصاً بعد الذي سمعته الليلة. ليس من المعقول
أن يقتل الرجل زوج السيدة ليتركها بعد ذلك تتزوج بوجل البحر.
هذا منافي للمنطق!

- يا له من حكم عميق!

قلت متزعجاً بعض الشيء: لا تهزأ بي يا بوارو، ثم ما هذا
الذي تعبت به طوال الوقت؟

رفع بوارو الشيء الذي كان يعتب به وقال: إنها نظارة إليس
الطبية يا صديقي! لقد تركتها وراءها.

- هراء! كانت تضعها عندما خرجت.

هز رأسه بلطف وهو يقول: خطأ... خطأ تام! إن النظارة التي

كانت يده تتحرك على رف الموقد بلا هدف، فضربت مزهرية
فيها ورود وسقطت على الأرض، وبلل الماء وجه إليس ورأسها. لم
أعرف عن بوارو أنه كان أخرق ولذلك استنتجت - من هذا الموقف -
أنه كان في حالة شديدة من الاضطراب الذهني. وقد بدا متزعجاً
جداً وأسرع يحضر منشفة، وساعد الخادمة بلطف شديد في تجفيف
وجهها ورأسها وهو يسرف في الاعتذار.

وفي النهاية وضع في يدها وهو يصفحها ورقة نقدية ورافتها
نحو الباب شاكراً إياها على جميل صنعها في المجيء إليه. وقال
وهو ينظر إلى ساعة الحائط: لا زال الوقت مبكراً. ستعودين قبل
رجوع سيدتك.

- لا بأس بذلك يا سيدي. أعتقد أنها قد خرجت لتناول
العشاء. وعلى أية حال فهي لا تتوقع مني العمل في البيت إلا إذا
طلبت مني ذلك.

فجأة انحرف بوارو عن مجرى تفكيره: معذرة يا آنسة، إنك
تمشين مضطربة.

- لا شيء يا سيدي... قدماي تؤلماني قليلاً.

قال بوارو وكأنه يتبادل معها الشكوى من المرض: مسمار
القدم؟

كان واضحاً أن ذلك يسبب مسمار القدم، فأسهب بوارو
في وصف علاج معين لذلك الداء، وكان يرى أنه علاج يصنع
المعجزات.

خرجت وهي تضعها - يا عزيزي هينغز - هي تلك التي وجدناها
في حقيبة كارلوتا آدمز.

شعقت من هول المفاجأة.

* * *

الفصل التاسع والعشرون

بوارو يتكلم

اتصلت صباح اليوم التالي بالمفتش جاب، وأحسست في صوته
بنبرة حزن حين قال: آه، هذا أنت يا كابتن هينغز، ما الأمر؟

أبلغته رسالة بوارو فقال: آتي عندكم في الساعة الحادية عشرة؟
حسناً، أعتقد أن باستطاعتي ذلك، هل لديه ما يساعدني في قضية مقتل
الشاب روس؟ سأعترف - بأمانة - بأننا فشلنا في اكتشاف أي شيء.
لا مفتاح لحل اللغز من أي نوع كان... إنه عمل بالغ العموض.

قلت دون تحديد: أعتقد أن لديه شيئاً لك، وعلى أية حال فهو
يبدو راضياً عن نفسه كثيراً.

- حسناً كابتن هينغز، سأكون هناك.

كانت مهمتي الثانية الاتصال بالممثل بريان مارتن. وأبلغته بما
طُلب مني قوله، وهو أن بوارو قد عرف شيئاً مشيراً يعتقد أن السيد
مارتن يحب سماعه، وعندما سألتني عن هذا الشيء قلت له إنني

لا أعرف لأن بوارو لم يخبرني به، وبعد فترة صمت أجاب قائلاً:
"حسناً، ها أنا ذا قادم"، ثم وضع الساعة.

وفي الحال، ولشدة دهشتي، اتصل بوارو بجيني درايفر وطلب
منها الحضور هي الأخرى. كان هادئاً مستغرقاً في التفكير، ولم أوجه
له أي سؤال.

كان بريان مارتن أول الواصلين، وقد بدأ بصحة جيدة
ومعنويات مرتفعة، ولكني (وربما كان ذلك مجرد وهم مني) رأيت
أنه كان خائفاً بعض الشيء. ووصلت جيني درايفر على الفور تقريباً،
وفوجئت بوجود بريان مارتن وقد بدأ مشاركاً إياها في المفاجأة.

قدم بوارو كرسيين وطلب منهما الجلوس. ثم نظر إلى ساعته
قائلاً: أظن أن المفتش جاب سيكون هنا خلال دقيقة واحدة.

قال بريان وقد أخذته المفاجأة: "المفتش جاب؟"

- نعم. لقد طلبت منه الحضور إلى هنا... ليس بشكل رسمي
ولكن باعتباره صديقاً.

- فهمت.

نظرت جيني إلى بريان نظرة سريعة ثم صرفت نظرها عنه.
كانت تبدو هذا الصباح مشغولة البéal بشيء ما، وبعد قليل دخل
جواب الغرفة.

أظن أنه فوجئ قليلاً برؤية بريان مارتن وجيني درايفر، لكنه

لم يظهر أي شيء. حتى بوارو بمزاحه المعتاد: حسناً يا سيد بوارو،
ما كل هذا؟ أظن أن لديك كلاماً مهماً.

ابتسم بوارو قائلاً: لا يوجد شيء رائع على وجه الخصوص.
إنها مجرد قصة صغيرة بسيطة... بسيطة لدرجة أنني أشعر بالخزي
لأنني لم أفهمها على الفور. إذا أذنتم لي فإني أريد أن أؤكدكم معي
عبر القضية من بدايتها.

تهد جاب ونظر إلى ساعته. قال: إن كنت لن تعطيل أكثر من
ساعة...

- أظن؟ لن يستغرق الأمر كل هذا الوقت. إنكم تريدون أن
تعرفوا من قتل النورود إدجووير ومن قتل الأئمة آدمز ومن قتل دونالد
روس. ليس كذلك؟

قال جاب بحذر: أريد أن أعرف الذي قتل الأخير.

- استمع إلي وسوف تعرف كل شيء، وسوف أكون متراضماً...
(هذا من غير المحتمل! لم أصدق ما قاله) وأريكم كل خطوة في
الطريق وأكشف كيف كنت مخدوعاً وغيباً، وكيف احتاج الأمر مني
لحديث مع صديقي هيسنغر، وكيف أن ملاحظة عابرة من شخص
غريب تماماً قد وضعتني في المسار الصحيح.

سكت ثم بدأ يتحدث بعد أن نتحج كأنه ينفي محاضرة: سأبدأ
من حفل العشاء في فندق سافوي. دنت النيددي إدجووير مني وطلبت
مني لقاء خاصاً. كانت تريد التلخص من زوجها، وفي ختام لقائنا
قالت شيئاً ينم عن عدم حكمة كما اعتقدت. وبهم أن الأمر قد يتطلب

منها أن تذهب في سيارة أجرة وتقتل زوجها بنفسها. وقد سمع السيد بريان مارتن كلماتها هذه عندما دخل عليها في تلك اللحظة.

استدار لكي ينظر إليه: أليس هذا صحيحاً؟

قال الممثل: كلنا سمعنا ذلك بالطبع؛ ويديرون وزوجته، ومارش، وكارلوتا... جميعنا.

- أنا متفق معك تماماً، هذا جيد. ولم يكن ممكناً أن أنسى كلمات الليدي إدجوير هذه؛ فقد زارني السيد بريان مارتن صباح اليوم التالي من أجل هدف خاص، وهو تركيز تلك الجملة بحيث تصبح غير قابلة للنسيان.

صاح بريان غاضباً: أبدأ؛ لقد جئت...

رفع بوارو يده ليسكته واستأنف على الفور: لقد جئت - من حيث الظاهر - لتخبرني برواية غير قابلة للتصديق عن أنك شخص مطارد. رواية كان يمكن لأي طفل أن يدرك حقيقتها، وربما كنت قد أخذتها من فلم قديم. فتاة كان عليك أن تحصل على موافقتها، ورجل تعرفت إليه من سن ذهبية.. يا صديقي، لا يوجد شاب يضع ستاً ذهبية! هذا لا يحدث هذه الأيام... وخصوصاً في أمريكا! سن الذهب أصبح طرازاً قديماً في طب الأسنان. كانت القصة كلها مسرحية... سخيفة! وبعد أن أخبرتي بقصتك التي لا تصدق دخلت في الحديث عن الغرض الحقيقي من زيارتك، وهو أن تسمم تفكيري لتؤلّبي على الليدي إدجوير. وحتى أوضح الأمر أكثر، فقد قمت بإعداد الأرضية المناسبة للحظة التي تقتل هي فيها زوجها.

تمتم بريان مارتن وقد شحب وجهه: لا أعرف عمّ تتكلم.

- لقد استخففت بفكرة موافقتي على الطلاق! اعتقدت أنني سوف أراه في اليوم التالي، ولكن الموعد كان قد تغير في الواقع. ذهبْتُ لرؤيته في نفس ذلك الصباح وقد وافق على الطلاق فعلاً، وانتهى أي دافع لقيام الليدي إدجوير بقتل زوجها. وأكثر من ذلك فقد أخبرني بأنه كان قد كتب رسالة لليدي إدجوير يخبرها بذلك، لكن الليدي قالت إنها لم تستلم تلك الرسالة أبداً. فإما أن يكون أحد الاثنين (هي أو زوجها) كاذباً، أو أن شخصاً آخر أخفاها... من يكون هذا؟ والأنا أسأل نفسي: لماذا يأتي السيد بريان مارتن ويكايد المتاعب ليخبرني بكل هذه الأكاذيب؟ ما الدوافع التي جعلته يفعل ذلك؟ تشكلت عندي فكرة - يا سيد مارتن - بأنك تحب تلك السيدة بجنون. كما أن اللورد إدجوير قال إن زوجته أخبرته أنها تنوي الزواج بممثل. لقد كان ذلك صحيحاً تماماً، ولكن السيدة غيرت رأيها، ففي اللحظة التي وصلت فيها إلى الليدي رسالة اللورد إدجوير تلك التي وافق فيها على الطلاق كانت تريد الزواج بشخص آخر... ليس أنت، وسيكون لك سبب - إذن - لكي تخفي تلك الرسالة.

- أنا ثم...

- يمكنك أن تقول بعد قليل كل ما تريد قوله، أما الآن فاسمعي: إذن ماذا ستكون خطتك؟ ستكون نوعاً من الغضب والارتباك، رغبة في إلحاق الأذى بالليدي إدجوير قدر ما تستطيع، وأي أذى تستطيع عمله لها أكثر من وضعها في محل الانهزام، وربما إرسالها إلى حبل المشنقة بنهمة القتل؟

قال جاب: يا إلهي!

التفت إليه بوارو وقال: نعم، تلك كانت الفكرة الصغيرة التي بدأت تتشكل في ذهني، وقد جاءت عدة أمور لتدعمها. كان لكارلوتا آدمز صديقان من الرجال: الكابتن مارش وريان مارتن. إذن من الممكن أن يكون بريان مارتن (وهو الرجل الغني) هو الذي اقترح عليها تلك الخدعة وعرض عليها عشرة آلاف دولار لتنفيذها. كان يبدو لي غير محتمل من البداية أن تصدق الأنسة آدمز أن رونالد مارش يملك عشرة آلاف دولار لإعطائها لها، فقد كانت تعرف أنه معسر لدرجة كبيرة. ولذلك فإن بريان مارتن هو الحل الأكثر احتمالاً.

- أنا لم أفعل... افهمني...

خرجت هذه الكلمات من فم الممثل بصوته الأجش، ولكن بوارو استمر غير عابئ به: عندما وصلت محتويات رسالة الأنسة آدمز من واشنطن في بركة كنت متضيقاً جداً، فقد بدا أن تفسيره كان خاطئاً كلياً. لكنني اكتشفت شيئاً - بعد ذلك - عندما أرسلت إليّ الرسالة الحقيقية، إذ بدلاً من أن تكون متكاملة، كانت ورقة من الرسالة مفقودة، وهكذا فإن الضمير قد يشير إلى رجل غير الكابتن مارش. وكان عندي دليل آخر: عندما اعتقل الكابتن مارش أعلن بوضوح أنه رأى بريان مارتن يدخل البيت، ولم يكن لكلامه هذا وزن كبير لأنه جاء من رجل متهم، كما أن السيد مارتن كان له دليل على وجوده في مكان آخر في تلك الساعة، وهذا أمر طبيعي... كان هذا متوقفاً! لو أن السيد مارتن ارتكب جريمة القتل فإن امتلاك دليل

على وجوده في مكان آخر يُعد ضرورياً دون شك. شخص واحد فقط أكد على هذا الدليل... وهو الأنسة دريفر!

قالت الفتاة بحدة: وماذا في هذا؟

قال بوارو مبتسماً، لاشيء يا أنسة، ما عدا أنني رأيتك في أحد الأيام تتناولين الغداء مع السيد مارتن فجئت على الفور إلى عمارتي وحاولت جعلني على الاعتقاد بأن صديقك الأنسة آدمز كانت مهملة برونالد مارش اهتماماً خاصاً، وليس بريان مارتن... وهو ما كنت متأكداً أنه الصحيح.

قال الممثل السينمائي بعناد: هذا ليس صحيحاً أبداً.

قال بوارو بهدوء: ربما لم تكن مدركاً حقيقة هذا الأمر يا سيد مارتن، لكنني أعتقد أنه صحيح، وهذا يوضح أكثر من أي شيء آخر شعورها بالكرهية نحو الليدي إدجووير. كانت تلك الكراهية نابعة عنك. أنت أخبرتها كل شيء عن رفضك، أليس كذلك؟

- حسناً... بلى؛ شعرت أنني لا بد أن أتحدث مع شخص ما، كانت هي...

- كانت متعاطفة، نعم؟ كانت متعاطفة. لقد لاحظت ذلك بنفسه. هذا جيد... ما الذي حدث بعد ذلك؟ اعتقل رونالد مارش، وعلى الفور ارتفعت معنوياتك، وكل القلق الذي كان يراودك انتهى. ورغم أن خطتك قد أخفقت بسبب تغيير الليدي إدجووير رأيها بخصوص ذهابها إلى إحدى الحفلات في اللحظة الأخيرة، إلا أن شخصاً آخر أصبح كيش الفداء وحرك من القلق. ثم - في حفل

استخدامها وسيلة لنضبط وانتهديد. أعتقد أن هذا ما حدث. ثم يكن اللورد إدجووير راجعاً في أن يرتبط اسمه بفضيحة عامة، فاستسلم موافقاً، ولكن غضبه ظهر جلياً في تلك النظرة الشرسة التي بدت على وجهه بعيد لقائه معنا وهو يظن أن أحداً لا يراه. وهذا يفسر -أيضاً- السرعة المريبة التي قال فيها: "ليس بسبب أي شيء في الرسالة" وذلك قبل أن أقول له إن ذلك قد يكون الحال.

بقي سؤالان: مسألة وجود نظارة غريبة في حقيبة الأسيه آدمز ثم تكن لها... ولماذا اتصل أحدهم بالليدي إدجووير بالهاتف عندما كانت في حفل عشاء في تشيسويك.

ثم أسنطع ريف السيد بريان مارتن يأتي من هاتين المسألتين، ولذلك أكرهت على استنتاج أنه إما أنني كنت مخفطاً بخصوص السيد مارتن أو مخفطاً بخصوص المسألتين. وقرأت رسالة الأسيه آدمز تلك مرة أخرى ياتسعة قراءة متتالية، فوجدت شيئاً! نعم! وجدت شيئاً مذهلاً!

"انظروا بأنفسكم. ها هي... هل ترون الورقة المقطوعة؟ إنها مقطوعة بطريقة غير مستوية كما يحدث غالباً، ولكن انظروا إلى آخر كلمة في السطر الأول التي وقع القطع عندها: «وقد تناقشنا في ذلك ملياً وقال...». لقد فهمنا -في البداية- أن التضمير في الفعل «قال» يعود على الكابتن مارش. ولكن ماذا لو أن الفعل لم يكن «قال» ولكن «قالت»؟ إن الورقة مقطوعة هنا... هل فهمتها الآن؟ هنا الخدعة الكبيرة... لقد كانت امرأة تلك التي اقترحت على كارلوتا آدمز خدعة التقليد. ولم يكن رجلاً أبداً! لقد ضللنا بشكل غبي! وعلى انظر

الغداء- سمعت دونالد روس، ذلك الشاب المرح الغبي، وهو يقول لهيستغز شيئاً دل على أنك لم تكن آمناً كثيراً.

صاح الممثل: هذا ليس صحيحاً...

كان العرق يتصبب على وجهه والرعب يملأ عينيه وهو يقول: أنا لم أسمع شيئاً... لا شيء... ولم أفعل شيئاً!

وفجأة، وفي تلك اللحظة بالذات، ألقى بوارو بأعظم مفاجأته لذلك الصباح، فقد قال ببطء وهدوء: هذا صحيح تماماً. أنت -فعلأ- لم تسمع شيئاً، ولم تصنع شيئاً... ولكن أرجو الآن أن تكون قد نلت جزاءك الكافي على محبتك إلي أنا، هيركيول بوارو، حاملاً معك رواية ملفقة.

كتمنا أنفاسنا جميعاً، فيما أكمل بوارو حديثه بلهجة الحالم المتأمل.

سألت نفسي خمسة أسئلة، وهيستغز يعرفها. الإجابات عن ثلاثة منها تطابقت جيداً: من أخفى تلك الرسالة؟ من الواضح أن بريان مارتن أجاب على ذلك السؤال إجابة جيدة. كان سؤال آخر عن الذي جعل اللورد إدجووير يغير رأيه فجأة ويوافق على الطلاق؟ حسناً، عندي فكرة تتعلق بهذا الأمر، إما أنه أراد الزواج ثانية (ولست أستطيع العثور على أي دليل يشير إلى ذلك) أو أن في الأمر شيئاً من الابتزاز. كان اللورد إدجووير صاحب أدواق شاذة، ومن المحتمل أن معلومات حول سلوكه قد كشفت وهي -برغم أنها لا تزهل زوجته للحصول على طلاق في المحاكم الإنكليزية- إلا أنها يمكن

أعددت قائمة بجميع السيدات المرتبطات بالقضية إلى جانب جين وينكسون. فوجدت أربع نساء جيراتدين مارش، والأنسة كارول، والأنسة درايفر، ودوقة ميرتون.

من بين هؤلاء أثرت اهتمامي أكثر من غيرهم، الأنسة كارول. فقد كانت تضع نظارة، وكانت في البيت تلك الليلة، وكانت غير دقيقة في شهادتها بسبب رعبتها في تجريم الليدي إدجويز. كما أنها امرأة تدبر قسوة الأعصاب ويمكنها تنفيذ مثل تلك الجريمة... كان المدافع غامضاً، لكنها عملت مع اللورد إدجويز لبضع سنوات وربما وُجد لديها دافع معين لا نعرفه.

شعرت -أيضاً- أنني لا أستطيع إبعاد جيرالدين مارش عن القضية. كانت تكره أباهما، وهي أخبرتني بذلك، وكانت عصبية السراج سريعة التوتر. افترضوا أنها -عندما دخلت البيت في تلك الليلة- طعنت والدهما عمداً ثم صعدت إلى الطابق العلوي بأعصاب باردة لكي تحضر عقد اللؤلؤ. تخيلوا كriebها عندما وجدت أن ابن عمها الذي أحبه حباً شديداً لم يبق خارج البيت في سيارة الأجرة لكنه دخل إلى البيت... على ضوء ذلك يمكن تفسير سلوكها الغاضب، كما يمكن لنفس العمل أن يدل على براءتها (ولكن عن طريق خوفها من أن يكون ابن عمها هو الذي ارتكب الجريمة حقيقة). وكانت توجد نقطة أخرى صغيرة، فقد كانت العلبة الذهبية التي وُجدت في حقيبة الأنسة آدمز تحمل الحرف «د»، وقد سمعت ابن عمها يناديها باسم التحبب «دينا»، كما أنها كانت في باريس في شهر تشرين الثاني الماضي وقد تكون التقت بكارلوتا آدمز هناك.

قد تظنون أن من الغريب إضافة اسم دوقة ميرتون إلى القائمة. لكنها زارتني وعرفت أنها من النوع المتعصب، وحبها للحياة يتركز كله في ابنها، وربما رسمت مؤامرة لتحطيم المرأة التي كانت على وشك تدمير حياة ابنها.

ثم فكرت بالأنسة درايفر...

سكت بوارو وهو ينظر إلى جيني، ورأيتها تنظر إليه بوقاحة، وسألته فوراً: وماذا لديك عني؟

- لا شيء -يا أنسة- سوى أنك كنت صديقة لبريان مارتن، واسم عائلتك يبدأ بالحرف «د».

- هذا لا يكفي.

- شيء آخر... أنت تملكين العقل والأعصاب لارتكاب مثل هذه الجريمة. أشك في أن أحداً غيرك يملك ذلك.

قالت الفتاة مبتهجة: أكمل.

- هل كان دليل وجود السيد مارتن حقيقياً أم لا؟ هذا ما كان عليّ أن أقرره. لو كان حقيقياً، فمن كان الذي رآه رونالد مارش يدخل إلى البيت؟ وفجأة تذكرت شيئاً؛ لقد كان كبير الخدم الوسيم في ريجنت غيت يشبه السيد مارتن كثيراً، وغلب على ظني أنه هو الذي شاهده الكابتن مارش، وقد شككتُ نظرية في هذا: كشفَ الخادم مقتل سيده في المساء، ووجد إلى جانبه مغلفاً يحتوي على أوراق نقدية فرنسية تعادل نحو مئة جنيه، وبلا تردد أخذ هذه النقود وتسلسل

خارج البيت فأودعها عند صديق قريب ثم عاد ودخل مستخدماً مفتاح اللورد إدجوير (وفي تلك اللحظة شاهده انكابتن مارش الذي كان يراقب البيت)، وقرر الخادم أن يترك الجريمة ليكتشفها الخادمة في صباح اليوم التالي. ثم يكن يشعر بأي خطر لأنه كان مقتنعاً تماماً بأن الليدي إدجوير هي التي ارتكبت الجريمة وأخذ النقود خارج البيت وأخفاها قبل أن يلحظ أحد فقدانها. ولكن عندما ظهر أن الليدي إدجوير كانت تملك دليلاً على وجودها ساعة الجريمة في مكان آخر وبدأت سكوتلاند يارد في التحقيق في ماضيها، فر واختفى.

أوما جاب باستحسان، وأكمل بوارو: ما زال عندي موضوع النظارة الغريبة أريد حله. إذا كانت الأنسة كارول هي صاحبته فإن القضية تبدو محلولة. كانت تستطيع كتمان أمر الرسالة، وعندما كانت ترتب تفصيلات الخطة مع كارلوتا (أو عند مقابلتها مساء الجريمة...) ربما عرفت النظارة طريقها - دون قصد - إلى حقيبة كارلوتا آدمز. لكن بدا واضحاً (من تجربة صغيرة أجريتها) أن النظارة ليس لها علاقة بالأنسة كارول. وحينما كنت أسير عائداً إلى البيت وأنا مكتئب بعض الشيء أحاول ترتيب الأمور في ذهني بأسلوب منهجي... حدثت المعجزة فجأة!

في البداية تحدث هيستغز عن الأمور بترتيب معين: ذكر دونالد روس، وأنه كان أحد ثلاثة عشر شخصاً على طاولة العشاء في بيت السير كورنر، وأنه كان أول المغادرين. كنت أتبع خطأً من التفكير في ذهني ولم أنتبه لحديثه كثيراً، وقد خطر في ذهني - فجأة - أن ذلك لم يكن صحيحاً. قد يكون أول المغادرين في نهاية العشاء ولكن - في الواقع - كانت الليدي إدجوير هي أول الفائزين

حيث أنها استدعيَتْ لئرد على الهاتف. وعندما فكرت في هذه النقطة خطر لي لغز معين... لغز تصورت أنه كان يتناسب جيداً مع عقائتي الطفولية. ثم بدأت أتساءل بعدها: من يمكن أن يفيدني عن مشاعر السيد مارتن تجاه جين ويلكنسون. وأيقنت أنها ما كانت لتخبرني عن ذلك بنفسها. ثم، عندما كنا نعبّر الشارع، سمعت عابر سبيل ينطق بعبارة بسيطة. قال الرجل لمرافقته إن شخصاً ما كان يجب عني أن يسأل إليس... وعلى الفور عرفت كل شيء كومبض النيرق!

نظر بوارو حوله ثم قال: نعم، نعم. النظارة... المكالمة الهاتفية... المرأة القصيرة التي ذهبت لاستلام العلبة الذهبية في باريس: إليس... بالطبع، خادمة جين ويلكنسون. وتبعته كل خطوة: الشموع... والنضوء الخافت... والسيدة فان دوزين... كل شيء. ثم عرفت!



نعم، نعم، هذا ممكن تماماً! لقد ذهبتُ أنا نفسي إلى ذلك البيت ذات مساء ورأيت كم هي خافضة المصابيح هناك وكيف أن ضلوة العشاء مضاءة فقط بالشموع... وتذكروا أن آياً من الحضور لم يكن يعرف جين ويلكنسون جيداً كانوا يعرفونها بالشعر الذهبي وصرتها الأجنش المعروف وطريقة تصرفها فقط. آه، لقد كان ذلك سيلاً تماماً! وإذا لم ينتج هذا العمل... إذا ما كشف شخص ما الخدعة. فإن ذلك محسوب حسابه بدقة؛ فالليدي إدجووير تحركت بسيارة أجرة إلى محطة پوستون بعد أن وضعت باروكة سوداء وارتدت ملابس كارلوتا والنظارة، وهناك نزعَت عن رأسها الباروكة السوداء ووضعت حقيبتها في غرفة الإبداع في محطة الفطارات، وتبل أن تذهب إلى ريجنت غيت لتتفقد جريمتها هاتفت تشيسويك وطلبت التحدث مع الليدي إدجووير. كان ذلك قد تم ترتيبه بينهما، فإذا ما سار كل شيء بطريقة جيدة ولم يُكتشف أمر كارلوتا كان عليها أن تجيب ببساطة على الهاتف وتقول: "هذا صحيح".

لا حاجة بي إلى القول إن الأنسة آدمز كانت لا تعرف السبب الحقيقي للمكالمات الهاتفية. وبعد أن سمعت الليدي إدجووير هذه الكلمات تابعت طريقها مطمئنة، فذهبت إلى ريجنت غيت وسألت عن اللورد إدجووير معلنة شخصيتها ودخلت إلى المكتبة حيث ارتكبت جريمة القتل الأولى. لم تعرف -بالطبع- أن الأنسة كارول كانت تراقبها من أعلى، واعتقدت أن كل ما سيكون هو شهادة كبير الخدم (وتذكروا أنه لم يرها من قبل أبداً، كما أنها كانت تضع قبعة تخفي بها وجهها عن نظره) مقابل شهادة اثني عشر شخصاً معروفاً وبارزاً في المجتمع.

الفصل الثلاثون

الحكاية

نظر حوله متقللاً بصره بينما، وقال بمودة: هيا يا أصدقائي، دعوني أقص عليكم الحكاية الحقيقية لما حدث في تلك الليلة: غادرت كارلوتا آدمز شقتها في الساعة السابعة مساءً، ومن هناك أخذت سيارة أجرة وذهبت إلى فندق بيكاديللي بالاس.

صحت: ماذا؟

- إلى فندق بيكاديللي بالاس... ففي وقت سابق من نفس اليوم كانت قد حجزت غرفة هناك باسم السيدة فان دوزين. وقد وضعت على عينيها نظارة غليظة (وهي -كما نعرف- تغير المظهر تغييراً كبيراً)، وعند الساعة الثامنة والنصف وصلت الليدي إدجووير وسألت عنها، وتوجهت فوراً إلى غرفتها حيث تبادلَت المرأتان ملابسهما. وبعد أن وضعت كارلوتا آدمز باروكة شعر أشقر وارتدت ثوباً أبيض ومغطفاً من الفرو غادرت الفندق. كانت كارلوتا (وليس جين ويلكنسون) هي التي غادرت الفندق وانطلقت بالسيارة إلى تشيسويك.

ثم غادرت البيت وعادت إلى محطة بوسطن وغبرت شعرها بوضع الباروكة السوداء ثانية وأخذت حقيبتها. كان عليها أن تشغل نفسها لحين عودة كارلوتا آدمز من تشيسويك، وكانتا قد اتفقتا على موعد العودة على وجه التقريب. ذهبت إلى مطعم كورنر هاوس، وكانت تنظر إلى ساعتها من وقت لآخر حيث كان الوقت يسير بطيئاً، وهناك استعدت للجريمة الثانية؛ فوضعت العلبه الذهبية الصغيرة التي طلبتها من باريس في حقيبته كارلوتا آدمز (وكانت تحملها معها بالطبع). وربما وجدت الرسالة في تلك اللحظة، وربما قبل ذلك، وعلى أية حال فحين رأت العنوان اشتمت رائحة الخطر. فتحتها... وكان لشكوكها ما يبررها.

ربما اعتزمت إتلاف الرسالة في البداية، لكنها اكتشفت -بسرعة- طريقة أفضل؛ فبتمزيق صفحة واحدة من الرسالة فإنها ستقرأ على أنها اتهام لرونالد مارش، وهو رجل له دافع قوي للقتل. وحتى لو كان له دليل على وجوده في مكان آخر فإن الاتهام سيبقى مصروحاً إلى رجل. وليس إلى امرأة، لأنها -كما رأيت- قد مزقت طرف الورقة الذي يشير إلى ناء التأنيث في الفعل «قالت». إذن، هذا ما فعلته، ثم أعادتها إلى الظرف ثانية وأعادت الظرف إلى الحقيبة وكان شيئاً لم يكن.

وعندما اقترب الموعد المتفق عليه سارت في اتجاه فندق سافوي، وعندما رأت السيارة تصل وكارلوتا بداخلها (كما هو مفترض) سارعت في خطواتها ودخلت في نفس الوقت وذهبت مباشرة إلى الطابق العلوي. كانت تلبس الأسود، ومن غير المحتمل أن يلاحظها أي شخص، وقد انجهدت إلى غرفتها مباشرة، وكانت

كارلوتا آدمز قد وصفتها لتوها، وهناك تبادلت الممران الملابس ثانية، وأظن أن النيدي إدجووير قد عرضت عليها عندئذ شرباً للاحتفال، وفي ذلك الشرب وضعت الفيرنوال. وهناك ضحيتها قاتلة إنها سترسل لها الشيك في اليوم التالي. ذهبت كارلوتا آدمز إلى البيت وهي تحس بالنعاس الشديد، وحاولت الاتصال بصديق (قد يكون السيد مارتن أو الكابتن مارش) لكنها عدلت عن ذلك حيث كانت متعبة جداً؛ فقد بدأ الفيرنوال يعطي مفعوله، وذهبت إلى النوم، ولم تستيقظ أبداً. فقد نفذت الجريمة الثانية بنجاح!

والآن إلى الجريمة الثالثة. بدأ الأمر في حفل الغداء، فقد أشار السيد مونتاغو كورنر إلى حوار جرى مع النيدي إدجووير ليلة ارتكاب الجريمة. كان ذلك بسيطاً جداً، لكن الانتقام الإلهي قد جاءها. ذكرت -عرضاً- مسألة أذواق باريس، فإذا بالنيدي تعلق على باريس التي تعرفها؛ باريس الموضة والأزياء! ولكن كان يجلس مقابلها شاب كان قد حضر العشاء في تشيسويك. شاب كان قد سمع النيدي إدجووير وهي تناقش في تلك الليلة موضوع هوميروس والحضارة الإغريقية بشكل عام؛ فلقد كانت كارلوتا آدمز فتاة مثقفة واسعة الاطلاع... ولم يستطع التوفيق بين الحديثين. كيف تحدثت بكل ذلك إذا كان كل ما تعرفه عن باريس هو الأزياء والموضة؟ حدق إليها، وفجأة عرف: هذه ليست هي نفس المرأة. انزعج جداً، ولم يكن والفاً من نفسه... لا بد أن يستشير أحداً.

فكر في. وتكلم مع هينستغز. لكن السيدة سمعته. وكانت سريعة وداهية بما يكفي لإدراك أنها قد كشفت نفسها بطريقة ما. وسمعت هينستغز يقول إنني لن أعود إلى البيت حتى الساعة

أكدت أنها لم تستلمها أبداً. هل شعرت بأي ذرة من ندم على أي جريمة ارتكبتها من الجرائم الثلاث؟ أكاد أقسم أنها لم تشعر!

صاح بريان مارتن: لقد أخبرتك عنها... أخبرتك. كنت أعرف أنها سوف تقتله! لقد أحسست بذلك! إنها ذكية... شيطانة، ذكية بنوع من الحماسة، وقد أردتها أن تعاني... أردت أن يشنقوها على هذا.

احمر وجهه وأصبح صوته غليظاً، وقالت جيني درايفر: "اهداً، اهداً..."، وقد تكلمت معه مثلما كنت أسمع الحاضنات وهن يتحدثن مع طفل صغير.

قال جاب: وماذا عن العلبة الذهبية التي عليها حرف «د» واسم باريس وتاريخ تشرين الثاني في داخلها؟

- لقد طلبتها بالبريد وأرسلت خادمتها إليس لتحضرها، وذهبت إليس بطريقة طبيعية لإحضار طرد مدفوع القيمة دون أن تعرف ماذا بداخله. كما أن الليدي استعارت نظارة إليس لتساعدنا في تقمص شخصية فان دوزين، وقد نسيت أمرها وتركتها في حقيبة كارلوتا آدمز... وكانت تلك غلطتها الوحيدة.

لقد أدركت ذلك... أدركت كل شيء بينما كنت أقف في وسط الشارع (ولم يكن سائق الحافلة مؤدباً فيما قاله لي، لكن ذلك لا يهم): إليس! نعم، إنها نظارة إليس، وإنها إليس التي ذهبت لإحضار العلبة الذهبية من باريس... ولكن إليس هي خادمة جين ويلكنسون... وهكذا أدركت أن جين ويلكنسون هي التي كانت وراء

الخامسة، وهكذا ذهبت، عند الساعة الخامسة إلا ثلثاً، إلى بيت روس، وقرعت الجرس ففتح لها الباب وفوجئ كثيراً برؤيتها من غير أن يساوره أي خوف، فشاب قوي الجسم صلب اللينان لا يمكن أن يخاف من امرأة. وذهب معها إلى غرفة الطعام، وربما نفقت له حكاية معينة ثم أنفت بذراعيها حول عنقه حيث قامت بضربتها بسرعة وثقة، كما حدث من قبل! ربما صاح صيحة محتونة... لا أكثر، فقد تم إسكاته هو الآخر.

صمت الجميع، ثم تكلم جاب بصوته الأجش: أعني... أنها هي التي فعلت كل هذا؟
أوما بوارو برأسه.

- ولكن لماذا، ما دام زوجها قد وافق على منحها الطلاق؟
- لأن دوق ميرتون من أعمدة الإنكليز الكاثوليك، وما كان أبداً ليتزوج امرأة لا زال زوجها على قيد الحياة. إنه شاب متعصب لمبادئه، وكونها أرملة فإنها متأكدة من أنه سيتزوجها. ولا شك أنها اقترحت الطلاق لكن هذا الاقتراح لم يلقَ لديه أي قبول.

- إذن لماذا أرسلتك إلى اللورد إدجووير؟

- لتخدعني! لتجعل مني شاهداً على عدم وجود دافع لديها للقتل! نعم، لقد تجرأت على جعلي أنا، هيركيول بوارو، أداة لها...
والعجيب أنها نجحت في ذلك! عقلها غريب، يشبه عقل الطفل لكنه ماهر. وهي بارعة في التمثيل! لقد كانت بارعة عندما أظهرت المفاجأة حين أخبرتها بأمر الرسالة التي أرسلها لها زوجها والتي

ذلك كله! لقد استعارت نظارة خادمتها، ومن المحتمل جداً أن تكون قد استعارت منها شيئاً آخر غير النظارة.

- ماذا؟

- سكيناً صغيرة...

ارتعشت وسكت الجميع بعض الوقت، ثم قال جاب بنيرة إصراراً: يا سيد بوارو، هل هذا صحيح؟

قال بوارو: إنه صحيح يا صديقي.

ثم تكلم بريان مارتن، وظنت أن كلماته كانت طبيعية جداً بالنسبة له، فقد قال مشاكساً: ولكن ماذا عني؟ لماذا أحضرتني إلى هنا اليوم؟ لماذا أصيتني بالذعر؟

نظر بوارو إليه ببرود وقال: لمعاقبتك يا سيد مارتن على وقاحتك! كيف نحاول اللعب مع هيركيول بوارو؟

ضحكت جيني درايفر كثيراً ثم قالت: "هذا يصلح لك تماماً يا بريان". ثم التفتت إلى بوارو قائلة: أنا مسرورة لأن روني مارش ليس هو القاتل، فقد كنت معجبة به دائماً. كما أنني في غاية السعادة لأن مقتل كارلوتا لن يذهب من دون عقاب. وبالنسبة لبريان هذا سأخبرك بشيء يا سيد بوارو: سأزوجه، وإذا اعتقد أنه يستطيع الحصول على الطلاق ليتزوج كل سنتين أو ثلاث سنوات على طريقة هوليود المتعارف عليها فإنه سيرتكب أكبر غلطة في حياته. سيتزوج ويبقى معي!

نظر بوارو إليها بتدبر وقال: هذا ممكن جداً يا آنسة. لقد قلت إنك تملكين الأعصاب المناسبة لأي شيء... حتى لكي تتزوجي ممثلاً سينمائياً!

* * *

والآن، سوف أعرض وثيقة طلبت إرسالها إلى برادو بعد موتها، وأعتقد أنها رسالة تعكس نفسية تلك المرأة الجميلة عذبة الضمير.

عزيزي السيد برادو،

كنت أقلب الأمور فأحسست بضرورة كتابة هذه الرسالة لك. أعرف أنك تنشر -أحياناً- تقارير عن القضايا التي تحقق فيها، ولكني أعتقد أن تكون قد نشرت من قبل أية وثيقة كتبها القاتل نفسه.

إنني راغبة في أن يعرف الجميع كيف فعلت ذلك كله بالتسبب. لا زالت أعتقد أنني خضعت لعملي جيداً، ولولاك أنت لكان كل شيء على ما يرام. لقد أحسست بالمرارة من ذلك، ولكن المرأة لا تستطيع تجنب مصيرها! أنا واثقة من أنني لو أرسلت لك هذه الرسالة فسوف تعطيها شهرة كبيرة، أليس كذلك؟ أحب أن أبقى في ذاكرة الناس، وأعتقد -فعلاً- بأنني فريدة، ويبدو أن الجميع هنا يعتقدون ذلك.

بدأت الفكرة في أمريكا عندما عرفت ميرتون. أدركت على الفور أنه سيزوجني لو كنت أرملة فقط. ولسوء الحظ فإنه يرفض الطلاق رفضاً غريباً. حاولت تدليل ذلك لكن بلا فائدة، وكان يجب أن أكون حريصة لأنه شخص غريب الأطوار.

أدركت -على الفور- أن زوجي يجب أن يموت لكي لم أعرف كيف أبدأ بالعمى؟ تستطيع أن تتخيل

الفصل الحادي والثلاثون

وثيقة إنسانية

بعد أيام من ذلك استدعيْتُ فجأة إلى الأرجنتين؛ ولذلك لم أرَ جين ويلكنسون مرة أخرى، ولكن فقط تابعت أخبار محاكمتها وإدانتها في الصحف. وعلى خلاف ما كنت أتوقع، انهارت تماماً عندما ووجهت بالحقيقة. لقد تابعت صويلاً بذكايتها وقامت بدورها دون أن تخطئ، ولكن عندما خذلنها لقتلها نفسها (بسبب شخص كشف أمرها) أصبحت عاجزة عن إخفاء حيلها كعجز الطفل، وقد انهارت تماماً عند استجوابها.

كانت حفلة الغداء تلك آخر مرة أرى فيها جين ويلكنسون، ولكن عندما أفكر بها أراها بنفس الصورة دائماً: واقفة في غرفتها في فندق الساقوي بثيابها السوداء الثمينة، وعلى وجهها نظرة الجذ والوقار. إنني على يقين أن ذلك لم يكن تكلفاً بل كانت طبيعة تماماً. فقد نجحت؛ ولذلك لم تشك أو يساورها القلق. كما أنني على يقين أنها لم تُعان أبداً من وخز الضمير ولم تندم قط على جرائم القتل الثلاث التي ارتكبتها.

هذه الأشياء، وأنت في أمريكا أفضل من هنا. فكرت وفكرت، لكنني لم أعرف كيف أدير المسألة. وبعد ذلك، فجأة، رأيت كارلوتا آدمز وهي تقبطني... وبدأت أرى الطريق على الفور. أستطيع الحصول على دليل على وجودي في مكان مختلف ساعة الجريمة بمساعدتها.

وفي نفس تلك الليلة رأيتك. وخطر لي فجأة أنها ستكون فكرة رائعة لو أنني أرسلتك إلى زوجي لثعلب منه الطلاق لي. وفي نفس الوقت كنت سأحدث عن قتل زوجي لأنني لاحظت دائماً أنك إن تكلمت عن الحقيقة بطريقة حقاً فلن يصدقك أحد. كثيراً ما كنت أفعل ذلك بخصوص العقود، كما أنه أمر جيد أيضاً أن تبدو أغنى مما أنت عليه.

وعند لقائي الثاني مع كارلوتا آدمز بدأت الفكرة: عرضت عليها رهاطاً قبله فوراً. كان عليها أن تظهر بأنها أنا في حفلة معينة، وإذا نجحت في ذلك العمل فسوف تحصل على عشرة آلاف دولار. كانت متحمسة جداً وقدمت كثيراً من الأفكار حول تغيير الملابس وكل هذه الأشياء. ولم نستطع عمل ذلك هنا بسبب إليس ولم نستطع عمله في بيتنا بسبب وجود خادماتها. وهي لم تفهم - بالطبع - لماذا لم نستطع عمل ذلك هناك. كان عملاً غريباً بعض الشيء، وقلت لها فقط: "لا". اعتقدت أنني غبية قليلاً بسبب ذلك لكنها أذعنت، وفكرنا في خطة القنود. وأخذت أنا نظارة إليس.

وأدركت بسرعة - بالطبع - أنه يجب التخصص منها هي الأخرى. كان ذلك مؤسفاً، ولكنها كانت راحة في تقليدها إيتي. ولولا أن تقليدها وافق فكريني لغضبت منها كثيراً. كنت أحفظ بعض الفيرونات عندي (رغم أنني لم أتأمله أبداً) ولذلك كان الأمر سهلاً تماماً. ثم جاءني فكرة بارعة: كان من الأفضل كثيراً لو أمكن أن تبدو وكأنها معنادة على تناوله. فطلبت عليه ووضعت أحرف اسمها الأول عليها، وفكرت في أنني لو وضعت حرفاً أولياً غريباً واسم باريس وتاريخ تشرين الثاني بداخلها فسيبدو الأمر أكثر تعقيداً. وهكذا أرسلت في طلب اللعبة بالبريد. ثم أرسلت إليس لإحضارها، ولم تكن تعرف ما هي بالطبع.

وسار كل شيء في الليل على ما يرام. أخذت واحدة من سكاكين إليس بينما كانت موجودة في باريس (لأنها كانت جميلة وحادة) ولم تلحظ ذلك أبداً لأنني أعديتها بعد ذلك إلى مكانها. وكان طبيب في سان فرانسيسكو قد أراني ذات يوم أين يمكن أن اغرمها بالطبع... كان يتحدث عن الفقرات القطنية والثقوب في الأوعية الدموية، وقال إن على المرأة أن يكون حريصاً جداً وإلا فإنه قد يقطع النخاع المستطيل حيث تتركز جميع الأعصاب الحيوية وذلك بسبب النوبة على الفور. وقد تأكدت من تلك النقطة بالطبع عدة مرات، إذ اعتقدت أن ذلك قد يفيد ذات يوم.

وأخبرته أنني أريد استخدام هذه الفكرة في أحد الأفلام.

كانت كارلوتا آدمز غير أمينة عندما كتبت لأختها، فقد وعدتني بأنها لن تخبر أحداً. وأعتقد أنني كنت ذكية عندما فهمت فائدة تمزيق تلك الصفحة. فكرت بذلك كله وحدي، واقتنخ بهذا أكثر من أي شيء آخر. كان كل واحد يقول إنني أفتخر إلى الذكاء، لكنني أعتقد أن التفكير على هذا النحو يحتاج إلى ذكاء حقيقي.

لقد فكرت في الأمور بحرص شديد، وفعلت بالضبط ما خططته عندما جاء رجل سكوتلاند يارد. كم استمتعت بذلك الجزء من الخطة! ربما كنت قد فكرت بأنه سيقتلني، ثم شعرت بالأمان لأنه توجب عليهم أن يصدقوا جميع هؤلاء الناس الذين حضروا العشاء. ولم أعتقد أن باستطاعتهم كشف مسألة تغيير الملابس بيني وبين كارلوتا. وبعد ذلك أحسست بالسعادة البانغة والرضا! لقد حالفني الحظ وأحسست حقاً بأن كل شيء سيسير على ما يرام. كانت الدوقة العجوز فقط في تعاملها معي، لكن ميرتون كان رائعاً. وقد أراد أن يتزوجني بأسرع وقت ممكن ولم يساوره أدنى شك.

لا أظن أنني شعرت بالسعادة مثلاً شعرت بها في تلك الأسابيع القليلة. لقد أشعرتني اعتقال ابن أخ زوجي بالأمان. كما كنت فخورة بنفسي أكثر من أي وقت

مضى لأنني فكرت في تمزيق تلك الصفحة وتزعيها من رسالة كارلوتا آدمز.

أما مسألة دونالد فكانت مجرد سوء حظ. نسيت متأكدة تماماً الآن كيف كشفتني. أعتقد أنه بسبب كلام قيل عن باريس، ولكن لست أدري -حتى هذه اللحظة- ماذا كان يجب علي أن أقول.

الغريب أن الحظ عندما يتقلب فإنه يستمر بذلك إلى النهاية! كان يتوجب علي عمل شيء بخصوص دونالد روس بسرعة، وقد سار ذلك على ما يرام. بعد ذلك أخبرتني إليس -بالطبع- أنك أرسلت في طلبها وسألتها، لكنني اعتقدت أن ذلك كان يتعلق ببريان مارتن. ولم أستطع معرفة ما كنت ترمي إليه. إنك لم تسألها إن كانت قد ذهبت لأخذ الطرد من باريس أم لا. أعتقد أنك فكرت أنها لو كبرت ذلك على مسمعي فإنني كنت سأشتم رائحة الخطر.

لقد جاء الأمر مفاجئاً. ولم أستطع تصديقه... كانت الطريقة التي عرفت فيها كل شيء فعلته غريبة تماماً! وشعرت -فقط- بأنه لا فائدة؛ فأنت لا تستطيع أن تقايل الحظ. كان حظاً سيئاً، أليس كذلك؟ ترى هل يشعر المرء بالأسف على ما فعله؟

لقد أردت أن أكون سعيدة على طريقي الخاصة، ولولاي أنا لما كان لك أية علاقة بالفضية. لم أعتقد -أبداً- بأنك ستكون بهذا الذكاء الشديد... إنك لم تكن تبدو ذكياً إلى هذا الحد!

إنه لأمرٌ غريب، لكنني لم أفقد هبتي أبداً رغم كل تلك المحاكمة الفظيعة والأشياء المرعبة التي فُتِنْتُ بها الرجل النجاس في الجانب الآخر، والطريقة التي هاجمني فيها بوابل من الأسئلة.

إنني أبدو أكثر شحوباً ونحافة، لكن ذلك يزيدني جمالاً إلى حد ما، وهم يقولون إنني شجاعة بشكل رائع! إنهم لم يعودوا يشفقون المجرم في مكان عام. أليس كذلك؟ أعتقد أن هذا الأمر مؤسف. إنني متأكدة من أنه لم تظهر مجرمة مثلي من قبل أبداً.

أظن أنه يتوجب علي أن أقول: «وداعاً»، وأرجو أن تغفر لي لأن المرء يجب أن يغفر لأعدائه، أليس كذلك؟

جين وينكسنون

ملاحظة: هل نظن أنهم سيضعون لي تمثالاً من الشمع في متحف مدام توسو؟



WWW.LILAS.COM
CHASSEY